

سيرة الرسول وخلفائه

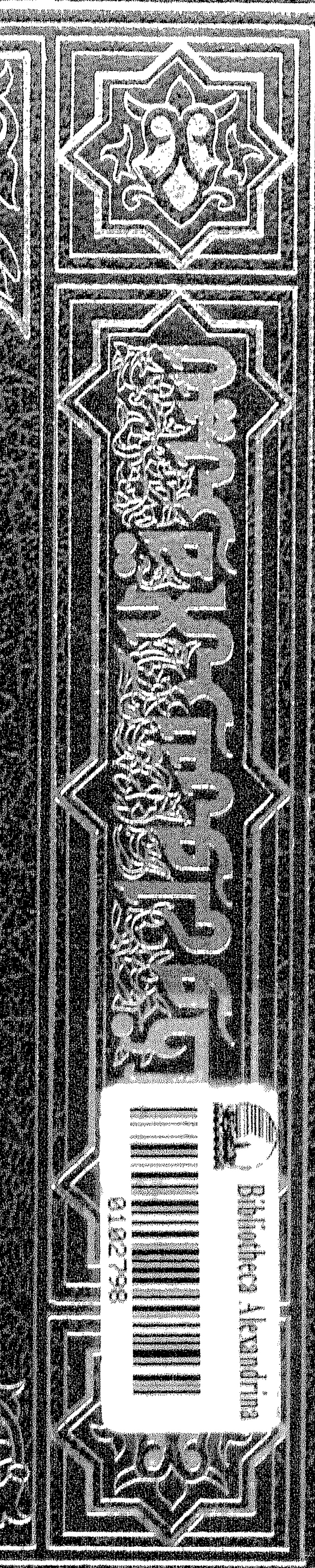
سماحة العلامة

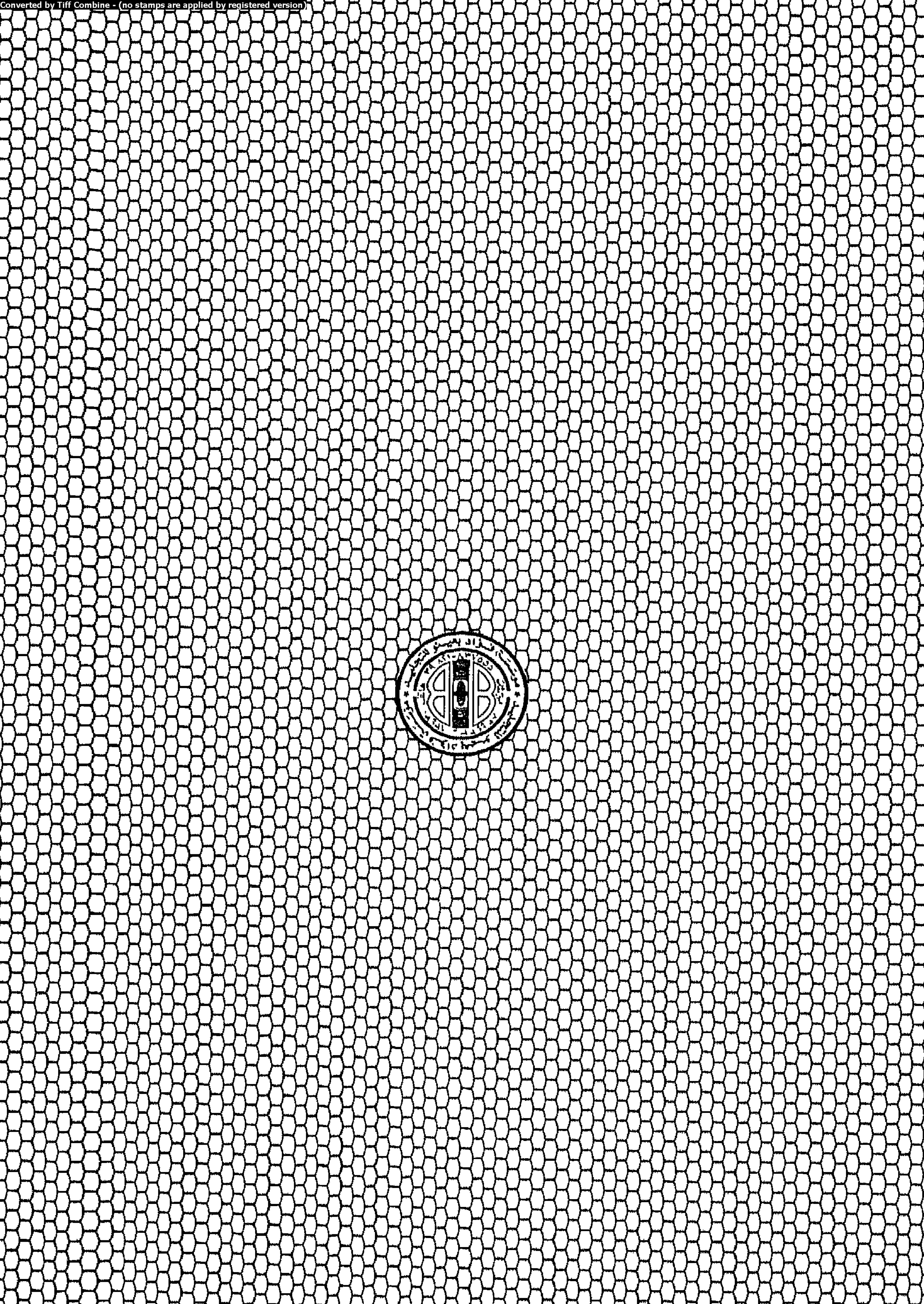
السيد علي فضل الله الحسني

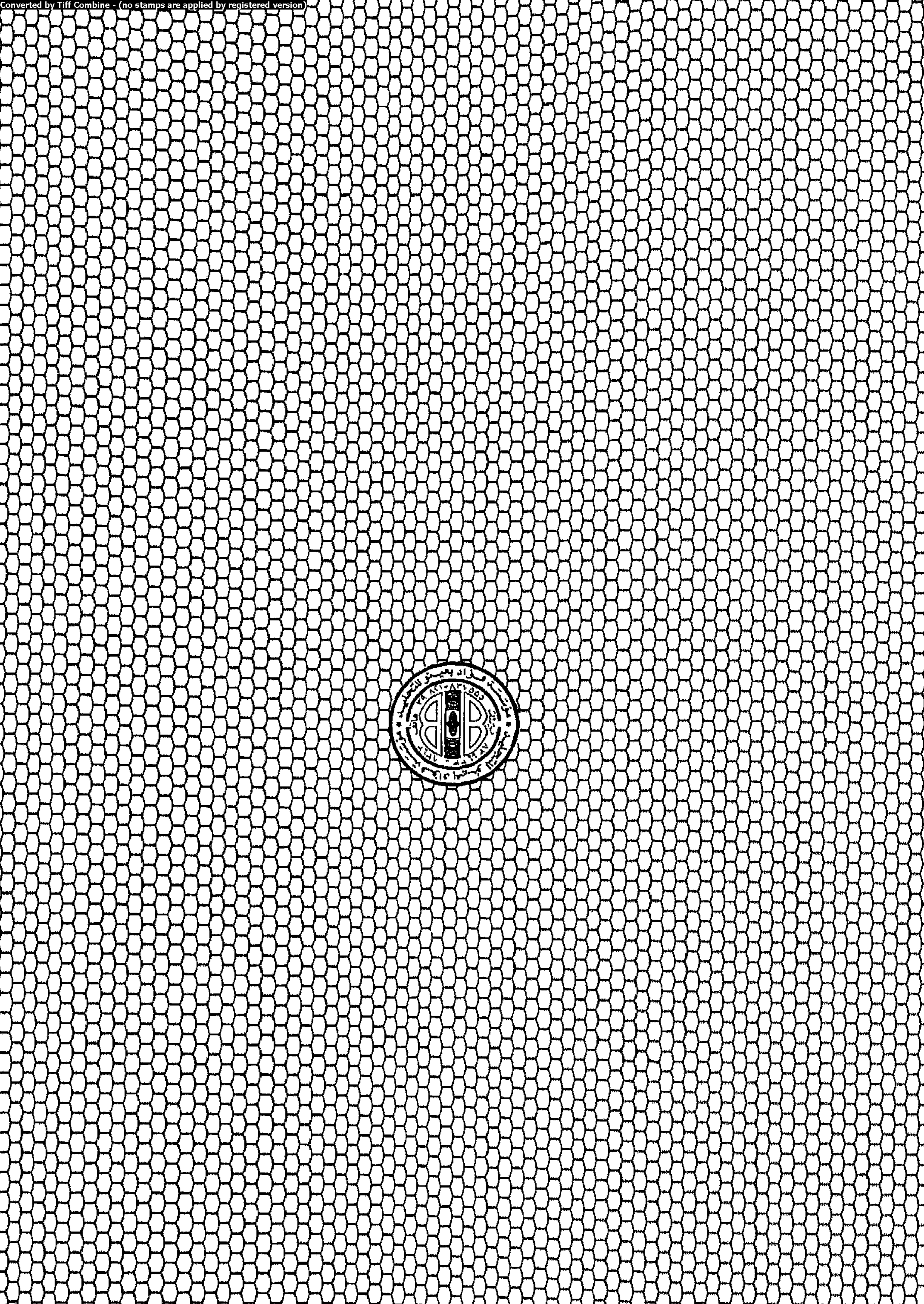
الجزء الرابع



الدار الإسلامية









سيرة

الرسول وخلفائه

٤



سيرة الرسول وخلفائه

سماحة العلاّمة

السيد علي فضل الله الحسني

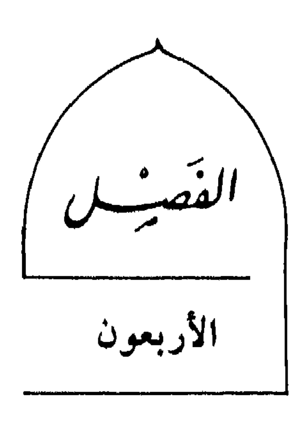
الجزء الرّابع

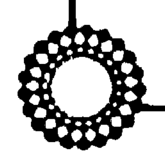
الدار الإسلامية

الطبعـــة الثانيـــة
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م



كورنيـــش المزرعـــة - بناية الحسن سنتر الطابـق الثانـي
هاتـــف: 816627، ص ب: 14/5680
المكاتـب والمستودعـات - حارة حريـك شـارع دكـاش
هاتـــف: 820704 - 835670، ص ب: 25/209


الفصل
الأربعون





فتح مكة

غزوة الفتح عظيمة جداً كان لها الأثر الكبير في تاريخ الأمة الإسلامية من حيث التقدم والانتصارات التي اعقبتها . وقد بشر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم بالنصر والفتح بقوله عز من قائل : ﴿ اذا جاء نصر الله والفتح ـ ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً ـ فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ﴾[1] .

وقد كانت غزوة الفتح في رمضان سنة ثمان للهجرة وذلك بعد عهد الحديبية بعام واحد وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد استمر بتطبيق شروط الهدنة . لم ينقضها ، ولم يفعل شيئاً هو أو اصحابه ما يعرضها للنقض ، بل التزم (صلى الله عليه وآله وسلم) بكل دقة بشروطها كاملة ، كما هو معروف من قوله وفعله ووفائه . وكانت معنويات المسلمين حينذاك عالية .

لكن لما كانت غزوة مؤتة ، ورجع المسلمون منها ، ولم يحرزوا نصراً ظاهرا . . . بل كانت في نظر اعدائهم ، انكسار وانهزام . وتركت من الخلفيات على سمعة المسلمين بادىء ذي بدء ما يقلل من هيبتهم ومعنوياتهم العسكرية . حدث ان طمع اعداء الإسلام في المسلمين ،

---

(١) سورة النصر ـ آية ـ ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ.

وتطاولت اعناقهم للنيل منهم وابادتهم والانتقام من نبيهم العظيم ، خاصة قريش واحلافها ، وقد حسب هؤلاء انه لم يبق لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه بعد مؤتة من القوة ما يحذرون منه على انفسهم وممتلكاتهم اذا ارادوا مناهضته وحربه . فبادرت بنو بكر التي كانت قد دخلت يوم الحديبية في عقد قريش وعهدها للانتقام من خزاعة التي كانت في عقد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعهده . وهاجمتها ليلا في عقر دارها على ماء يقال له الوتيرو وهو قريب من مكة ، وقتلت منها عشرين رجلاً كما يروى لثارات بينهما في الجاهلية وبتحريض من قريش اعداء الإسلام حتى ان طواغيت قريش امثال عكرمة بن ابي جهل ، وصفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو حملهم حقدهم وعداوتهم لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على الاشتراك في القتال مع عبيدهم واتباعهم بجانب بني بكر ، ظناً منهم انهم في مأمن من صولة المسلمين ، ويخفى فعلهم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

لكن خزاعة بعد نكبتها بادرت باخبار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما كان من امر بني بكر وقريش ونقضهم العهد وذلك بان شخص قوم منهم الى المدينة مستصرخين برسول الله (صلى الله عليه وماله وسلم) ، فدخلوا عليه وهو في المسجد ، فقام عمرو بن سالم الخزاعي فانشده ابياتاً منها :

اللهمَّ اني ناشد محمدا ... حلف ابينا وابيه الا تلدا[1]

ان قريشاً اخلفوك الموعدا ... ونقضوا ميثاقك المؤكدا

---

(١) الا تلد : القديم ، وكان لخزاعة حلف مع عبد المطلب جد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

هم بيتونا بالوتير[1] هجدا   وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حسبك يا عمرو ، ثم قام فدخل دار ميمونة ، وقال : اسكبي لي ماء ، فجعل يغتسل وهو يقول : « لانصرت ان لم انصر بني كعب » وهم رهط عمرو بن سالم الخزاعي .

ثم خرج بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبروه القصة وبما اصيب منهم ، ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين الى مكة .

وقد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال للناس : كأنكم بابي سفيان قد جاء ليشدد العقد ، ويزيد في المدة وسيلقى بديل بن ورقاء . فلقو أبا سفيان بعسفان وقد بعثته قريش الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يشدد العقد .

فلما لقى ابو سفيان بديلا قال له : من اين اقبلت يا بديل ؟

قال بديل : سرت في هذا الساحل . . . وفي بطن هذا الوادي .

قال ابو سفيان : ما اتيت محمدا ؟ قال : لا . . .

فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان : لئن كان جاء من المدينة ، لقد علف بها النوى ، فعمد الى مبرك ناقة بديل واخذ من بعرها ، ففتته فرأى فيه النوى . فقال : أحلف بالله تعالى لقد جاء بديل محمدا .

(١) الوتير : ماء لخزاعة وهو قريب من مكة .

وفي شرح النهج عن الواقدي : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتب الى جميع الناس في اقطار الحجاز وغيرها يأمرهم ان يكونوا بالمدينة في رمضان من سنة ثمان للهجرة . فوافته الوفود والقبائل من كل جهة . فخرج من المدينة بالناس يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان في عشرة آلاف ، فكان المهاجرون سبعمائة ، ومعهم من الخيل ثلاثمائة فرس . وكانت الانصار اربعة آلاف ، معهم من الخيل خمسمائة . وكانت مزينة الفاً فيها من الخيل مائة فرس . وكانت اسلم اربعمائة ، فيها من الخيل ثلاثون فرساً . وكانت جهينة ثمانمائة معها خمسون فرساً . ومن سائر الناس تمام عشرة آلاف ، وهم بنو ضمرة ، وبنو غفار ، واشجع ، وبنو سليم ، وبنو كعب بن عمرو وغيرهم .

وعقد (صلى الله عليه وآله وسلم) للمهاجرين ، ثلاثة الوية : لواء مع علي بن ابي طالب ، ولواء مع الزبير ، ولواء مع سعد بن ابي وقاص . وكانت الرايات في الانصار وغيرهم . وكتم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الناس الخبر ، فلم يعلم به الا خواصه .

ابو سفيان مبعوث قريش الى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

ندمت قريش على ما صنعت بخزاعة ، وعرفت ان ذلك انقضاء ما بينهم وبين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من العهد ، ومشى الحارث بن هشام وعبد الله بن ابي ربيعة الى ابي سفيان فقالا له : ان هذا امر لا بد له أن يصلح ، والله ان لم يصلح لا يروعكم الا محمد في اصحابه . قال ابو سفيان : هذا والله لم اشهده ولم اغب عنه ـ على حد زعمه ـ لا يُحمل هذا الا علي ، ولا والله ما شوورت ولا هونت حيث بلغني ، والله ليغزونا محمد إن صدق ظني . . . ومالي بد أن آتي محمداً فاكلمه ان يزيد في الهدنة ، ويجدد العهد قبل ان يبلغه هذا الأمر . قالت قريش : قد والله اصبت .

فخرج ابو سفيان وخرج معه مولى له على راحلتين ، واسرع السير نحو المدينة وهو يرى أنه أول من خرج من مكة الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

دخل ابو سفيان على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا محمد اني كنت غائباً في صلح الحديبية ، فاشدد العهد وزدنا في المدة .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ولذلك قدمت يا ابا سفيان ؟! قال : نعم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : فهل كان قبلكم حدث ؟ فقال : معاذ الله . . .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : فنحن على موثقنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدل .

فقام ابو سفيان من عنده فدخل على ابنته ام حبيبة ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طوته دونه ، فقال متعجباً : ارغبت بهذا الفراش عني . . . ام رغبت بي عنه ؟! فقالت : بل هو فراش رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وانت امرؤ نجس مشرك . قال : يا بنية ، لقد اصابك بعدي شر . فقالت ان الله هداني للإسلام ، وانت يا ابتي سيد قريش وكبيرها ، كيف يخفى عنك فضل الاسلام ، وتعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر ! فقال : يا عجباً ! . . وهذا منك ايضاً . . . أأترك ما كان يعبد آبائي واتبع دين محمد . . . !

ثم قام من عندها فلقي ابا بكر فكلمه أن يكلم له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : ما انا بفاعل . ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه ، فقال عمر له مثل ذلك .

ثم دخل على علي بن ابي طالب (عليه السلام) وعنده فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعندها حسن غلام يدب بين يديها[1] فقال : يا علي انك امس القوم بي رحماً ، واقربهم مني قرابة ،

---

(١) وفي رواية كان بين يدي علي وفاطمة كل من الحسن والحسين (عليهم السلام) وهذه القصة ذكرها جميع المؤرخين واصحاب السير بتفاوت قليل في بعض العبارات .

وقد جئت في حاجة فلا ارجعن كما جئت خائباً ، فاشفع لي الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . .

فقال علي (عليه السلام) : ويحك يا ابا سفيان ، والله لقد عزم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه .

فالتفت ـ ابو سفيان ـ الى فاطمة فقال : يا بنت محمد . . . هل لك أن تأمري بُنيك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب الى آخر الدهر . . ؟

فقالت : ـ فاطمة (عليها السلام) ـ والله ما بلغ بُني ذلك . . ان يجير بين الناس ، وما يجير احد على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فقال ـ ابو سفيان ـ يا ابا الحسن اني ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني ؟

فقال علي : والله ما اعلم شيئاً يغني عنك ، ولكنك سيد بني كنانة ، فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك . فقال : اوترى ذلك مغنياً عني شيئاً ؟ قال ـ علي ـ : لا والله ، ما اظن . . . ولكن لا اجد لك غير ذلك .

فقام ابو سفيان في المسجد فقال : ايها الناس اني قد اجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق عائداً الى مكة .

فلما ان قدم على قريش قالوا له : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً

فكلمته ، فوالله ما رد علي شيئاً . . . ثم جئت ابن ابي قحافة ، فوالله ما وجدت فيه خيراً ، ثم جئت عمراً فـوجدتـه ادنى عدو . ثم جئت علياً فوجدته الين القوم ، وقد اشـار علي بـامر صنعتـه ، فوالله مـا ادري هل يغني عنـا شيئاً ام لا ؟! قـالوا بمـاذا أمرك ؟ قـال : امرني ان اجـير بـين الناس ، ففعلت . قالوا : هل اجـاز ذلك محمـد ؟ قال : لا . قـالوا : ويحك يا ابا سفيان ازادك الرجل على أن لعب بك . . . فما يغني عنا مـا قلت ، فقال : لا والله ما وجدت غير ذلك .

قصة حاطب ابن ابي بلتعة

روى صاحب شرح النهج عن الواقدي انه لما اجمع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المسير الى قريش ، وعلم بذلك من علم من الناس ، كتب حاطب ابن ابي بلتعة الى قريش يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أمرهم . واعطى الكتاب امرأة من مزينة ، وجعل لها على ذلك جعلاً على ان تبلغه قريشاً ، فجعلت الكتاب في رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها وخرجت به .

واتى الخبر الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من السماء بما صنع حاطب ﴿ **يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ـ ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ـ لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ـ قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم**

العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده . . . ﴾[1] .

فلما نزلت هذه الآيات بعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) والزبير فقال : ادركا امرأة من مزينة قد كتب معها حاطب كتاباً يحذر قريشاً فخرجا وادركاها بذي الحليفة[2] فاستنزلاها والتمسا الكتاب في رحلها فلم يجدا شيئاً ، فقالا لها : نحلف بالله ما كذب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا كذبنا ، ولتخرجن الكتاب او لنكشفنك .

فلما رأت منهما الجد حلت قرونها ، واستخرجت الكتاب فدفعته اليهما . فاقبلا به الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدعا حاطباً وقال له : ما حملك على هذا ؟ .

فقال : يا رسول الله ، والله اني لمسلم مؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم اصل ولا عشيرة ، وكان لي بين اظهرهم اهل وولد ، فصانعتهم . فقال عمر قاتلك الله ! اترى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش تحذرهم . . . دعني يا رسول الله اضرب عنقه ، فانه قد نافق . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[3] .

اقول : اغلب الظن أن قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

(١) سورة الممتحنة : آية ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ
(٢) وفي رواية بذي الخليقة ـ اسم مكان .
(٣) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٧ ـ ص ـ ٢٦٦ .

لعمر بن الخطاب : « ان الله خاطب اهل بدر ـ اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » هذه الرواية لعلها من الروايات الموضوعة التي وضعها المغرضون من اصحاب الاهواء والميول، مرادهم بذلك تغطية الكثير من الجرائم والمخالفات والانحرافات التي ارتكبها بعض من حضر معركة بدر .

وليس من منطق الإسلام ان يسمح الله للناس بارتكاب الجرائم والمخالفات ، ويغفر لهم جميع الخطايا والذنوب بمجرد انهم اشتركوا في معركة بدر التي أعز الله بها المسلمين ـ ونسي الوضاعون ان الله سبحانه وتعالى حدد موقف الإسلام من المحسنين والمسيئين بقوله عز من قائل : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ـ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾[1] .

وفي مجمع البيان للطبرسي ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ارسل الى حاطب فاتاه . فقال له : هل تعرف الكتاب ، قال : نعم . قال : فما حملك على ما صنعت؟ قال : يا رسول الله والله ما كفرت منذ اسلمت ، ولا غششتك منذ نصحتك ، ولا احببتهم منذ فارقتك ، ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته ، وكنت عريراً ـ غريباً ـ فيهم ، وكان اهلي بين ظهرانيهم ، فخشيت على اهلي ، فاردت ان اتخذ عندهم يدا ، وقد علمت ان الله ينزل بهم بأسه ،وان كتابي لا يغني عنهم شيئاً . فصدقه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعذره .

---

(١) سورة الزلزال : آية ٧ ـ ٨ .

اقول : ليس عفو النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) عن حاطب لأنه حضر معركة بدر . . . فان عفو النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) شمل جميع الـذين اظهروا الإســلام ، واساءوا اليـه من قبل ، كـالمؤلفة قلوبهم وغيرهم . من طواغيت قريش .

مسير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى مكة

امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس بالتهيوء للحرب ، وطوى عنهم الوجه الذي يريده وارسل (صلى الله عليه وآله وسلم) الى اهل البادية ومن حوله من المسلمين في كل ناحية يقول لهم : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة كما أسلفنا

ثم قدمت المدينة من قبائل العرب ، اسلم ، وغفار ، ومزينة ، واشجع وجهينة . . .فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها .

وفي رواية قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اللهم خذ على اسماعهم وابصارهم فلا يرونا إلا بغتة ، ولا يسمعون بنا الا فجأة . . . واخذ بانقاب الطرق واوقف بكل طريق جماعة ليعرف من يمر بها وقال لهم : لا تدعوا احدا يمر بكم تنكرونه الا رددتموه .

ثم خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سفره ، واستخلف على المدينة كلثوم بن حصين الغفاري ، وقيل : ابن ام مكتوم .

ولما وصل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الابواء أو قريباً

منها ، لقيه ابو سفيان ابن عمه الحارث بن عبد المطلب[١] ولقيه عبد الله بن امية بن المغيرة ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب[٢] اخ سلمة . وكان مجيء الحارث وعبد الله الى النبي (صلى الله عليه وسلم) يريدان الإسلام ، وكانا من اكبر القائمين على رسول الله اشد الناس اذية له بمكة . فكلمته ام سلمة فيهما قائلة له : يا الله ، لا يكون ابن عمك وابن عمتك ـ صهرك ـ اشقى الناس بك

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا حاجة لي بهما ، اما عمي ـ يعني ابا سفيان ـ فهتك عرضي . واما ابن عمتي وصهري ـ عبد الله اخا ام سلمة ـ فهو الذي قال لي بمكة : والله لا آمنت ب محمد حتى تتخذ سلماً الى السماء فتعرج فيه وانا انظر اليك ، فتأتي واربعة من الملائكة يشهدون لك ان الله ارسلك . . . إلى آخره .

فلما خرج الخبر اليهما قال ابو سفيان ومعه ابن له : والله ليأذ محمد او لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت وعطشاً .

فلما بلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رق ا اذن لهما ، فدخلا عليه واسلما ، وقبل (صلى الله عليه وآله و اسلامهما .

---

(١) ابو سفيان ابن عمه الحارث ، وكان الحارث اكبر اولاد عبد المطلب يكنى عبد المطلب به وكان ابو سفيان اخا الرسول (صلى الله علي وسلم) من الرضاعة على حليمة .

(٢) عبدالله بن امية امه عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي (صلى الله علي وسلم) ، واخت عبدالله هذا ام سلمة ام المؤمنين (رضي الله عنها) .

وقيل ان علياً (عليه السلام) قال لأبي سفيان : إئت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل وجهه ، فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف : « تالله لقد آثرك الله علينا ، وان كنا لخاطئين » فانه (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يرضى ان يكون احد احسن قولا منه . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين » وكان ابو سفيان بعد ذلك لا يرفع رأسه الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حياء منه لأنه عاداه نحو عشرين سنة يهجوه ولم يتخلف عن قتاله[1] .

وفي شرح النهج عن الواقدي : لما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة بالالوية المعقودة والرايات بعد العصر من يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر رمضان[2] لم يحل عقده حتى انتهى الى صلصل[3]، والمسلمون يقودون الخيل ، وقد امتطوا الابل ، وقدم امامه الزبير بن العوام في مائتين .

فلما كان (صلى الله عليه وآله وسلم) بالبيداء نظر الى عنان السماء ، فقال : اني لارى السحابة تستهل[4] بنصر بني كعب - يعني خزاعة .

---

(١) السيرة الحلبية : ج٣ - ص ٨٩ .

(٢) وقيل لليلتين ، وقيل لاثنتين عشرة ، وقيل ثلاث عشرة ، وقيل سبع عشرة ، وقيل غير ذلك .

(٣) صلصل بنواحي المدينة - على سبعة اميال منها نزل بها (صلى الله عليه وآله وسم) يوم خرج من المدينة الى مكة عام الفتح - ياقوت .

(٤) استهل السحاب : اذا كثر انصبابه .

وجاء كعب بن مالك ليعلم اي جهة يقصد . . .؟ فبرك بين يديه على ركبتيه ثم انشده ابياتاً منها :

قضينا من تهامة كل نحب[1] وخيبر ثم احمينا السيوفا
فسائلها ولو نطقت لقالت قواضبهن دوسا اوثقيفا

فتبسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يزد على ذلك ، فجعل الناس يقولون : والله ما بين لك رسول الله شيئاً ، فلم تزل الناس كذلك حتى نزلوا بمر الظهران .

وخرج العباس بن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل من مكة يطلبان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ظناً منهما انه بالمدينة ، فلقياه بالسقيا .

وفي السيرة الحلبية : ان العباس بن عبد المطلب خرج بعياله مسلماً مهاجراً ، فلقي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالجحفة ، وقيل بذي الحليفة فرجع معه الى مكة ، وارسل اهله وثقله الى المدينة ، وقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : هجرتك يا عم آخر هجرة . . . كما أن نبوتي آخر نبوة .

---

(١) النحب : النذر .

تجسس ابو سفيان لقريش والتقائه بالعباس

جاء في شرح النهج عن الواقدي : لما وصل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مر الظهران لم يبلغ قريشاً حرف واحد من حاله ، ولما نزل بمر الظهران امر اصحابه ان يوقدوا النار ، فاوقدوا عشرة آلاف نار .

واجمعت قريش ان يبعثوا ابا سفيان يتجسس لهم الاخبار ، فخرج هو وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء .

وقد كان العباس بن عبد المطلب قال : واسوء صباح قريش ! والله ان دخلها ـ مكة ـ رسول الله عنوة انه لهلاك قريش آخر الدهر .

قال العباس : فاخذت بغلة رسول الله الشهباء فركبتها ، وقلت : التمس حطابا ، او انساناً ابعثه الى قريش فيلقوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل أن يدخلها عليهم عنوة ! فوالله اني لفي الاراك ليلا ابتغي ذلك اذ سمعت كلاماً يقول : والله ان رأيت كالليلة ناراً ، يقول بديل بن ورقاء : انها نيران خزاعة جاشها[1] الحرب . قال العباس : يقول ابو سفيان : خزاعة اذل من ان تكون هذه نيرانها

(١) جاشها الحرب : افزعها . وفي رواية حمشتها الحرب ، وحمشتها بالحاء المهملة والشين المعجمة ، احرقتها واشتدت عليها ، من الحماسة وهي الشدة .

وعسكـرها ، فعـرفت صوتـه ، فقلت : ابا حنـظلة ! فعـرف صـوتي ، فقال : لبيك ابا الفضـل ، فقلت : ويحـك ! هذا رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) في عشـرة آلاف ، وهو مصبِّحكم . . . فقـال : بـابي وامي ، فهـل من حيلة ؟! فقلت : نعم ، تـركب عجـز هـذه البغلة ، فاذهب بك الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فانه ان ظفر بك دون ذلك ليقتلنك ، قال : والله انا ارى ذلك .

فركب ابو سفيـان خلفي ، ورحل بـديل وحكيم . فتـوجهت به ، فكلما مررت به على نار من نيران المسلمين قالوا : من هـذا ؟ فاذا رأوني قالوا : عم رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسم) عـلى بغلة رسول الله حتى مـررت بنار عمـر بن الخطاب ، فلما رآني قـال : من هذا ؟ قلت : العباس . . . فذهب ينظر فرأى ابـا سفيان خلفي ، فقـال : ابو سفيـان عدو الله ! . . الحمد لله الذي امكن منك بغير عهد ولا عقـد ! ثم خرج يشتـد نحو رسـول الله (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) ، وركضت البغلة حتى اجتمعنـا جميعـاً عـلى بـاب قبـة رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) ، فدخلت ودخل عمر بن الخطاب على اثري ، فقال عمر : يـا رسـول الله هذا ابـو سفيان عـدو الله قـد امكن الله منـه بغـير عقـد ولا عهد ، فدعني اضرب عنقه . فقلت : يا رسول الله ، اني قـد اجرتـه ، ثم لـزمت رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلــه وسلم) فقلت : والله لا يناجيه الليلة احد دوني ، فلما اكثر عمـر فيه قلت : مهـلاً يا عمـر . . ! فانه لو كان رجلاً من عدي بن كعب ما قلت هذا ، ولكنه احد بني عبد مناف .

فقال عمر : مهلاً يا ابا الفضل ، فوالله لاسـلامـك كان احب الي

من اسلام الخطاب ـ او رجل من ولد الخطاب ـ لو اسلم ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اذهب به فقد اجرناه . . . فليبت عندك حتى تغدوا به علينا اذا صبحت .

قال العباس : فلما اصبحت غدوت به، فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ويحك يا ابا سفيان ! الم يأن لك ان تعلم أن لا إله الا الله . . . !

قال بابي انت وامي ما احلمك ، واكرمك ، واعظم عفوك ! قد كان يقع في نفسي ان لو كان مع الله إله آخر لا غنى . . .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم اني رسول الله !

قال : بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واعظم عفوك ! اما هذه فوالله ان في النفس منها لشيئاً بعد .

قال العباس : فقلت ويحك يا ابا سفيان ! تشهد وقل لا إله إلا الله محمد رسول الله قبل ان تقتل . فتشهد[1] خوفاً من القتل . واظهر الإسلام ابقاء على نفسه واهله كغيره من المؤلفة قلوبهم .

قال العباس : يا رسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً ، قال : نعم . من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن اغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ، ومن القى سلاحه فهو آمن .

---

(١) شرح نهج البلاغة ـ لابن ابي الحديد ـ ج١٧ ـ ص ١٦٩ .

فلما ذهب لينصرف قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا عباس ، احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل[1] حتى تمر به جنود الله فيراها .

قال العباس : فخرجت به حتى حبسته بمضيق الوادي ، حيث امرني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان احبسه .

مرور جيوش المسلمين بابي سفيان

حينما امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العباس بن عبد المطلب بان يذهب بابي سفيان فيحبسه عند خطم الجبل حتى تمر به جنود المسلمين فيراها ، ليحدث قومه بها عن بينة وذلك لتكف قريش عن القتال والمقاومة ، اياً كان نوعها ، وهذا دليل على دقة ملاحظة الرسول القائد ومهارته ، وبعد نظره في كسب اكبر موقعة في تاريخ الإسلام من غير حرب ، ومن غير اراقة دماء .

جاء في شرح النهج عن العباس أنه قال : عدلت بابي سفيان في مضيق الوادي الى خطم الجبل حيث امرني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فحبسته هناك ، فقال : أغدراً يا بني هاشم . . . !؟ فقلت له : ان اهل النبوة لا يغدرون ، وانما حبستك لحاجة . . .

---

(١) خطم الجبل : انف الجبل ، وهو شيء يخرج منه ، يضيق به الطريق ، وفي رواية اخرى : ـ عند حطيم الجبل ـ بالحاء المهملة ـ وهو موضع ضيق تتزاحم فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضا .

فقال ـ ابو سفيان ـ فهلا بدأت بها اولا فاعلمتنيها . . . فكان افرخ لروعي[1] .

وعن العباس بن عبد المطلب كما في سيرة ابن هشام وغيره انه قال : ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : ـ ابو سفيان ـ يا عباس ، من هذه ؟ فاقول : سليم ، فيقول : مالي ولسليم . ثم تمر القبيلة فيقول : يا عباس ، من هذه ؟ فاقول : مزينة ، فيقول : ما لي ولمزينة . حتى نفذت القبائل ، ما تمر به قبيلة الا يسألني عنها ، فاذا اخبرته بهم ، قال : مالي ولبني فلان ، حتى مرَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والانصار ، لا يُرى منهم الا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله . . يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المهاجرين والانصار . قال : ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة . . . والله يا ابا الفضل ، لقد اصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيماً ، قلت : يا ابا سفيان . . . انها النبوة . قال : فنعم اذن .

قال : قلت : النجاء[2] الى قومك ، حتى اذا جاءهم صرخ باعلى صوته يا معشر قريش . . . هذا محمد قد جاءكم فيها لا قبل لكم به ، فمن دخل دار ابي سفيان فهو آمن .

---

(١) يقال : افرخ روعك : اي ليذهب رعبك . ومن هنا يظهر مدى الرعب والخوف الذي لحق بابي سفيان عندما شاهد جيش المسلمين القادم لفتح مكة .

(٢) النجاء : السرعة . ومعناها اسرع الى قومك واخبرهم بالذي رأيت وحذرهم حتى لا تكون مقاومة ، ويسلموا وتحقن دماؤهم .

فقامت اليه زوجته هند بنت عتبة ، فاخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحميت الدسم الاحمس[1] ، قبحٌ من طليعة قوم[2] قال : ويلكم لا تغرنكم هذه من انفسكم ، فانه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ، وما تغني عنا دارك ! . .

قال : ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن . فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد .

(١) الحميت : زق السمن . والدسم : الكثير الودك . والاحمس هنا : الشديد اللحم . والمعنى على تشبيهه الرجل بالزق ، لعبالته وسمنه .
(٢) طليعة القوم : الرجل الذي يحرس القوم .

وصول النبي (ص) الى ذي طوى ودخوله مكة

سار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كتيبة الخضراء يحيط به المهاجرون والانصار الذين يفدونه بالمهج والارواح ، تتقدمه القبائل براياتها ، وخيلها وعدتها ، تنحدر نحو مكة كالسيل ، يحدوهم الايمان ، وترتفع اصواتهم بالتهليل والتكبير .

كادت الجبال تتصدع خشية ورهبة . . . من هتاف عشرة آلاف من المسلمين مرددين . . . « الله اكبر ، الله اكبر ، لا إله الا الله . . . والله اكبر » .

سار محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في الجيش المتشوق لدخول مكة المكرمة ، والطواف بالبيت العتيق ، لا سيما المهاجرين منهم الذين أُخرجوا من ديارهم قبل ثمانية اعوام ، حيث كانت طواغيت قريش تطارد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه المسلمين ، وتكيل لهم شتى انواع الاساءة والاذى . . . حتى خرج صلوات الله عليه وآله في جوف الليل متجها نحو يثرب التي وجد فيها انصاراً له مخلصين عاهدوه على بذل المهج والارواح ، ليمنعوه من قريش واحلافها ومن كل من يضمر للإسلام كيداً .

وما ان انتهى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى ذي طوى حتى استوقف الجيش ووقف هو على راحلته منحنياً شاكراً لله سبحانه على

نعمـه وآلائه وان الله سيفتـح عليه مكـة ، مهبط الوحي والتنـزيل . . . ومقر البيت الحرام ليدخله وفي صحبته المسلمين آمنين مطمئنين .

في تلك اللحـظات التـاريخيـة اصـدر النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) اوامره الى الجيش الزاحف على مكة ، واوصـاهم بان لا يسفـك احد دماً الا اذا اكره على القتال اكراهاً واضطر اليه اضطراراً .

وذكـر النويـري في نهاية الأرب انـه لما انتهى رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى ذي طوى[1] وقف على راحلته معتجراً[2] بشقة برد حبرة[3] ، وانه ليضع رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى مـا اكرمـه الله به من الفتح ، حتى ان عثنونه [4] ليكاد يمس واسط الرحل .

ثم فرق رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) الجيش من ذي طوى ، وكانت راية رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) يومئـذٍ مع سعد بن عبادة ، فامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الـزبير بن العـوام وكـان عـلى المجنبـة اليسـرى ان يـدخـل في بعض النـاس من كدى[5] ، وامر سعد بن عبادة ان يدخل ببعض الناس من كداء[6] .

فلما توجه سعد لدخول مكة قـال : ـ اليوم يـوم الملحمة . . . اليـوم تستحل الحرمة ، فسمعها رجـل من المهاجـرين فقال : يـا رسول الله ،

(١) ذو طوى : موضع قرب مكة .
(٢) الاعتجار : التعمم بغير ذؤابة .
(٣) الحبرة : ضرب من ثياب اليمن .
(٤) العثنون : جمع عثانين : اللحية ـ المنجد في اللغة .
(٥) كدى : جبل باسفل مكة .
(٦) كداء : جبل باعلى مكة .

اسمع ما قال سعد بن عبادة ، ما نأمن ان يكون له في قريش صولة . . .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) : « ادركه فخذ الراية منه ، فادخل انت بها » .

وذكر يحيى بن سعيد الاموي في السير : ان سعد بن عبادة لما اخذ الراية مرَّ على ابي سفيان ، . فقال سعد اذ نظر اليه :

اليوم يوم الملحمة . . . اليوم تستحل الحرمة . . . اليوم اذل الله قريشاً . . .

فاقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كتيبة الانصار حتى اذا حاذى ابا سفيان ناداه : يا رسول الله ، امرت بقتل قومك ؟! فانه زعم سعد ومن معه حين مر بنا أنه قاتلنا ، وقال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم اذل الله قريشاً . واني انشدك الله في قومك ، فانت ابر الناس ، واوصلهم ، وارحمهم .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا ابا سفيان ، اليوم يوم المرحمة . . . اليوم اعز الله فيه قريشاً . وانشد ضرار بن الخطاب الفهري يومئذٍ ابياتا من الشعر حين سمع قول سعد استعطف فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على قريش :

يا نبي الهدى اليك لجا[1] حي قريش ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الار ض وعاداهم إله السماء

(١) لجأ ـ مهموز ـ وتركه هنا للوزن .

ان سعداً يريد قاصمة الظهر ... باهل الحجون والبطحاء
خزرجي لو يستطيع من الغيظ ... رمانا بالنسر والعواء[1]
فانهينه فانه اسد الاسد ... لدى الغاب والغ في الدماء
انه مطرق يريد لنا الأمر ... سكوتا كالحية الصماء[2]

قال ضرار : فارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى سعد بن عبادة فنزع اللواء من يده . . .

وامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خالد بن الوليد ، وكان على المجنبة اليمنى ان يدخل ببعض الناس من الليط ـ اسفل مكة ـ وكان معه اسلم وسليم وغفار وجهينة ومزينة وقبائل من العرب .

واقبل ابو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ودخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أذاخر[3]، حتى نزل باعلى مكة ، وضربت له هناك قبة ، نهى عن القتال .

وعبر جيش المسلمين من الاماكن التي امرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يعبروا منها لم يلقوا كيدا ، الا خالد بن الوليد فان صفوان بن امية ، وعكرمة بن ابي جهل ، وسهيل بن عمرو جمعوا جمعاً من قريش ، ووقفوا بالخندمة[4] ليقاتلوا خالد بن الوليد ويمنعوه من

---

(١) النسر والعواء : كوكبان .
(٢) الحية الصماء : التي لا تنفع منها الرقية ، وهي اخبث الحيات واضرها .
(٣) اذاخر : ثنية بين مكة والمدينة .
(٤) الخندمة : جبل بمكة له يوم معروف .

الدخول وشهروا السلاح ورموا بالنبل ، فصاح خالد في اصحابه وقاتلهم ، فقتل اربعة وعشرين رجلاً من قريش ، واربعة نفر من هذيل وانهزموا اقبح هزيمة .

فلما ظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ثنية اذاخر رأى البارقة[1] فقال : « الم انه عن القتال . . ؟ » فقيل : يا رسول الله ، ان خالد بن الوليد قوتل فقاتل . فقال : « قضاء الله خير » .

وقتل من المسلمين رجلان كانا سلكا طريقاً غير طريق خالد فقتلا ، وهما كرز بن جابر الفهري ، وحبيش بن خالد الخزاعي[2] .

وفي شرح النهج عن الواقدي : خرج اهل مكة الى ذي طوى ينظرون الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وانضوى الى صفوان بن أمية ، وعكرمة بن ابي جهل ، وسهيل بن عمرو ناس من اهل مكة ومن بني بكر وهذيل ، فلبسوا السلاح ، واقسموا الا يدخل محمد مكة عنوة ابداً . وكان رجل من بني الدؤل يقال له : « حماس بن قيس بن خالد الدؤلي » لما سمع برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جلس يصلح سلاحه ، فقالت له امرأته : لم تعد السلاح ؟ قال : لمحمد واصحابه ، واني لأرجوا ان أخدمك منهم خادماً ، فانك اليه محتاجة . قالت : ويحك لا تفعل ! لا تقاتل محمدا ، والله ليصلن هذا عنك لو رأيت محمدا واصحابه ! قال : سترين .

(١) البارقة : السيوف .
(٢) نهاية الارب في فنون الادب للنويري ج ١٧ ـ ص ٣٠٥ ودخول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى مكة ذكره جميع المؤرخين واصحاب السير وغيرهم من المؤلفين باختلاف بسيط في العبارات .

واقبل ابن خطل ـ الذي انضوى الى صفوان وعكرمة وسهيل ـ مدججا في الحديد على فرس ذنوب بيده قناة يقول : لا والله لا يدخلها ـ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ عنوة حتى يرى ضرباً كافواه المزاد[1] . فلما انتهى الى الخندمة ورأى القتال دخله رعب حتى لا يستمسك من الرعدة ، وفر هارباً حتى انتهى الى الكعبة ، فدخل بين استارها بعد ان طرح سلاحه وترك فرسه .

واقبل حماس بن خالد الدؤلي منهزماً حتى اتى بيته فدقه ، ففتحت له امرأته فدخل وقد ذهبت روحه ، فقالت له : اين الخادم الذي وعدتني ؟ اما زلت منتظرتك منذ اليوم ـ تسخر به ! قال : دعي عنك ، اغلقي الباب ، فانه من اغلق بابه فهو آمن ، قالت : ويحك الم أنهك عن قتال محمد . . . وقلت لك : اني ما رأيته يقاتلكم مرة الا وظهر عليكم . . . وما بابنا ؟! قال : انه لا يفتح على احد بابه ثم انشدها

انك لو شهدتنا بالخندمة ... اذ فر صفوان وفر عكرمة
وضربتنا بالسيوف المسلمة[2] ... يقطعن كل ساعد وجمجمة
لهم زئير خلفنا وغمغمة ... لم تنطقي في اللوم ادنى كلمة

وجعلت خيل المسلمين تعج بذي طوى في كل وجه .

ومر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ببنات سعيد بن العاص ـ وفي رواية بنات ابي احيحة ـ والخيل تعج ما بين الخندمة الى الحجون وقد نشرن رؤوسهن يلطمن وجوه الخيل بالخُمرُ . فتبسم رسول

---

(١) المزاد : جمع المزاده ، وهي الراوية ـ القربة ـ .
(٢) المسلمة اراد بها المسلمين .

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتفت الى اسيد بن حضير ، فقال : كيف قال حسان بن ثابت ؟ فانشده :

عدمنا خيلنا ان لم تروها   تثير النقع موعدها كداء[1]
تظل جيادنا متمطرات   تلطمهن بالخمر النساء[2]

وذكر الواقدي في مغازيه عن جابر بن عبد الله ، قال : كنت ممن لزم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فدخلت معه يوم الفتح من اذاخر ، فلما اشرف على اذاخر نظر الى بيوت مكة ، ووقف عليها ، حمد الله واثنى عليه ونظر الى موضع قبته فقال : هذا منزلنا يا جابر ، حيث تقاسمت علينا قريش في كفرها .

قال جابر : فذكرت حديثاً كنت اسمعه منه (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل ذلك بالمدينة : « منزلنا غدا ان شاء الله اذا فتح الله علينا مكة في الخيف[3] حين تقاسموا على الكفر » . وكنا بالابطح تجاه شعب ابي طالب حيث حُصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبنو هاشم ثلاث سنين .

وعن الواقدي ايضاً : كان ابو رافع ـ مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ قد ضرب لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبة بالحجون من أدم ، فاقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

(١) النقع : الغبار .
(٢) متمطرات : مسرعات ـ والخمر : جمع خمار .
(٣) الخيف : هو بطحاء مكة ، وقيل مبتدأ الابطح ، وهو الحقيقة فيه ، لأن اصله ما انحدر من الجبل وارتفع من المسيل ـ . معجم البلدان ـ ج ٣ ـ ص ٥٠٠

حتى انتهى الى القبة، ومعه ام سلمة وميمونة .

وكانت ام هاني بنت ابي طالب تحت هبيرة بن ابي وهب المخزومي فلما كان يوم الفتح دخل عليها حموان لها : عبد الله بن ابي ربيعة والحارث بن هشام المخزوميان ، فاستجارا بها ، وقالا : نحن في جوارك . فقالت : نعم .

قالت ام هاني فهما عندي اذ دخل علي فارس مدجج في الحديد ولا اعرفه ، فقلت له : انا بنت عم رسول الله ، فاسفر عن وجهه ، فاذا علي اخي ، فاعتنقته . ونظر اليهما فشهر السيف عليهما . فقلت : اخي من بين الناس تصنع بي هذا ؟ فالقيت عليهما ثوباً ، فقال : اتجيرين المشركين ؟! فحلت دونهما وقلت : لا والله وابتديء بي قبلهما ، قالت : فخرج ولم يكد ، فاغلقت عليهما بيتاً ، وقلت : لا تخافا .

فذهبت الى خباء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالبطحاء ، فلم اجده ، ووجدت فيه فاطمة فقلت : ماذا لقيت من ابن امي علي ؟! أجرت حموين لي من المشركين فتفلت عليهما ليقتلهما !

قالت : فكانت فاطمة اشد علي من زوجها وقالت : تجيرين المشركين ؟!

قالت : إلى ان طلع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعليه رهجة[1] الغبار ، فقال : مرحباً بفاختة[2] ام هاني . . . فقلت : ماذا

---

(١) الرهجة : آثار الغبار . (القاموس) المحيط .

(٢) وفي الأصل : « بناجية ام هاني ـ شرح ـ المغازي للواقدي » .

لقيت من ابن امي علي ؟ ما كدت انفلت منه ! اجرت حموين لي من المشركين ، فتفلت عليهما ليقتلهما . . .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : قد أمّنّا من أمّنت ، واجرنا من اجرت .

قالت : فرجعت اليهما فاخبرتهما وقلت لهما : ان شئتما فاقيما ، وان شئتما فارجعا الى منازلكما . قالت : فاقاما عندي يومين في منزلي ، ثم انصرفا الى منازلهما . قالت : فكنت اكون مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في خبائه بالابطح حتى خرج الى حنين . فأتى آت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا رسول الله ، الحارث بن هشام وابن ابي ربيعة جالسان في ناديهما متفضلان[1] في الملاء المزعفر[2] . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا سبيل اليهما قد أمناهما [3].

والحارث بن هشام وابن ابي ربيعة من جملة الذين امر النبي بقتلهم قبل دخوله مكة . على ما سيأتي .

(١) التفضل : التوشح وان يخالف اللابس بين اطراف ثوبه على عاقة . لسان العرب .
(٢) الملاء : جمع ملاءة وهي الريطه ، اي الثوب اللين . (القاموس) المحيط .
(٣) المغازي للواقدي : ج٢ - ص ٨٣٠ .



وصول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الكعبة المقدسة

فتحت مكة ذراعيها لتستقبل ابنها البار « محمداً » النبي الكريم ، والقائد والفاتح العظيم . . . تنساب من خلفه حشود المسلمين المتعطشين لدخول مكة ورؤية بيت الله الحرام . .

هذه الحشود المتدفقة تنتظر من الرسول الكريم اقل اشارة ليميلوا بسيوفهم على طواغيت قريش الظالمة فلا تدع منهم (احداً) يمشي على وجه الأرض .

نزل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في قبته التي ضربت له بالحجون على مقربة من قبري اعز الناس عليه ، عمه الكفيل « ابي طالب » وزوجته المخلصة الوفية « خديجة » وكان قد سئل (صلوات الله عليه وآله) : هل يريد ان ينزل فيستريح في بيته ؟

فاجاب : وهل تركوا لي بمكة بيتاً ؟!

دخل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة فاتحاً منتصراً . . . وبدلا من ان يدخلها دخول الفاتحين المتجبرين ، شأن السلاطين المنتصرين . . . زهو الفاتح . . . ونشوة المنتصر . . . دخلها بخشوع العبد الشاكر ، المعترف بالجميل وقد طأطأ رأسه تواضعاً للباري سبحانه وهو يردد آيات الشكر والامتنان للخالق الديان ، على نعمه وآلائه .

لقد عاد الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) الى مكة اكبر معاقل الشرك عزيزاً منتصراً بعناية الله سبحانه . هـذا البلد الذي أذاقـه اهلها مرَّ العـذاب ، والوان الاذى ، واخـرجوه من ديـاره ومسقط رأسه ومن بين اهله واحبائه خائفاً يترقب .

وتمثلت له (صلوات الله عليه وآلـه وسلم) في تلك اللحظات كـل مـا قاسـاه خلال ثـلاثة عشـر عامـاً ، من بـدء الـدعوة حتى الهجـرة ، واجال ببصره بالجبال المحيطة بمكة وطـافت به الـذكريـات . . . في هذه الجبال التي كان يأوي اليها حين يشتد به اذى قريش ليبتعد عن ضوضاء مكة وطواغيتها .

هذا جبل حراء الذي كان يقضي فيه الليالي والايام الطوال يتحنف ويتعبـد عـلى (ملة) ابـراهيم الخليـل (عليـه السـلام) . . . بعيــداً عن المشركين .

حراء الذي شهـد لأول مرة الامـين جبريـل (عليه السـلام) نازلاً بالوحي من رب السماء ان ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق ـ خلق الانسان من علق ـ اقرأ وربك الأكـرم ـ الذي علم بـالقلم ـ علم الانسان مـا لم يعلم** ﴾ وبلغ من خضوعه (صلى الله عليه وآله وسلم) لله سبحانه ان ترقرقت في عينيه دمعة شكر للحق الذي لا حق الا هو واليه يرجع الامر كله .

ذكر صاحب شرح النهج عن الواقدي انـه قال : مكث رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قبته ـ التي ضربت له بـالحجون ـ سـاعة من النهار ، ثم دعا بـراحلته بعـد ان اغتسل وصـلى ، فأُدنيت الى بـاب

القبـة ، وخـرج وعليـه السلاح ، والمغفـر عـلى رأسـه ، وقـد صف لـه الناس ، فركبها والخيل تمعج[1] ما بين الخندمة الى الحجون .

فلما انتهى (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) الى الكعبـة تقـدم عـلى راحلتـه ، فـاستلم الـركن بمحجنـه[2] ، وكبـر . . . فكبـر المسلمـون لتكبيره . . . وعجوا بالتكبير حتى ارتجت مكة .

وجعـل رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) يشـير اليهم ان اسكتوا . . . والمشركون فوق الجبال ينظرون .

ثم طـاف (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) بـالبيت عـلى راحلتـه ، ومحمد بن مسلمة آخذ بزمامها ، وحـول الكعبة ثـلاثمائـة وستون صنـماً مرصوصة بالرصاص ، وكان هبل اعظمها ، وهو تجاه الكعبة على بابها ، واسـاف ونائلة حيث ينحـرون ويذبحـون الذبـائح ، فجعـل (صلى الله عليـه وآله وسلم) كلما يمـر بصنم منهـا يشـير بقضيب في يـده ويقـول : ﴿ جـاء الحق وزهق الباطـل ، ان الباطـل كان زهـوقـاً ﴾ فيقـع الصنم لوجهه .

ثم امر (صلى الله عليه وآله وسلم) بهبل فكسر وهـو واقف عليه ، فقال الزبير لأبي سفيان : يا ابا سفيان قد كسر هبل ، اما انك قـد كنت منـه يوم احـد في غرور حـين تزعم انـه قد أنعم . . . فقـال : دع هـذا عنك يا ابن العوام ، فقد ارى ان لو كان مع إله محمد غيره لكـان غير ما كان .

---

(١) تمعج : تسرع .
(٢) المحجن : العصا المنعطفة الرأس .

ثم انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلس ناحية من المسجد ، وارسل بلالا الى عثمان بن طلحة يأتيه بالمفتاح ـ مفتاح الكعبة ـ ، فقال عثمان : نعم .

فخرج الى امه وهي بنت شيبة ، فقال لها والمفتاح عندها يومئذ : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد طلب المفتاح ، فقالت : اعيذك بالله ان يكون الذي يذهب مأثرة قومه على يده ! فقال : فوالله لتأتيني به او ليأتينك غيري فيأخذه منك ، فادخلته في حجرتها ، وقالت : اي رجل يدخل يده ها هنا ! فبينما هما على ذلك اذ سمعت صوت ابي بكر وعمر في الدار ، وعمر رافع صوته حين رأى عثمان ابطأ . . . يا عثمان اخرج ، فقالت امه : خذ المفتاح فلئن تأخذه انت احب الي من ان يأخذه تيم وعدي ، فأخذه عثمان واتى به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلما تناوله بسط العباس بن عبد المطلب يده وقال : يا رسول الله ، بابي انت ، اجمع لنا بين السقاية والحجابة ، فقال : انما اعطيكم ما ترضون فيه ، ولا اعطيكم ما ترزؤ ن منه .

وذكر السيد محسن الامين في اعيان الشيعة انه اقبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الكعبة فاستلم الحجر الاسود ، وطاف بالبيت على راحلته ، وعلى الكعبة ـ وفي رواية ـ حولها ثلاثمائة وستون صنماً ، لكل حي من احياء العرب صنم ، فجعل كلما يمر بصنم منها يشير اليه بقضيب في يده ويقول : ﴿ **جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً** ﴾ فما اشار لصنم من ناحية وجهه الا وقع لقفاه ، ولا اشار لقفاه الا وقع لوجهه ، حتى مر عليها كلها . وكان اعظمها هبل وهو تجاه

الكعبة ، وفي رواية انه جعل يطعن في عينه بقوس في يده ويقرأ هذه الآية . ثم أمر به فكسر .

وكان المقام لاصقا بالكعبة ، فصلى خلفه ركعتين ثم امر به فوضع في مكانه . ثم جلس ناحية من المسجد وارسل بلالا الى عثمان بن طلحة أن يأتي بمفتاح الكعبة . فجاء به ، ففتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باب الكعبة ، وصلى فيها ركعتين ، وخرج فاخذ بعضادتي الباب والمفتاح معه فخطب الناس فقال :

« لا إله الا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده . . . ونصر عبده . . . وهزم الاحزاب وحده ، الا كل مأثرة او دم ، او مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين ، الاسدانة البيت ، وسقاية الحاج .

ثم قال : يا معشر قريش ، ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظيمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم خلق من تراب ، ثم تلا : ﴿ **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم** ﴾ .

يا معشر قريش ، ويا اهل مكة . . . ما ترون اني فاعل بكم ؟ قالوا : اخ كريم . . . وابن اخ كريم . . .

ثم قال : اذهبوا فانتم الطلقاء . فاعتقهم وقد كان امكنه الله من رقابهم عنوة ، فبذلك سموا الطلقاء .

وذكر صاحب الميزان في تفسيره انه لما دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون ان السيف لا يرفع عنهم .

واتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ووقف قائماً على باب الكعبة ، فقال :

« لا إله إلا الله وحده وحده ، انجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده . . . ألا ان كل مال او مأثرة ودم يدعى فهو تحت قدمي هاتين ، الاسدانة البيت وسقاية الحاج ، فانها مردودتان الى اهليهما الا ان مكة محرمة بتحريم الله لم تحل لاحد كان قبلي، ولم تحل لي الا ساعة من نهار ، وهي محرمة الى ان تقوم الساعة ، لا يختلى خلاها ، ولا يقطع شجرها ، ولا ينفر صيدها ، ولا تحل لقطتها الا لمنشد .

ثم قال: الا لبئس جيران النبي كنتم ، لقد كذبتم . . وطردتم . . واخرجتم . . وآذيتم . . . ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلوني . . . فاذهبوا فانتم الطلقاء .

فخرج القوم فكأنما أنشروا من القبور ، ودخلوا في الاسلام .

وعن ابن عباس قال : لما قدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى مكة ابى ان يدخل البيت وفيه الآلهة ـ الاصنام ـ فامر بها فاخرجت وصورة ابراهيم واسماعيل (عليهما السلام)، وفي ايديهما الازلام[1] فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : قاتلهم الله . . . اما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قط[2] .

---

(١) الازلام : القداح التي كان اهل الجاهلية يستقسمون بها .
(٢) الميزان في تفسير القرآن : للطباطبائي .

ذكر من امر رسول الله بقتلهم يوم فتح مكة وسبب ذلك ومن نجا منهم

ذكر ابن الاثير في تاريخه انه . . كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد امر يوم فتح مكة بقتل ثمانية رجال وان وجدوا تحت استار الكعبة . واربع نسوة .

فاما الرجال ، فمنهم ، عكرمة بن ابي جهل ، كان يشبه اباه في ايذاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعداوته ، والانفاق على محاربته ، فلما فتح رسول الله (صى الله عليه وآله وسلم) مكة خاف على نفسه ، فهرب الى اليمن ، واسلمت امرأته ام حكيم بنت الحرث بن هشام فأستأمنت له ، وخرجت في طلبه ، وادركت عكرمة وهو يريد ركوب البحر ، فقالت : جئتك من عند اوصل الناس ، واحلمهم، واكرمهم ، وقد أمنك ، فارجع . . . فرجع .

فلما قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سر به ، فاسلم ، وسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يستغفر له فاستغفر .

ومنهم صفوان بن امية بن خلف ، وكان ايضاً شديداً على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فهرب خوفاً منه الى جدة ، فقال عمير بن وهب الجمحي : يا رسول الله ان صفوان سيد قومه ، وقد خرج هارباً منك فأمنه . قال : هو آمن واعطاه عمامته التي دخل بها مكة ليعرف بها

امانه . فخرج بها عمير فادركه بجدة ، فاعلمه بامانه ، وقال : انه احلم الناس ، واوصلهم ، وانه ابن عمك عزه عزك ، وشرفه شرفك ، قال : اني اخافه على نفسي ، قال : هو احلم من ذلك .

فرجع صفوان وقال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ان هذا يزعم انك أمنتني ، قال (صلى الله عليه وآله وسم) : صدق . ثم اسلم بعد ذلك وتوفي بمكة عند خروج الناس الى البصرة يوم الجمل .

ومنهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح من بني عامر بن لؤي ، وكان قد اسلم وكتب الوحي الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فكان اذا املى عليه ـ عزيز حكيم ـ يكتب عليم حكيم ، واشباه ذلك . ثم ارتد ، وقال لقريش : اني اكتب احرف محمد في قرآنه حيث شئت . . . ودينكم خير من دينه . فلما كان يوم الفتح فر الى عثمان بن عفان ، وكان اخاه من الرضاعة ، فغيبه عثمان حتى اطمأن الناس ، ثم احضره عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وطلب له الامان ، فصمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طويلاً ، ثم أمنه ، فاسلم وعاد . فلما انصرف قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لاصحابه : لقد صمت ليقتله احدكم ، فقالوا : هلا اومأت الينا ؟!

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما كان للنبي ان يقتل بالاشارة . . . ان الانبياء لا يكون لهم خائنة الا عين .

ومنهم عبد الله بن خطل ، وكان قد اسلم فارسله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مصدقاً ومعه رجل من الانصار وغلام له رومي قد اسلم ، فكان الرومي يخدمه ويصنع له الطعام فنسي يوماً ان يصنع له

طعاماً فقتله وارتد ، وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . فقتله سعيد بن حريث المخزومي ، وابو برزة الاسلمي ، اشتركا في دمه .

ومنهم الحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي ، وكان يؤذي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة ، وينشد الهجاء فيه ، فلما كان يوم الفتح هرب من بيته ، فلقيه علي بن ابي طالب (عليه السلام) فقتله .

ومنهم مقيس بن صبابة ، وانما امر بقتله لأنه قتل الانصاري الذي قتل اخاه هشاماً خطأ وارتد ، فلما انهزم اهل مكة يوم الفتح اختفى بمكان هو وجماعة ، وشربوا الخمر ، فعلم به نميلة بن عبد الله الكلبي ، فاتاه فضربه بالسيف حتى قتله .

ومنهم عبد الله بن الزبعري السهمي ، وكان يهجو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة ويعظم القول فيه ، فهرب يوم الفتح هو وهبيرة بن ابي وهب المخزومي زوج ام هانيء بنت ابي طالب الى نجران ، فاما هبيرة فاقام بها مشركا حتى هلك ، واما الزبعري فرجع الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واعتذر فقبل عذره ، فقال حين اسلم :

يا رسول المليك ان لساني ... راتق ما فتقت اذ أنا بور[1]

إذ أبارى الشيطان في سنن الغـ ... ـي ومن نال مثله مثبور

---

(١) الرتق : الضم والالتحام ، والفتق : النقض وعدم الاتصال ـ اي ساد ما انتقض والبور : الهالك .

آمـن الـلحـــم والـعـــظام بـــربي ثم نفسي الشهيــد انت النـذيــر

ومنهم وحشي بن حرب ، قاتـل حمزة (رضي الله عنـه) هرب يـوم الفتح الى الطائف، ثم قدم في وفد اهلها على رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) وهـو يقـول : اشهـد ان لا إلـه الا الله واشهـد ان محمـدا رســول الله ، فقـال النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : اوحشي ؟! قال : نعم .

قـال (صــلى الله عليـــه وآلـه وسلم) : اخبـــرني كيف قتلت عمي حمزة ؟ فاخبره ، فبكى رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) وقال : غيب وجهك عني . . . وهو اول من جلد في الخمـر ، ومات بعـد ذلك في حمص وهو سكران .

وهـرب حويـطب ، فرآه ابـو ذر في حائط - بستـان - فـاخبـر النبي (صـــلى الله عليـه وآلـــه وسلم) بمكـانـــه ، فقـال : اوليس قـــد أمنـــا الناس . . . ! الا من امرنا بقتلهم . فاخبره بذلك فجاء الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فاسلم .

وقيل انه دخل يوما على مروان بن الحكم وهو عـلى المدينـة فقال لـه مروان : يا شيخ تأخر اسلامك ؟! فقال : لقد هممت به غير مرة فكـان يصدني عنه ابوك[1] .

وفي شـرح النهـج عن الـواقـدي : كـان سهيـل بن عمـرو يحـدث فيقول : لما دخل محمد مكة انقمعت فدخلت بيتي واغلقتـه علي ، وقلت

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير - ج٢ - ص ١٦٩ - ١٧٠ .

لأبني عبد الله بن سهيل : اذهب فاطلب لي جوارا من محمد ، فاني لا آمن ان اقتل ، وجعلت اتذكر اثري عنده وعند اصحابه فلا ارى اسوأ أثراً مني ، فاني لقيته يوم الحديبية بما لم يلقه احد به ، وكنت الذي كاتبه ، مع حضوري بدراً وأحداً . . . وكلما تحركت قريش كنت فيها .

فذهب عبد الله بن سهيل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا رسول الله ، أبي تؤمنه ؟ قال : نعم ، هو آمن بامان الله ، فليظهر . ثم التفت الى من حوله فقال : من لقي سهيل بن عمرو فلا يشدّن النظر اليه . ثم قال : قل له : فليخرج ، فلعمري ان سهيلاً له عقل وشرف ، وما مثل سهيل جهل الاسلام ، ولقد رأى ما كان يوضع فيه ان لم يكن له تتابع .

فخرج عبد الله الى ابيه فاخبره بمقالة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال سهيل : كان والله برا صغيراً وكبيراً . وكان سهيل يقبل ويدبر غير خائف وخرج الى خيبر مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو على شركه واسلم بالجعرانة[1] .

واما النساء ، فمنهن هند بنت عتبة ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) امر بقتلها لما فعلت بحمزة (رضي الله عنه) ولما كانت تؤذي رسول الله بمكة فجاءت اليه مع النساء متخفية ، فاظهرت اسلامها . على ما سيأتي .

ومنهن سارة . وهي مولاة عمرو بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد - ج١٧ - ص ٢٨٤ .

مناف ، وهي التي حملت كتاب حاطب بن ابي بلتعة في قول بعضهم ، وكانت قدمت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مسلمة فوصلها ، فعادت الى مكة مرتدة ، فامر بقتلها ، فقتلها علي بن ابي طالب (عليه السلام) .

ومنهن قينتا عبد الله بن خطل وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فامر بقتلهما ، فقتلت احداهما - واسمها قريبة - وفرت الأخرى وتنكرت وجاءت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاسلمت[1] .

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير - ج٢ - ص ١٧٠ .

العفو عند المقدرة

ما اجمل العفو عند المقدرة.. واعظم نفس الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) التي سمت كل السمو فوق الحقد، وفوق الانتقام، وانكرت كل عاطفة دنيوية ، وبلغت من النبل فوق ما يستطيع ان يبلغه انسان .

لقد كان باستطاعة النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد تغلبه على قريش .. ان يصنع كما يصنعه الفاتحون ممن عرفهم التاريخ من الانتقام والفتك .

لكن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيرته على امته وبلاده لم يغيره زهو الفتح ، وتوالي الانتصار في معاركه العديدة، التي خاضها ضد المناوئين له من المشركين عبدة الاصنام وغيرهم ، إذ أن همّه هو انتشار الاسلام ، وتبليغ الرسالة المقدسة ، مضافا لما في نفسه الطاهرة من الحب والشفقة ، والرفق والحنان على بني قومه ليجعلهم في مقدمة العالم رقيا وحضارة ، باخلاقهم الفاضلة ، وبفضل تعاليم الاسلام التي جاء بها من عند الله تعالى .

وبما انه (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم ان كل ما ينصعه ، أو يقوله ، أو يقره ، سيكون للمسلمين سنة متبعة من بعده الى يوم

القيامة ، القى عليهم درساً من مكارم الاخلاق، كالاحسان، والعفو عند المقدرة، وغير ذلك .

لذا نراه (صلى الله عليه وآله وسلم) احسن لقريش واهل مكة كافة برفع السيف عن رقابهم ، وعفا عنهم بعد ان نال منهم شتى انواع المتاعب ، ولاقى اصحابه صنوف انواع التعذيب والهوان .

لا يمكن لاحد أن ينكر أن طينة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التي جبلت على الطهارة والنقاء، شأن الانبياء. . وهو افضلهم ، ارفع واجل من الانتقام .

طوبى لمن انار الله سبحانه قلبه بالايمان واتبع سنة رسول الرحمن ، فاتخذ من تعاليم الرسول النبوية ونور رسالته السماوية نبراسا يضيء به امامه ليهتدي الى جادة الحق، وسبيل الخير.

وان صاحب الايمان والعقيدة الراسخة ، والاسلام الصحيح ، مهما توالت عليه الاحداث، لا تزيده الا تمسكا بالفضائل، وتجنبا عن الزلل والرذائل.

دخل الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة ظافرا منتصرا بارادة الله عز وجل . . . وتصديق وعده. . فتزلزل اهل مكة من خوفهم وهلعهم ، لأنهم اساءوا اليه ، وألبوا العرب عليه ، وقد خرج من بينهم بعد ان نال منهم أسوأ معاملة ، وايقنوا بالهلاك ، لانهم يستحقون العقوبة .

ولكن الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ارفع ، واجل ، واكرم ، واحلم ، اذ حينما دخل مكة المكرمة ظافرا منتصرا،

مطأطأ رأسه للباري عز وجل تواضعا ، لم يزد على قوله : ما تقولـون ؟ وما تظنون ؟ . . .

فاجابوا : انك اخ كريم . . وابن عم حليم . . رحيم ، قالوا ذلك ثلاثا فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اقول كما قـال اخي يوسف: ﴿ **لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحميـن** .

فمحمد (صلى الله عليـه وآله وسلم) ليس بـالرجـل الذي يعـرف العداوة أو يريد بها ان تقوم بين الناس، وليس هو بالجبار ولا بالمتكبر . . . هؤلاء قـريش في قبضة يـده، وتحت قدميـه وحشود المسلمـين المدججـة بالسلاح تستطيع ان تبيد مكة واهلها في رجع البصر.

لقد امكنه الله سبحـانه من عدوه ، ممن قاتلوه في بـدر وفي احد ومن حصروه مع اصحابه في شعب ابي طالب ، وفي غزوة الخندق وممن كانوا قبل ذلك قد أتمروا به ليقتلوه . لقد امكنه الله منهم ، فقدر فعفا ، فضرب بذلك للعالم كله ولاجياله جميعاً مثلا صادقاً في البر والوفاء بالعهد ، والعفو عند المقدرة ، وفي سمو النفس سمو لا يبلغه احد .



البيعة

جاء في تاريخ ابن الاثير انه جلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للبيعة على الصفا واجتمع الناس لبيعة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على الاسلام ، فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا ، فكانت هذه بيعة الرجال .

واما بيعة النساء : فانه (صلى الله عليه وآله وسلم) لما فرغ من بيعة الرجال، بايع النساء فاتاه منهن نساء من نساء قريش منهن ام هاني بنت ابي طالب، وام حبيبة بنت العاص بن امية، كانت عند عمرو بن عبد ود العامري ، واروى بنت ابي العيص واختها عاتكة ، ويسيرة بنت صفوان بن نوفل وام حكيم بنت الحرث بن هشام زوجة عكرمة بن ابي جهل، وفاختة بنت الوليد كانت عند صفوان بن امية ، وريطة بنت الحجاج ، وهند بنت عتبة ، وغيرهن .

وكانت هند متنكرة لصنيعها بحمزة ، فهي تخاف ان تؤخذ به ، فقال لهن (صلى الله عليه وآله وسلم) : تبايعنني على ان لا تشركن بالله شيئاً ، قالت هند : انك والله لتأخذ علينا ما لا تأخذه على الرجال . . . ! فسنؤتيكه .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا تسرقن، قالت هند : والله ان كنت لأصبت من مال ابي سفيان الهنة والهنة ، فقال ابو سفيان وكان

حاضرا :امامـا مضى فانت منه في حل، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اهند ! قالت : انا هند فاعف عما سلف عفا الله عنك . قـال (صلى الله عليـه وآله وسلم) : ولا تـزنين ، قـالت : وهـل تـزني الحـرة ؟ قـال (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : ولا تقتلن اولادكن ، قالت : قد ربيناهم صغارا وقتلتهم يوم بدر كباراً، فانت وهم أعلم .

قال (صلى الله عليـه وآله وسلم) : ولا تـأتين ببهتـان تفترينـه بين ايديكن وارجلكن ، قالت : والله ان اتيان البهتان لقبيح ، وما تـأمرنـا الا بالرشد ومكارم الاخلاق .

قـال (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : ولا تعصينني في معروف ، قالت : ما جلسنا ونحن نريد أن نعصيك في معروف فبايعهن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان رسول الله لا يمس النساء ولا يصـافح امرأة ولا تمسه الا امرأة احلها الله له ، أو ذات محرم منه[1] .

كيفية بيعة النساء

ذكرت الاخبار والروايات كيفية بيعة النساء للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عدة وجوه وكيفيات .

ذكر الحر العاملي في وسائل الشيعة عن المفضل بن عمـر قال: قلت لابي عبد الله (عليه السـلام) : كيف ماسح رسول الله (صـلى الله عيه وآله وسلم) النساء حين بايعهن ؟ .

---

(١) تاريخ ابن الاثير-ج٢ ـ ص ١٧٢ .

فقال: دعا بمركنه[1] الذي كان يتوضأ فيه ، فصب فيه ماء، ثم غمس فيه يده اليمنى فكلما بايع واحدة منهن قال : اغمسي يدك . . فتغمس كما غمس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . فكان هذا مماسحته اياهن .

وعن سعدان بن مسلم قال: قال ابو عبد الله (عليه السلام)[2]: اتدري كيف بايع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) النساء ؟ قلت : الله اعلم وابن رسوله اعلم . . .

قال : « جمعهن حوله ثم دعا (بتوربرام) فصب فيه نضوحا ثم غمس يده . . » الى ان قال : اغمسن ايديكن ففعلن . فكانت يد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الطاهرة اطيب من أن يمس بها كف انثى ليست له بمحرم[3].

وفي السيرة الحلبية : « ان بعض النساء قالت: هلم نبايعك يا رسول الله ، قال: لا . . لا اصافح النساء، وانما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة.

وعن عائشة (ام المؤمنين رضي الله عنها) : لم يصافح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) امرأة قط ، وانما كان يبايعهن بالكلام .

وعن الشعبي : بايع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) النساء

---

(١) المركن جمع مراكن : الاجانة ونحوها لغسل الثياب وسوى ذلك .

(٢) المراد بابي عبد الله (عليه السلام) هو الإمام جعفر الصادق الإمام السادس .

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي مجلد ١٤ ـ ج٧ ـ ص ١٥٤ .

وعلى يده ثوب . . وقيل انـه غمس يده في انـاء وامرهن فغمسن ايـديهن فيه ، فكانت هذه البيعة[1].

وذكر الطبري في تاريخه : ان بيعة النساء كانت على نحوين :

كان يوضع بين يدي رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) اناء فيه ماء، فاذا اخذ عليهن واعطينه غمس يـده في الاناء، ثم اخـرجها ، فغمس النساء ايديهن فيه .

ثم كان بعد ذلك يأخذ عليهن ، فاذا اعطينه ما شرط عليهن قال: اذهبن فقد بايعتكن لا يزيد على ذلك[2].

وفي شرح النهج عن الواقدي لما كان وقت صلاة الظهر، امر رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) بلالا أن يؤذن فـوق ظهـر الكعبـة، وقريش في رؤ وس الجبال، ومنهم من قد تغيب وستر وجهه خوفا من ان يقتلوا، ومنهم من يطلب الامان ، ومنهم من قد أُمن . . .

فلما اذن بلال وبلغ الى قوله : « اشهد ان محمدا رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) رفع صوته كاشـد ما يكـون . . . قالت جويريـة بنت ابي جهـل : قد لعمـري رفع لـك ذكرك، فـاما الصـلاة فسنصلي، ولكن والله لا نحب من قتل الاحبة ابدا .

---

(١) السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي .

(٢) راجع وسائل الشيعة للحر العامـلي وتاريـخ الطبـري والمرأة في ظـل الإسلام : لمريم نور الدين فضل الله وغيرها من كتب التاريخ والسير .

وقـال خالـد بن سعيد بن العـاص : الحمد لله الـذي اكرم ابي فلم يدرك هذا اليوم .

وقال الحارث بن هشام : واثكلاه ، ليتني مت قبل هذا اليوم ، قبل ان اسمع بلالا ينهق فوق الكعبة .

وقال الحكم بن ابي العاص: هذا والله الحدث العـظيم، ان يصيح عبد بني جمح ، يصيح بما يصيح به على بيت ابي طلحة .

وقال سهيل بن عمرو: ان كان هذا سخطا من الله تعالى فسيغيره، وان كان لله رضا فسيقره .

وقال ابو سفيان : اما انا فلا اقول شيئاً، لو قلت شيئاً لاخبرته هذه الحصباء. فاتى جبرائيل (عليه السلام) رسول االله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره بمقالة القوم .

وعلى مدى اربعة عشر قرنا مضت، وصوت بلال وخلفائه المؤذنين من بعده يتعالى بالاذان فوق الكعبة والمسجد الحـرام وبيوت الله المنتشرة في انحاء المعمورة ، والمسلمون يؤدون فرض الصـلاة يتوجهـون بقلوبهم مستقبلين البيت الحـرام الذي طهـره النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) من الاصنام .



مسير خالد بن الوليد الى بني جذيمة

ذكر الطبري في تاريخه عن محمد بن اسحاق انه قال: « بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين افتتح مكة خالد بن الوليد، داعيا ولم يبعثه مقاتلا، ومعه قبائل من العرب: سليم ، ومدلج، وقبائل من غيرهم .

فلما نزلوا على الغميصاء ـ وهي ماء من مياه بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ـ على جماعتهم ، وكانت بنو جذيمة قد اصابوا في الجاهلية عوف بن عبد عوف ـ ابا عبد الرحمن بن عوف ـ والفاكه بن المغيرة ـ وكانا اقبلا تاجرين من اليمن ـ حتى اذا نزلا بهم قتلوهما ، واخذوا أموالهما .

فلما كان الاسلام ـ وفتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة ـ بعث خالد بن الوليد الى بني جذيمة . فسار حتى نزل الغميصاء ـ فلما رآه القوم اخذوا السلاح ، فقال لهم خالد: ضعوا السلاح ، فان الناس قد اسلموا .

وعن ابن اسحاق عن رجل من بني جذيمة، قال : لما امرنا خالد بوضع السلاح ، قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم يا بني جذيمة ! انه خالد . . ! والله ما بعد وضع السلاح إلا الإسار، ثم ما بعد الاسار الا ضرب الاعناق، والله لا اضع سلاحي ابدا .

قال: فاخذه رجال من قومه، فقالوا: يا جحدم، اتـريد ان تسفـك دماءنا !؟ ان الناس قد اسلموا ، ووُضعت الحرب، وامن النـاس، فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحـه ، ووضع القـوم السلاح لقـول خالـد ـ ثقة منهم بان خالد سيعمل على طبق الشريعـة الاسلاميـة : ومن اسلم حرم دمه . . وماله . . وعرضه . لكن خالد خَيَّب آمالهم وغدر بهم وعمل بما كان من امر الجاهلية قبل الاسلام ـ .

فلما وضعوا السلاح، أمربهم خالد عند ذلك فكتفـوا، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم .

فلما انتهى الخبـر الى رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) رفع يـديه الى السـماء، ثم قال : « اللهم اني أبـرأ اليك ممـا صنع خـالـد بن الوليد . . ! » .

ثم دعا علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، فقال: يـا علي اخـرج الى هؤلاء القوم فانظر في امرهـم ، واجعل امر الجاهلية تحت قدميك .

فـخرج علي (عليه السلام) حتى جاءهم ومعه مـال قد بعثـه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) به . فـودى لهم[1]الدمـاء، وما اصيب من الاموال، حتى انه (عليه السلام) ليدي ميلغة[2]الكلب، حتى اذا لم يبق شيء من دم، ولا مال، إلا وداه . . بقيت معه بقية من المال. فقال لهم علي (عليه السلام)حين فرغ منهم : هل بقي لكم دم أو مال لم يـود

---

(١) اي اعطاهم الدية .

(٢) الميلغـة : شيء يحفـر من خشب ، ويجعـل ليلغ فيـه الكلب انـاء يكـون عنـد اصحاب الغنم واهل البادية .

اليكم ؟ قالوا : لا، قال : فاني اعطيكم هذه البقية من هذا المال احتياطا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مما لا يعلم، ولا تعلمون .

ففعل ذلك ، ثم رجع الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره الخبر، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اصبت واحسنت .

ثم قام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه، حتى انه ليرى بياض ما تحت منكبيه ، وهو يقول: اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد . . . قالها ثلاث مرات ![1].

وجاء في البداية والنهاية لابن كثير: لما فتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، مكة ، بعث خالد بن الوليد الى نخلة وكانت بها العزى، وكانت بيتا يعظمه قريش وكنانة ومضر، وكان سدنتها وحجابها من بني شيبان ، ومن بني سليم حلفاء بني هاشم .

فاتاها خالد وكانت على ثلاث سمرات[2]، فقطع السمرات، وهدم البيت الذي كان عليها ، ثم اتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره بما فعل.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ارجع فانك لم تصنع شيئاً » .

---

(١) تاريخ الطبري - ج٣ - ص ٦٧ .

(٢) السمرات واحدتها سمرة واحدتها العضاء من شجر الطلح ، وليس في العضاء شيء اجود خشباً من السمر ، ينقل الى القرى فتغمى به البيوت - لسان العرب لابن منضور ، مادة سمر - .

فرجع خالد بن الوليد ـ الى نخلة[1] ـ فلما نظرت اليه السدنة ، وهم حجابها ، أمعنوا هربا في الجبل وهم يقولون : يا عُزى خبليه . . يا عُزى عوريه . . والا فموتي برغم .

فاتاها خالد فاذا امرأة عريانة ، ناشرة شعرها ، تحثو التراب على رأسها ووجهها ، فعممها بالسيف حتى قتلها .

ثم رجع الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره ، فقال : « تلك العُزى »[2]

وفي رواية الطبري : « تلك العزى ولا تعبد العزى ابدا » .

---

(١) نخلة : موضع كان به بيتاً للعزى ـ وهم صنم لبني شيبان بطن من سليم ، وبنو اسد بن عبد العزى . خرج اليه خالد بن الوليد فهدمه لخمس ليال بقين من رمضان كما في رواية الطبري ـ ج ٣ ـ ص ٦٥ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ـ ج٤ ـ ص ٣١٦ .

الفَصْل

الحادي والاربعون



غزوة حنين

قال تعالى: ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الارض بما رحبت، ثم وليتم مدبرين ـ ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ـ ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ﴾[1].

اقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة بعد الفتح خمسة عشر يوما ، والمسلمون فرحون بنصر الله، مغتبطون اذ لم يسفك في فتح مكة الا الدم القليل.

المسلمون يحيطون بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كيفما سار وحيثما ذهب، ويتوجهون الى بيت الله الحرام لتأدية الصلاة كلما ارتفع صوت بلال بالاذان . . والمهاجرون من المسلمين يذهبون الى دورهم لزيارة الاهل والاحباب، ونفوسهم جميعا مطمئنة الى ان الامر قد استقر بالاسلام، وان الجانب الاكبر من الجهاد المقدس، قد تحقق وانتهى بالفوز والنصر.

---

(١) سورة التوبة ـ آية ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ .

وذكر ابن الاثير في تاريخه وغيره من المؤرخين واصحاب السير ان غزوة هوازن بحنين كانت في السنة الثامنة من الهجرة النبوية في شهر شوال وسببها انه لما سمعت هوازن بما فتح الله على رسوله من مكة ، جمعها مالك بن عوف النصري. واجتمع اليه ثقيف يقودها قارب بن الاسود بن مسعود سيد الاحلاف، وذو الخمار سبيع بن الحرث، واخوه الاحمر بن الحرث سيد بني مالك ولم يحضره من قيس عيلان الانصر، وجشم، وسعد بن بكر، وناس من بني هلال، ولم يحضرها كعب ولا كلاب، وفي جشم دريد ابن الصمة شيخ كبير- وهو ابن مائة وستون سنة ـ ليس فيه شيء الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب، وكان شيخا مجربا .

فلما اجمع مالك بن عوف المسير الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، حط مع الناس اموالهم ونساءهم، فلما نزلوا أوطاس[1] جمع الناس وفيهم دريد بن الصمة ، فقال دريد: باي واد انتم ؟ فقالوا : باوطاس. . قال : نعم مجال الخيل لا حزن ضرس[2] ولا سهل دهس[3]، مالي اسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، ويعار الشاء[4] وبكاء الصغير ؟ .

قالوا : ساق مالك مع الناس ابناءهم ، ونساءهم ، واموالهم ،

---

(١) اوطاس : واد في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين .

(٢) لاحزن ضرس : الحزن المرتفع من الأرض ، والضرس : الذي فيه حجارة محددة .

(٣) ولا سهل دهس : اللين الكثير التراب .

(٤) يعار الشاء : صوتها .

فقال : يا مالك ان هذا يوم لـه ما بعـده . . ما حملك عـلى ما صنعت ؟ قـال : سقتهم مع النـاس ليقاتـل كل انسـان عن حريمـه ومـالـه ، قـال دريـد : راعي ضأن والله ! . . . هـل يرد المنهـزم شيء ؟ انها ان كـانت لـك لم ينفعك الا رجـل بسيفه ورمحـه ، وان كـانت عليـك فضحت في اهلك ومـالـك ، ثم قـال : مـا فعلت كعب ، وكـلاب ؟ قـالـوا : لم يشهدها احد منهم ، قال :ذهب الجد والحد[١] لو كان يـوم علاء ورفعـة لم تغب عنه كعب، ولا كلاب وددت ، انكم فعلتم ما فعلا، ثم قال: يا مـالك ارفـع من معك الى عليـا بلادك ثم الق القـوم على متـون الخيل، فـان كـانت لـك لحق بـك من وراءك، وان كـانت عليـك كنت قـد احـرزت اهلك ومالـك . . قال مـالك : والله لا افعـل ذلك انـك قـد كبـرت وكبـر عقلك ـ وفي روايـة : وذهب عقلك ـ والله لتـطيعنني يـا معشـر هوازن او لأتكئن عـلى هذا السيف حتى يخـرج من ظهري وكـره ان يكـون لدريـد فيها ذكـر، ورأي. فقالـوا : اطعناك ، فقـال دريـد: هذا يوم لم اشهده ولم يفتني[٢].

ثم قـال مالـك : ايـها النـاس، اذا رأيتم القـوم فـاكسـروا جفـون سيوفكم ، وشدوا عليهم شدة رجل واحد.

---

(١) ذهب الجـد والحـد : الجـد بـالفتـح : الحظ ، والحـد : منتهى الشيء - القاموس .

(٢) وانشد دريد :

يـا لـيـتـني فـيـهـا جـذع أخـب فـيـهـا واضـع

اقـود وطـفـاء الـزمـع كـأنها شـاة صـدع

يريد يا ليتني شابا ومعي فرسا محمودة لاخوض غمار الحرب .

وبعث مالك بن عوف رجالاً من هوازن ينظر الى محمد واصحابه ـ ثلاثة نفر ـ وامرهم ان يتفرقوا في العسكر، فرجعوا اليه وقد تفرقت اوصالهم ، فقال : ما شأنكم ويلكم ؟ قالوا : رأينا رجالا بيضا على خيل بلق، فوالله ما تماسكنا أن اصابنا ما ترى ! وقالوا له : ما نقاتل اهل الارض، ان نقاتل الا اهل السماوات ، وان اطعتنا رجعت بقومك فان الناس ان رأوا مثل ما رأينا اصابهم مثل الذي اصابنا .

قال : اف لكم ! بل انتم قوم اجبن اهل العسكر . . فحبسهم عنده فرقا ـ خوفا ـ ان يشيع ذلك الرعب في العسكر، وقال : دلوني على رجل شجاع . فاجمعوا له على رجل، فخرج ، ثم رجع اليه وقد اصابه نحو ما اصاب من قبله منهم ، فقال : ما رأيت ؟ قال : رأيت رجالا بيضا على خيل بلق، ما يطاق النظر اليهم ، فالله ما تماسكت ان اصابني ما ترى . . ! فلم يثن ـ مالك ـ ذلك عن وجهه .

ودعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابن ابي حدرد[1] الاسلمي فقال: انطلق فادخل في الناس حتى تأتي بخبر منهم ، وما يقول مالك ـ بن عوف ـ.

فخرج عبد الله ، فطاف في عسكر هوازن ، ثم انتهى الى ابن عوف فوجد عنده رؤساء هوازن ، فسمعه يقول لاصحابه : ان محمداً لم يقاتل قط قبل هذه المرة ،وانما كان يلقى قوما اغماراً لا علم لهم بالحرب فيُنصر عليهم . فاذا كان في السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم

(١) وقيل : ابن ابي جدرد .

وابنـاءكم من ورائكم ، ثم صفوا صفـوفكم، ثم تكـون الحملة منكم ، واكسروا جفون[١] سيـوفكم فتلقونه بعشرين الفـ سيف مكسور الجفن . واحملوا حملة رجل واحد واعلموا ان الغلبة لمن حمل أولا . . . !

فلما وعى ذلـك عبد الله بن ابي حـدرد رجـع الى النبي (صـلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره بكل ما سمع .

وذكر الواقدي في مغازيه انه جـاء فارس الى النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) فقال: يـا رسول الله ، اني انـطلقت من بين ايـديكم عـلى جبل كذا وكذا ، فاذا بهوازن على بكـرة ابيها[٢] بـظعنها ونسـائها ونعمهـا في وادي حنين .

فتبسم رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) فقال : تلك غنيمة المسلمين غدا انشاء الله .

وفي سيـرة ابن هشـام عن ابن اسحـاق عن ابي واقـد الليثي ان الحـارث بن مالـك قال : خـرجنا مـع رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) الى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهليـة ، فسرنـا معه الى حنـين ، وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العـرب شجرة عـظيمة خضـراء ، يقـال لها ذات انـواط يـأتـونها كـل سنـة ، فيعلقـون اسلحتهم عليهـا ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوما .

---

(١) جفون : جمع جفن ، وهو غمد السيف .

(٢) على بكرة ابيها : هذه كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفر العدد وانهم جاؤ ا جميعا لم يتخلف منهم احد .

قال ـ الحارث ـ فرأينا ونحن نسير مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سدرة خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جنبات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذات انواط. . . كما لهم ذات انواط.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : الله اكبر . . ! قلتم ، والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى: ﴿ **اجعل لنا إلها كما لهم آلهة. قال : انكم قوم تجهلون** ﴾.

انها السنن . . لتركبُن سنن من كان قبلكم .

بدیء المعركة يوم حنين

ذكر المؤرخون واصحاب السير: انه لما كان من الليل عمد مالك بن عوف الى اصحابه، فعبأهم في وادي حنين ـ وهو واد أجوف ، ذو شعاب ومضايق ، وفرق الناس فيه ، واوعز اليهم ان يحملوا على محمد واصحابه حملة واحدة.

وعبأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اصحابه ، وصفهم صفوفا في السحر، ووضع الالوية والرايات في اهلها . مع المهاجرين لواء يحمله علي (عليه السلام) وراية يحملها سعد بن ابي وقاص. وفي الانصار رايات ، مع الخزرج لواء يحمله الحباب بن المنذر ـ ويقال : لواء الخزرج الاكبر مع سعد بن عبادة ـ ولواء الأوس مع أُسيد بن حضير . وفي كل بطن من الاوس والخزرج لواء أو راية . . .

وانحدر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باصحابه ، وقد مضت مقدمته وهو على تعبئة في وادي حنين ، وركب بغلته البيضاء دُلدل ، ولبس درعين والمغفر والبيضة ، واستقبل الصفوف، وطاف عليها بعضها خلف بعض ينحدرون في الوادي، فحضهم على القتال، وبشرهم بالفتح ان صدقوا وصبروا .

وفي رواية الواقدي عن انس بن مالك انه كان يحدث ويقول : لما

انتهينا الى وادي حنين ـ وهـو واد من اودية تهـامة لـه مضايق وشعـاب ـ استقبلنـا من هوازن شيء، لا والله مـا رأيت مثله في ذلك الـزمان قط، من السواد والكثرة ! قد ساقـوا نساءهم وامـوالهم وابناءهم وذراريهم ثم صفـوا صفوفـا، فجعلوا النساء فـوق الابل وراء صفـوف الـرجـال، ثم جاءوا بالابل والبقر والغنم فجعلوها وراء ذلك، لئلا يفروا بزعمهم .

فلما رأينا ذلك السواد حسبناه رجالا كلهم ، فلما تحدرنا في الوادي، فبينا نحن فيه غلس الصبح ، ان شعرنا الا بالكتـائب قد خـرجت علينا من مضيق الـوادي وشُعبه فحملوا حملة واحـدة، فانكشف اول الخيـل ـ خيل سليم ـ مولية فولوا ، وتبعهم اهل مكة ، وتبعهم الناس منهزمين لا يلوون على شيء [1].

وذكر الشيخ المفيد في ارشاده: انه لما التقوا ـ المسلمون بـالمشركـين ـ لم يلبث المسلمـون أن انهزموا بـاجمعهم ، ولم يبق منهم مع النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) الا عشـرة انفس، تسعة من بني هـاشم خاصـة، وعـاشرهم ايمن بن ام ايمن، فقتـل ايمن (رحمة الله عليـه) وثبت التسعة الهـاشميون حتى ثـاب الى رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) من كان انهزم ، فرجعوا او لا فاولا ، حتى تـلاحقوا وكـانت لهم الكرة عـلى المشـركين . وفي ذلـك انزل الله تعـالى وفي اعجاب ابي بكـر بـالكثـرة : ﴿ **ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بمـا رحبت ثم وليتم مدبـرين ثم انزل الله سكينتـه على رسـولـه وعلى المؤمنين** ﴾ يعني امـير المؤمنين عليـا (عليه السـلام) ومن ثبت معه

(١) راجع المغازي للواقدي ـ ج٣ ـ ص ٨٩٧ وغيره من كتب التاريخ والسيرة .

من بني هاشم ، وهم يومئذٍ ثمانيـة نفر امـير المؤمنين (عليهم السـلام) تاسعهم ، والعباس بن عبـد المطلب عن يمـين رسول الله ، والفضـل بن العبـاس عن يسـاره ، وابـو سفيـان بن الحـارث ممسك بسـرجـه عنـد ثفر[1] بغلته . وامير المؤمنين (عليه السلام) بين يديـه بالسيف ، ونـوفل بن الحـارث وربيعة بن الحـارث وعبد الله بن الـزبير بن عبـد المـطلب ، وعتبة ومعتب ابنا ابي لهب حوله . وقـد ولت الكافـة مدبـرين سوى من ذكرنا ، وفي ذلك يقول مالك بن عبادة الغافقي :

لم يـواس الـنبي غـير بـني هـاشـم عـنـد الـسيـوف يـوم حـنـين

هـرب النـاس غـير تسعـة رهط فـهم يهـتفـون بـالـنـاس اين

ثم قـامـوا مـع النبي عـلى المـو ت فـأبـوا زينـا لنـا غـير شـين

وثـوى ايمن الأميـن من الـقـو م شهيـداً فـاعتـاض قـرة عـين

وقال العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) في هذا المقام :

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فر من قد فر عنـه فاقشعـوا

وقولي اذا ما الفضل شد بسيفـه على القوم اخرى يا بني ليرجعوا

وعـاشـرنـا لاقى الحمـام بنفسـه لمـا نـالـه في الله لا يتـوجـع[2]

وروى بعض المؤرخـين واصحـاب السـير كـابن كثـير وابن هشـام وغيـرهما : أن الذين ثبتوا مـع النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) يـوم حنـين ، هم رهط من اهل بيتـه ، علي بن ابي طـالب ، وابو سفيـان بن الحـارث بن عبد المـطلب ، واخوه ربيعـة بن الحارث بن عبـد المـطلب ،

---

(١) الثغر : جمع اثغار : سير من الجلد في مؤخر السرج .

(٢) العاشر : يعني به ايمن ابن ام ايمن رحمه الله ـ.

والفضل بن العباس، وقيل الفضيل بن ابي سفيان، وايمن بن ام ايمن، واسامة بن زيد، ومن الناس من يزيد فيهم : قثم بن العباس. ورهط من المهاجرين، منهم ابو بكر وعمر، والعباس آخذ بحكمة بغلته (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . الى آخره .

اقول : لكن قول العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) في ابياته التي سبق ذكرها : « نصرنا رسول الله في الحرب تسعة » يدل على انه لم يثبت غير تسعة من اهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم : العباس بن عبد المطلب، والفضل بن العباس، وابو سفيان بن الحارث، وعلي بن ابي طالب، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب، وعتبة ومعتب ابنا ابي لهب، وايمن بن ام ايمن الذي يقول فيه العباس « وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه ».

وما نقل عن العباس (رضي الله عنه) وهو الصادق انه لم يثبت الا تسعة من اهل البيت وايمن بن ام ايمن عاشرهم، هو الثابت .

ويدل على انه لم يثبت مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ايضا يوم حنين سوى من ذكرنا قول مالك بن عبادة الغافقي في شعره : « هرب الناس غير تسعة رهط . . . » الى آخره .

وفي رواية : أنه ثبت مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين انهزام الناس يوم حنين اثنا عشر بزيادة قثم بن العباس، وايمن بن ايمن، واسامة بن زيد.

وفي رواية اليعقوبي: كانت هوازن قد كمنت في الوادي فخرجوا على المسلمين، وكان يوم عظيم الخطب، وانهزم المسلمون عن رسول

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بقي في عشرة من بني هاشم - وقيل تسعة :

وعلى كل حال القدر المتيقن من الذين ثبتوا مع النبي (صلى الله عليه وآه وسلم) يوم حنين، بعد انهزام الناس كما ذكرناهم : التسعة من بني هاشم، الذين ذكرهم العباس بن عبد المطلب . . وايمن بن ام ايمن رحمه الله الذي قُتل في الدفاع عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . والزائد عن الذين مر ذكرهم من بني هاشم مشكوك فيه والله العالم .

وفي سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق انه لما انهزم الناس - من المسلمين ، ورأى من كان مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من جفاة اهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما في انفسهم من الضغن[1]. فقال ابو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وان الازلام لمعه في كنانته[2]. وصرخ جبلة بن الحنبل - ويقال كلدة بن الحنبل - وهو مع اخيه صفوان بن امية - وهو اخو صفوان لامه - وصفوان مشرك في المدة التي جعل له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال كلدة : الا بطل السحر اليوم . . فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك ، فوالله لان يربني[3]رجل من قريش احب الي من أن يربني رجل من هوازن .

---

(١) الضغن : العداوة .

(٢)و الازلام : السهام التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية .

(٣) يربني : معناه يكون مالكا لي - وحاكماً علي .

وقال شيبة بن عثمان بن ابي طلحة : اليوم ادرك ثأري من محمد، وكان ابوه قتل يوم احد . . . اليوم اقتل محمدا . قال: فادرت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لاقتله ، فاقبل شيء حتى تغشى فؤادي، فلم اطق ذاك، وعلمت انه ممنوع مني.

احاديث دارت بين طواغيت قريش حينما فر الناس منهزمين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طواغيت قريش . . ورؤوس المشركين الذين لم يلامس قلبهم الاسلام فضلا عن أن يسلموا ، اظهروا حقدهم وحنقهم وودوا لو يقتل محمد لتعود الاصنام الى مجدها ويعبدوها ، لان عقيدتهم بها ما زالت راسخة في نفوسهم . فابو سفيان صخر بن حرب الذي افرغ ما في نفسه من حقد وضغينة اظهر الشماتة حينما رأى المسلمين منهزمين وقال: لن تنتهي هزيمتهم دون البحر . . هذا والازلام لم تزل في كنانته ، لكن الله سبحانه وتعالى اكب كيده في نحره سابقا ولاحقا، ونصر محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) واعز الاسلام واهله .

ويأتي شيبة بن عثمان بن ابي طلحة ليقتل محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) ويثأر لأبيه الذي قتل يوم احد . . ظنا منه انه قادر على ذلك، بعد ان رأى فرار المسلمين لكن ارادة الله العلي القدير منعته من الوصول الى ما يريد . فعرف انه اقل واحقر من ان يدرك أي ثأر من محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فالله بالغ امره ، وحافظ رسوله حيثما ذهب وتوجه لاعلاء كلمة الحق.

الانتصار بعد الهزيمة

ذكر الشيخ المفيد في ارشاده واصحاب السير: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما رأى هزيمة القوم عنه ! قال للعباس بن عبد المطلب، وكان رجلا جهوريا صيتا[1].

« ناد بالقوم وذكرهم العهد »

فنادى العباس باعلى صوته : يا اهل بيعة الشجرة . . يا اصحاب سورة البقرة . .[2] الى اين تفرون ؟ ! اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . والقوم على وجوههم قد ولوا مدبرين . . .

وكانت ليلة ظلماء، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الوادي والمشركون قد خرجوا عليه من شعاب الوادي وجنباته، ومضايقه

---

(١) وانما خص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) العباس بذلك لأنه كان عظيم الصوت ، كان صوته يسمع من ثمانية اميال .

(٢) خص رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالذكر سورة البقرة لأنها اول سورة نزلت بالمدينة ، ولأن فيها ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ﴾ وفيها ﴿ واوفوا بعهدي اوف بعهدكم ﴾ وفيها ايضاً : ﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾ راجع السيرة الحلبية .

مسلطين بسيوفهم وعمدهم، وقسيهم .

قالوا : فنظر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الناس في بعض وجهه في الظلماء، فاضاء كأنه القمر في ليلة البدر، ثم نادى المسلمين : اين ما عاهدتم الله عليه ؟ ! فاسمع اولهم وآخرهم ، فلم يسمعها رجل الا رمى بنفسه الى الارض . فانحدروا الى حيث كانوا من الوادي حتى لحقوا بالعدو فقاتلوه .

واقبل رجل من هوازن ، على جمل له احمر، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل امام القوم . . اذا ادرك ظفرا من المسلمين، اكب عليهم ، واذا فاته الناس، رفعه لمن وراءه من المشركين فاتبعوه وهو يرتجز ويقول :

انا ابو جرول لا براح   حتى نبيح اليوم أو نباح

فصمد له امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) فضرب عجز بعيره فصرعه ثم ضربه فقطره، ثم قال :

قد علم القوم لدى الصباح   اني في الهيجاء ذو نضاح

فكانت هزيمة المشركين بقتل ابي جرول لعنه الله .

ولما قتل علي (عليه السلام) ابا جرول، وخذل القوم بقتله، وضع المسلمون سيوفهم فيهم وعلي (عليه السلام) يقدمهم حتى قتل بنفسه اربعين رجلا من القوم .

ويروي ابن هشام في سيرته ايضا : ان النبي (صلى لله عليه وآله وسلم) قال يا عباس اصرخ : يا معشر الانصار . . يا معشر اصحاب السمرة . .

فاجابوا : لبيك . . لبيك . فيذهب الرجل ليثني بعيره ، فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه ، فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه،ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله، فيؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى اذا اجتمع اليه منهم مئة، استقبلوا الناس، فاقتتلوا، وكانت الدعوة اول ما كانت: يا للانصار. . ثم خلصت اخيرا : يا للخزرج . وكانوا صُبراً عند الحرب.

فاشرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ركائبه، فنظر الى مجتلد القوم[1] وهم يجتلدون ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : الآن حمي الوطيس .

وفي رواية ابن كثير عن البراء: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نزل عن بغلته ، فاستنصر وهو يقول :

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

« اللهمَّ نزِّل نصرك » . قال البراء: ولقد كنا اذا حمي البأس نتقي برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وان الشجاع الذي يحاذي به .

وذكر اليعقوبي في تاريخه . قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للعباس صح : يا للانصار . وصح : يا اهل بيعة الرضوان ، وصح: يا اصحاب سورة البقرة، يا اصحاب الشجرة، ثم انفض الناس وفتح الله على نبيه، وايده بجنود من الملائكة، ومضى علي بن ابي طالب الى صاحب راية هوازن فقتله .

---

(١) مجتلد القوم : مكان جلادهم بالسيوف ، وهو حيث تكون المعركة .

وفي الكامل في التاريخ لابن الاثير: كان رجل من هوازن على جمل احمر بيده راية سوداء امام الناس فاذا ادرك رجلا طعنه ، واذا فاته الناس رفع رايته لمن وراءه فاتبعوه . فحمل عليه علي (عليه السلام) فقتله .

واقتتل الناس قتالا شديدا، وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لبغلته دلدل : « البدي دلدل » فوضعت بطنها على الارض ، فاخذ حفنة من تراب، فرمى به في وجوه المشركين، فكانت الهزيمة، فما رجع الناس الا والاسارى في الحبال عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وقيل: بل اقبل شيء اسود من السماء مثل البجاد[1] حتى سقط بين القوم ، فكانت الهزيمة .

ولما انهزمت هوازن قتل من ثقيف، وبني مالك سبعون رجلا، فاما الاحلاف من ثقيف فلم يُقتل منهم غير رجلين ، لأنهم انهزموا سريعا ، وقصد بعض المشركين الطائف ومعهم مالك بن عوف. واتبعت خيل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المشركين فقتلتهم .

فادرك ربيعة بن رفيع السلمي[2] دريد بن الصمة ولم يعرفه، لأنه كان في شجار[3] لكبره . واناخ بعيره فاذا هو شيخ كبير، فقال له دريد: ماذا تريد ؟ قال : اقتلك ، قال : ومن انت ؟ فانتسب له ، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئاً، فقال دريد: بئس ما سلحتك امك . . . ! خذ

---

(١) البجاد : الكساء .

(٢) ربيعة بن رفيع السلمي : ويقال له ابن الدغنة ـ وهي امه ، فغلبت على اسمه ـ سيرة ابن هشام .

(٣) الشجار : مركب مكشوف دون الهودج .

سيفي فاضرب به ، ثم ارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فاني كذلك كنت اقتل الرجال، واذا أتيت امك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة ، فرب يوم قد منعت فيه نساءك. فقتله ، فلما اخبر أُمه قالت : والله لقد اعتق لك امهات ثلاثاً.

واستلب ابو طلحة الانصاري يوم حنين عشرين رجلا وحده، وقتلهم . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من قتل قتيلا فله سلبه ـ فزادهم اغراء بمطاردة العدو الظالم الذي كان لا يرحم لو ظفر.

ومر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الطريق بامرأة مقتولة، فقال: « من قتلها ؟ ». قالوا : خالد بن الوليد. فقال لبعض من معه : « ادرك خالداً فقل له : إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ينهاك أن تقتل امرأة ، او وليداً، أو عسيفاً ـ والعسيف . . الاجير ـ .

وانهزم المشركون شر هزيمة ، وظفر المسلمون بالغنائم، والسبايا ، فساقوا في السبي ـ الشيماء ابنة الحرث بن عبد العزى ـ فقالت لهم : اني والله اخت صاحبكم من الرضاعة . فلم يصدقوها ، حتى اتوا بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فقالت له : اني اختك من الرضاعة قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : وما علامة ذلك ؟ قالت : عضة عضضتنيها في ظهري وانا متوركتك[1]. فعرفها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبسط لها

(١) متوركتك : حاملتك على وركي .

رداءه، واجلسها عليه، وخيرها .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان احببت، فعندي مكرمة محببة . وان احببت ان امتعك[1] وترجعي الى قومك . قالت : بل تمتعني وتردني الى قومي . . ففعل[2] .

وامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسبايا والاموال، فجمعت الى الجعرانة ، وحُبست بها ، وجعل عليها بديل بن ورقاء الخزاعي. واستشهد من المسلمين بحنين، ايمن بن ام ايمن، ويزيد بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن عبد العزى وغيرهما[3].

وقد اشار صاحب الهمزية الى عفو الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن هوازن وعن الشيماء اخت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الرضاعة بقوله :

منَّ فضلا على هوازن اذا كان	له قبل ذاك فيهم ربّاء
واتى السبي فيه اخت رضاع	وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها براً توهمت النا	س به انما السباء هداء
بسط المصطفى لها من رداء	أي فضل رواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهي سيدة النسوة	والسيدآت فيه اماء

(١) امتعك : معناها اعطيك ما يكون به الانتفاع .

(٢) وفي سيرة ابن هشام : فزعمت بنو سعد انه (صلى الله عليه وآله وسلم) اعطاها غلاما له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوجت احدهما الآخر ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

(٣) وذكر ابن هشام : زيادة اثنين ، انصاري وهو سراقة بن مالك العجلاني ، ويمني وهو ابو عامر الاشعري .

حصار الطائف

ذكر ابن الاثير في تاريخه: انه لما قدم المنهزمون من ثقيف ومن انضم اليهم من غيرهم الى الطائف، اغلقوا عليهم ابواب مدينتهم واستحصروا وجمعوا ما يحتاجون اليه . فسار اليهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلما كان ـ ببحرة الرغاء ـ ابتنى بها مسجداً، فصلى فيه قبل وصوله الى الطائف، وقتل بها رجلا من بني ليث قصاصاً، كان قد قتل رجلا من هذيل، فامر بقتله، وهو أول دم أقيد به في الاسلام .

وسار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى ثقيف، فحصرهم بالطائف نيما وعشرين يوماً، ونصب عليهم منجنيقا ، اشار به سلمان الفارسي . وقاتلهم قتالا شديداً، حتى كان يوم الشدخة عند جدار الطائف، دخل نفر من المسلمين تحت دبابة[1] عملوها ، ثم زحفوا بها الى جدار الطائف. فارسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماة، فخرجوا من تحتها، فرماهم من بالطائف بالنبل، فقتلوا رجالا .

فامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقطع اعناب ثقيف،

---

(١) الدبابة : جمع دبابات : آلة تتخذ في الحصار كانوا يدخلون في جوفها ثم تدفع في اصل الحصن فينقبونه وهم في جوفها ـ وفي العصر الحاضر سيارة مصفحة تهجم على صفوف الاعداء وترمي القذائف .ـ المنجد في اللغة .

فقطعت . ونزل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نفر من رقيق اهل الطائف، فاعتقهم .

فلما اسلم اهل الطائف، تكلمت سادات اولئك العبيد في أن يردهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الرق، فقال : لا افعل . . اولئك عتقاء الله. ثم أن خويلة بنت حكيم السلمية - وهي امرأة عثمان بن مظعون - قالت : يا رسول الله أعطني إن فتح الله عليك الطائف، حليَّ بادية بنت غيلان - او حلي الفارعة بنت عقيل ؟ - وكانتا من اكثر نساء ثقيف حليا - فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أرأيت ان كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة ؟ .

فخرجت فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب، فدخل عليه عمر وقال: يا رسول الله ما حديث حدثتنيه خويلة انك قد قلته ، قال : قد قلته ، قال : افلا أؤذن بالرحيل يا رسول الله ؟ قال : بلى فاذن بالرحيل. فاذن عمر فيهم بالرحيل .

وقيل ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) استشار نوفل بن معاوية الديلي في المقام عليهم فقال : يا رسول الله ثعلب في جحران اقمت عليه اخذته ، وان تركته لم يضرك . . . فاذن بالرحيل .

فلما رجع الناس قال رجل؛ يا رسول الله ادع على ثقيف . . . فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اللهمَّ اهد ثقيفا وأت بهم ».

وفي رواية الارشاد للشيخ المفيد انه لما فض الله تعالى جمع المشركين بحنين تفرقوا فرقتين ، فاخذت الاعراب ومن تبعهم الى

اوطاس. واخذت ثقيف ومن تبعها الى الطائف. فبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ابا عامر الاشعري الى اوطاس في جماعة منهم ابو موسى الاشعري. وبعث ابا سفيان صخر بن حرب الى الطائف.

فاما ابو عامر فانه تقدم بالراية، فقاتل حتى قتل دونها، فقال المسلمون : لابي موسى : انت ابن عم الامير وقد قتل فخذ الراية حتى نقاتل دونها . . فاخذها ابو موسى فقاتل هو والمسلمون حتى فتح الله عليهم .

واما ابو سفيان فانه لقيته ثقيف فضربوه على وجهه . . فانهزم ورجع الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: بعثتني مع قوم لا يرفع بهم الدلاء، من هذيل والاعراب، فما اغنوا عني شيئاً !! فسكت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عنه .

ثم سار بنفسه الى الطائف . فحاصرهم اياما ، ثم انفذ امير المؤمنين عليا (عليه السلام) في خيل وامره ان يطأ ما وجد، ويكسر كل صنم وجده.

فخرج حتى لقيته خيل خثعم في جمع كثير . . فبرز لهم رجل من القوم يقال له : شهاب ـ في غبش الصبح ، فقال : هل من مبارز ؟ فقال امير المؤمنين (عليه السلام) . . من له ؟ فلم يقم اليه احد . فقام اليه علي امير المؤمنين فوثب ابو العاص بن الربيع زوج بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ زينب ـ فقال : تكفاه ايها الامير ، فقال لا : لكن ان قتلت فانت على الناس . فبرز اليه علي (عليه السلام) وهو يقول :

ان على كل رئيس حقا ان يروي الصعدة أو تدقا

ثم ضربه فقتله ، ومضى في تلك الخيل حتى كسر الاصنام، وعاد الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو محاصر اهل الطائف.

فلما رآه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كبر للفتح واخذ بيده فخلا به وناجاه طويلا.

روى عبد الرحمن بن سيابة والاجلح عن ابن الزبير عن جابر بن عبد الله الانصاري: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما خلا بعلي (عليه السلام) يوم الطائف، اتاه عمر بن الخطاب، فقال: اتناجيه دوننا وتخلو به ؟ !! فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا عمر ما انا انتجيته ، بل الله انتجاه .

قال: فاعرض عمر وهو يقول: هذا كما قلت لنا قبل الحديبية: ﴿ لندخلن المسجد الحرام انشاء الله آمنين ﴾ فلم ندخله، وصددنا عنه .. فناداه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : لم اقل لكم انكم تدخلونه في ذلك العام . . .

وروى اليعقوبي في تاريخه: انه خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الطائف ووجه بعلي بن ابي طالب (عليه السلام) فلقي نافع بن غيلان بن سلمة بن معتب في خيل من ثقيف، فقتله، وانهزم اصحابه، وحصرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بضعة وعشرين يوما ونزل اليه اربعون رجلا. وامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بقطع الكروم . .

واستشهد في حصار الطائف اثنا عشر رجلا من المسلمين .

وفد هوازن الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد حنين

جاء في تاريخ ابن الاثير وغيره انه لما رحل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الطائف سار حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس. واتته وفود هوازن بالجعرانة وقد اسلموا . فقالوا : يا رسول الله إنا أصل وعشيرة، وقد اصابنا ما لم يخف عليك، فامنن علينا، منَّ الله عليك .

وقام زهير ابو صرد من بني سعد بن بكر وهم الذين ارضعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا رسول الله انما في الحظائر[1]عماتك وخالاتك ، وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ، ولو أنا ارضعنا الحرث بن ابي شمر الغساني، او النعمان بن المنذر لرجونا عطفه، وانت خير المكفولين، ثم قال:

امنن علينا رسول الله في كرم ... فانك المرء نرجوه وندخر

امنن على نسوة قد عاقها قدر ... ممزق شملها في دهرها غير[2]

---

(١) الحظائر : جمع حظيرة وهي شبه الزريبة التي تصنع للابل والغنم ليكفها .

(٢) الابيات من الشعر نذكرها كلها لجودتها .

يا خير طفل ومولود ومنتخب ... في العالمين اذا ما حصل البشر

ان لم تداركهم نعماء تنشرها ... يا ارجح الناس حلماً حين يختبر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذا فوك تملؤه من محضها الدرر =

فخيرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين ابنائهم ونسائهم، وبين اموالهم، فاختاروا ابناءهم ونساءهم، فقال: « أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، فاذا انا صليت بالناس فقولوا: انا نستشفع برسول الله الى المسلمين . . وبالمسلمين الى رسول الله في ابنائنا ونسائنا، فساعطيكم واسأل فيكم ».

فلما صلى الظهر، فعلوا ما امرهم به ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم » وقال المهاجرون والانصار: ما كان لنا فهو لرسول الله . وقال الاقرع بن حابس: ما كان لي ولبني تميم . . فلا . وقال عيينة بن حصن : ما كان لي ولفزارة . . فلا . وقال عباس بن مرداس: ما كان لي ولبني سليم . . فلا .

فقالت بنو سليم : ما كان لنا فهو لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . فقال عباس بن مرداس: وهنتموني ـ ضعفتموني ـ .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « من تمسك بحقه

= إذا كنت طفلا صغيرا كنت ترضعها … وإذ يزينك ما تأتي وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته … واستبق منّا فانا معشر زهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به … عند الهياج اذا ما استوقد الشرر
انا لنشكر آلاء وان كفرت … وعندنا بعد هذا اليوم مدّخر
انا نؤمل عفوا منك تلبسه … هذي البرية اذ تعفو وتنتصر
فاغفر عفا الله عما انت راهبه … يوم القيامة اذ يهدي لك الظفر

من السبي فله بكل انسان ست فرائض من اول شيء نصيبه » فردوا على الناس ابناءهم ونساءهم .

وسأل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن مالك بن عوف[1] فقيل : انه بالطائف . فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اخبروه ان اتاني مسلما رددت عليه اهله وماله ، واعطيته مائة بعير، فاخبر مالك بذلك . فخرج من الطائف سراً، ولحق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاسلم . واستعمله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على قومه ، وعلى من اسلم من تلك القبائل التي حول الطائف . واعطاه اهله وماله ، ومائة بعير . وكان مالك يقاتل بمن اسلم معه من ثماله، وفهم وسلمة ، ثقيفا ، لا يخرج لهم سرح[2] الا اغار عليه حتى ضيق عليهم .

---

(١) مالك بن عوف النصري الذي جمع هوازان وسار بها لحرب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان اميرها المطاع . ولما امنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واحسن اليه رجع واسلم استعمله على القبائل فكان حرباً على ثقيف .

(٢) السرح : المال السائم الذي يعيش من المرعي من ابل وغنم وبقر .



قسمة غنائم حنين

لما كان من امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من رد اسرى هوازن وسباياهم . . وما كان من رده (صلى الله عليه وآله وسلم) على مالك بن عوف النصري اهله وماله بعد اسلامه واعطائه مائة بعير ، خشي اصحاب الاطماع الجشعين ان يستمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هباته وعطاياه لمن يفدون عليه يرجون عطفه ونواله ، أن تنقص الغنائم ولا يبقى لهم الا القليل. لذلك اخذوا يتهامسون فيها بينهم . . واخيرا خرجوا عن الهمس الى التصريح، فطلبوا والحوا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بتقسيم الغنائم ليأخذ كل واحد منهم نصيبه من المغنم .

فقد ذكر ابن الاثير وغيره من المؤرخين واصحاب السير ايضا انه : لما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من رد سبايا هوازن ، ركب واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله اقسم علينا فيئنا من الابل والغنم. . . حتى الجؤه الى شجرة فاختطفت رداءه. فقال: ردوا علي ردائي ايها الناس؟ !فوالله لو كان لي عدد شجر تهامة نعم لقسمتها عليكم . . ثم لا تجدوني بخيلا . . ولا جبانا . . ولا كذابا .

ثم رفع (صلى الله عليه وآله وسلم) وبرة من سنام بعير، وقال: ليس لي من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس، وهو مردود عليكم،

فادوا الخياط والمخيط. فان الغلول[1] يكون على اهله عارا، ونارا، وشنارا. يوم القيامة . فمن اخذ شيئاً رده .

ثم اعطى المؤلفة قلوبهم ، ـ الذين كانوا الى ايام قليلة اشد عداوة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وللاسلام ـ يتألفهم على الاسلام ، فاعطى ابا سفيان وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والعلاء بن جارية الثقفي ، والحرث بن هشام، وصفوان بن امية ، وسهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى، وعيينة بن حصن، والاقرع بن حابس، ومالك بن عوف النصري ، كل واحد منهم مائة بعير.

واعطى دون المائة رجالا ،منهم مخرمة بن نوفل الزهري ، وعمير بن وهب ابن عمرو، وسعيد بن يربوع، واعطى العباس بن مرداس اباعر فسخطها، واعطاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ذلك عطاء فرضي .

وروى الشيخ المفيد في ارشاده ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اعطى العباس بن مرداس اربعة من الابل يومئذ فسخطها وانشأ يقول :

اتجعل نهبي ونهب العبـ ـيد بين عيينة والاقرع

فما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع

---

(١) املي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في صلح الحديبية ، ان لا اسلال ، ولا اغلال : الاسلال السرقة والاغلال الخيانة . وقد تكرر ذكر الغلول في الحديث ، وهو الخيانة في المغنم ، والسرقة من الغنيمة ، وكل من خان في شيء خفية فقد غل ، وسميت غلولا لأن الايدي فيها مغلولة (لسان العرب) .

ومــا كنت دون امــرىء منهــما ومن تضــع اليــوم لم يــرفــع

فبلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله فاستحضـره وقال لـه: انت القائل: « اتجعل نهبي ونهب العبيد».

فقال رسول الله (صـلى الله عليبه وآلـه وسلم) لعلي بن اي طـالب (عليه السلام): قم يا علي واقطع لسانه ؟

فقال العباس بن مرداس: فوالله لهـذه الكلمة كـانت اشد عـلي من يوم ختعم ، حين اتونا في ديارنا .

فاخذ علي (عليه السلام) بيدي فـانطلق بي، ولـو ادري ان احداً يخلصني منه لدعوته ، فقلت : يـا علي انـك لقاطعـا لساني ؟ قـال: اني لمض فيك ما أُمرت .

قـال ـ العباس ـ ثم مضى فـما زال بي حتى ادخلني الحظايـر، فقـال لي: اعتد ما بين اربع الى مائة .

فقلت: بـــابي انت وامي . . مـــا اكـــرمـكم . . واحـــلمكـم . . واعلمكم .

فقال: ان رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) اعطاك اربعـا ، وجعلك من المهـاجرين ، فـان شئت فخذهـا ، وان شئت، فخذ المـائة وكن من اهـل المـائـة ـ اي المؤلفـة قلوبهم ـ قـال العبـاس: فقلت اشـر علي . . .

قال علي : (عليه السلام) فاني آمرك ان تأخذ ما اعطاك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسل) وترضى . .

قلت : فاني افعل .

وجاء في البداية والنهاية لابن كثير أنه لما كانت قسمة غنائم حنين اعرتض بعض الجهلة من اهل الشقاق والنفاق على رسول الله (صلى الله عيه وآله وسلم) في القسمة العادلة اذ قال رجل من الانصار: ما اراد بها وجه الله . . فأُخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك فتغير وجهه ثم قال : « رحم الله موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر » .

وروي عن جابر قال: بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقسم مغانم حنين اذ قام اليه رجل فقال: اعدل، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « لقد شقيت اذ لم اعدل » .

وفي الصحيحين عن ابي سلمة عن ابي سعيد قال: « بينا نحن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقسم قسما اذا اتاه ذو الخويصرة، رجل من بني تميم ، فقال : يا رسول الله اعدل . . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ويلك ومن يعدل ان لم اعدل . . لقد خبت وخسرت ، اذ لم اعدل فمن يعدل ؟ ! » .

فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله إيذن لي فيه، فاضرب عنقه ؟ .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لا يتجاوز تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من

الرمية، ينظر الى نصله فلا يوجد فيه شيء[1] ثم الى رصافه[2] فلا يـوجد فيه شيء ثم ينـظر الى نصبه ـ وهـو قدحـه ـ فلا يـوجد فيـه شيء، ثم ينـظر الى قزده[3] فـلا يوحد فيـه شيء، قد سبق الفـرث والـدم . آيتهم رجـل اسود احـدى عضديـه مثل ثـدي المرأة ، او مثـل البضعة تـدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس ».

قـال ابو سعيـد فاشهـد أني سمعت هذا من رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . واشهد أن علي بن ابي طالب قاتلهم وانا معه، وامر بذلك الرجل فالتمس . فاتي به ، حتى نظرت اليه على نعت رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي نعت »[4].

---

(١) الرمية : الشيء الذي يرمى ـ والنصل : حديد السهم .

(٢) الرصاف : العقب الذي يلوى ، وهو مدخل النصل في السهم .

(٣) القذة : جمع قذذ وقذاذ ريش السهم .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير : ج٤ ـ ص ٣٦٣ ـ اقول : اصحـاب ذا الخويصـرة هم الخوارج الذين حاربوا علياً (عليه السلام) يوم النهروان .



عتب الانصار على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

ذكر المؤرخون واصحاب السير انه لما أعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ما اعطى من العطايا في قريش وقبائل العرب ، ولم يكن في الانصار منها شيء ، وجد هذا الحي من الانصار في انفسهم ، حتى كثرت منهم القالة[1] وحتى قال قائلهم : لقي والله رسول الله قومه !

وانشد حسان بن ثابت الانصاري : يعاتب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ايثاره قريشا وغيرها من قبائل العرب بالعطاء والفيء دون الانصار قصيدة منها :

وأت الرسول وقل يا خير مؤتمن … للمؤمنين اذا ما عدد البشر
علام تدعى « سليم » وهي نازحة … قد ام قوم هموا آووا وهم نصروا
سماهم الله انصاراً بنصرهم … دين الهدى وعوان الحرب تستعر
وسارعوا في سبيل الله واعترضوا … للنائبات وما خانوا وما ضجروا
والناس ألب[2] علينا فيك ليس لنا … الا السيوف واطراف القنا وزر[3]
نجالد الناس لا نبقي على احد … ولا نضيّع ما توحي به السور

---

(١) القاله : الكلام السيء .
(٢) ألب : مجتمعون .
(٣) الوزر : الملجأ .

كما[1] رددنا ببدر دون ما طلبوا ... اهل النفاق وفينا ينزل الظفر
ونحن جندك يوم النعف[2] من احد ... إذ حزّبت بطرا احزابها مضر
فما ونينا وما خنا وما خبروا ... منا عثارا وكل الناس قد عثروا

فدخل سعد بن عبادة على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا رسول الله ، ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في انفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي اصبت ، قسمت في قومك ، واعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب ، ولم يكن في هذا الحي من الانصار شيء .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : فأين انت من ذلك يا سعد ؟ ! .

قال : يا رسول الله ما انا إلا من قومي . . !

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : فاجمع لي قومك في الحظيرة . .

فخرج سعد فجمع الانصار في تلك الحظيرة . . فجاءه رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا . . وجاء آخرون فردهم . فلما اجتمعوا اليه ، اتاه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الانصار ، فاتاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فحمد الله واثنى عليه بالذي هو اهل .

ثم قال : « يا معشر الانصار . . ما قالة بلغتني عنكم ؟ !

---

(١) وفي رواية : وكم .
(٢) النعف : اسفل الجبل ـ واحزّبت : جمعت .

وموجدة[1] وجدتموها في انفسكم ؟ ! .

ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله ، وعالة[2] فاغناكم الله ، واعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ .

قالوا : بلى ـ لله ولرسوله المن والفضل . .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ألا تجيبوني يا معشر الانصار ؟

قالوا : وبماذا نجيبك يا رسول الله ، لله ولرسوله المن والفضل . .

قال : أما والله ، لو شئتم لقلتم : فصدقتم ولصدقتم ، اتيتنا مكذَّباً فصدقناك ، ومخذولاً فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك ، . . . .

وجدتم في انفسكم يا معشر الانصار في لعاعة[3] من الدنيا ، تألفت بها قلوب قوم ليسلموا ، ووكلتكم الى اسلامكم ؟! . . .

افلا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم .

فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ، ولو سلك الناس شعباً[4] وسلكت الانصار شعباً ، لسلكت شعب الانصار . .

---

(١) المعروف عند اهل اللغة ـ الموجودة : اذا اردت الغضب .
(٢) عالة : جمع عائل ـ وهو الفقير .
(٣) لعاعة : بالضم ـ بقلة ناعمة . . .
(٤) الشعب : الطريق بين جبلين .

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« اللهمَّ ارحم الانصار، وابناء الانصار، وابناء ابناء الانصار . » .

فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم ، وقالوا : « رضينا برسول الله قسماً وحظاً » .

ثم انصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وتفرقوا . .

اقول : لا بد لنا بعد ان اطلعنا على ما كان من سير المعارك التي خاضها المسلمون وخاصة معركة حنين ، وما تركته من الآثار التي مهدت للمسلمين الانطلاق من داخل شبه الجزيرة العربية الى خارجها ، وما تركته من الثقة بالنفس والانتصار على الاعداء، وما حققته من القوة والظفر . . حتى ارتج لهذه القوة المندفعة باخلاص وثبات ارجاء العالم ، وما اخذت تتحدث به الركبان من الانتصارات الباهرة التي حققها المسلمون بقيادة الرسول الاعظم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، الا القول بان التغلب على الشرك كان من قوة العقيدة والايمان الراسخ الذي كان متغلغلا في نفوس المؤمنين الذين باعوا انفسهم لله وفي سبيله؛ ومرضاته كما وصفهم سبحانه بقوله عز من قائل: **﴿ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾**[1] .

---

(١) سورة التوبة ـ آية ـ ١١٢ .

وعلى كل حال كانت معركة حنين نهاية المطاف لاعداء الاسلام، والمؤلفة قلوبهم التي قضت على آخر امل بالتغلب - او بالوقوف ولو من بعيد، بوجه رسالة الاسلام التي اخذت تسير مسير الشمس في الآفاق.

ولا يسعنا الا القول ان الكثرة والاستعداد والعُدد لا يغنيان ، ما لم ترافقها العقيدة . ولهذا انهزم المسلمون في معركة حنين في اول الامر لعجبهم بانفسهم وكثرتهم . . . حتى قال احد المهاجرين : - لا نغلب اليوم من قلة - وقد جاء قوله تعالى في ذلك : ﴿ ويوم حنين اذ **اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين** . . ﴾[1] .

وعلى هذا يثبت لنا ان ميزان القوى كان آتيا من العقيدة الثابتة في نفوس المسلمين المؤمنين ، وان التضحية في سبيل الله التي جُبل عليها المؤمنون المجاهدون كانت اعظم قوة للانتصار على الاعداء، وهي كذلك في كل عصر دعامة النصر، حتى يومنا هذا - والى يوم القيامة .

ومن هذا المنطلق نجد أن العدد والعدد لا يغنيان ما لم ترافقهما العقيدة كما ذكرنا ومن هذا المنطلق تسود المحبة والوئام بدل الحقد والخصام ، ويسير الناس يدا واحدة، وقلبا واحدا متكاتفين في وجه الاعداء وهذا لا يتحقق الا بالالتزام بالمبادىء الدينينة والتعاليم السماوية .

---

(١) سورة التوبة آية - ٢٤

واقـول وبالنفس حسـرة : كيف بنا اليـوم في عصر طغت فيـه المادة عـلى كل مـا حولهـا ، وصار اهـل العصر عبيـدا لها بكـل معنى يسيرهم اصحـابهـا حسبـما تهـوى انفسهم أو تبتغي ، ولم يكن للعقيـدة التي هي مصدر القوة والنجاح أي اثر في النفوس .

وبـالـرغم من سيـطرة المـادة ايضـا نجـد ان الشعـوب العـربيـة والاسـلامية بـوجه عـام متفرقـة ممـزقـة يلعب بهـا الملحـد، والـطامـع ، والمستعمر كيفما يريد ويوجهها حيثـما اراد وما اصـاب العرب والمسلمـين مـا اصـاب من البـلاء الا من تـركهم تعـاليم دينهم القـويم ، حتى ان الكثير من المسلمين الجهلة المستهتـرين لا يعرف احـدهم انه مسلم الا ـ بالهوية ـ او لأنه سجل على اسم ابويه المسلمين .

وزيـادة على مـا ذكرنـا اصبح لكـل قطر من اقـطارنا او نـاحيـة من نواحينا ملك . . او سمو امير . . او فخامة رئيس . . الى آخره ـ وهكذا .

ولا يختلف حـال البلاد العربية والاسلاميـة وما آلت اليـه اليوم من التفرقة والتمزق عن حال الاندلس حينما وصفها الشاعر بقوله :

ممـا يـزهـدني في ارض انـدلس وجـود معتمـد فيهـا ومعتضـد
اسـماء مملكـة في غـير مـوضعهـا كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

واذا بقينا على هـذا الحال سيصيبنـا ما اصـاب العرب في الانـدلس وتكون عاقبتنا خسرا . . وقانا الله شر ذلك .

عمرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد حصار الطائف

روى ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق انه قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من الجعرانة معتمرا، وأمر ببقايا الفىء فحبس بمجنة ، بناحية مر الظهران ، فلما فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عمرته انصرف راجعا الى المدينة، واستخلف عتاب ابن اسيد على مكة[1]، وخلف معه معاذ بن جبل، يفقه الناس في الدين، ويعلمهم القرآن .

واتُّبع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ببقايا الفيء.

ويروي ابن هشام كذلك عن زيد بن اسلم انه قال: لما استعمل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)عتاب بن اسيد على مكة ، رزقه كل يوم درهما ، فقام فخطب الناس، فقال : ايها الناس، اجاع الله كبد من جاع على درهم ،فقد رزقني رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) درهما كل يوم، فليست بي حاجة الى احد.

وعن ابن اسحاق : كانت عمرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذي القعدة ، فقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة في بقية ذي القعدة ، أو في ذي الحجة .

---

(١) كان عمر عتاب بن اسيد اذ ذاك نحو عشرين سنة .ـ راجع شرح المواهب ـ .

اقول : لقد فرغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عمرته مرتاحا لما حققه الله له من النصر . . في فتح مكة . . وغزوة حنين ، اللتين مهدتا الطريق امام المسلمين للفتوحات الاسلامية التي تعاقبت بعد ذلك، حتى اصبحت راية الاسلام خفاقة على اكثر بقاع الارض ، وهزت عروش الظالمين ، وتضعضع من وقعها كيان عظماء العالم ، كان ذلك بفضل الجهاد، والاخلاص ، والتضحية ، والقناعة . وعزة النفس التي كان يتحلى بها اولئك المسلمون الاوائل بفضل تعاليم الاسلام السامية .

لقد ترك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عتاب بن اسيد على مكة ، ومعاذ بن جبل معه يفقه الناس، بالدين ويعلمهم القرآن كما اسلفنا . وكان عتاب اذ ذاك لا يتجاوز سنه العشرين على ما يروى . ولنا من قصته وقناعته « اعظم دليل على ما حبا الله المسلمين من العزة والكرامة ، والصبر والقناعة، اذ لم يعودوا ليلتفتوا الى شيء من بهارج الدنيا وزينتها ، ولم يتكالبوا على حطامها ، بل كان همهم نشر الاسلام وتطبيق تعاليمه المقدسة .

ويا ليت اكثر المسلمين اليوم يقتدون بعتاب بن اسيد من حيث القناعة عندما خطب الناس وقال: « ايها الناس اجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) درهما كل يوم ، فليست بي حاجة الى احد ».

ويا ليت اكثر المسلمين اليوم يرضون بالدرهم الذي رضي به عتاب ويقنعون بالقليل من الرزق الحلال .

ويا ليتهم لم يكونوا متناحرين متخاصمين على الرياسات ،

والزعامات ، والوجاهات وعلى تسنم المراتب العـالية ليتسنى لهم التسلط على رقاب الناس، واكل اموالهم من حل ومن غير حل .

فالقناعة كنزلا يفنى، وعـزة النفس لا تباع بـالثمن البخس، وحفظ الدين والكرامة هما دعـامة الحفـاظ على الارواح والاوطـان . وبالالتزام بالدين والحفاظ على الكرامة تصـان الحقوق ويـرجع الـطامع والمستعمـر خائبا ناكصا على عقبيه . وقى الله المسلمين شر الاشرار وكيد الفجار .



اسلام الشاعر كعب بن زهير

روى ابن هشام في سيرته انه لما قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن ابي سلمى الى اخيه كعب بن زهير يخبره ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قتل رجالا بمكة ، ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وان من بقي من شعراء قريش ، ابن الزبعري ، وهبيرة بن ابي وهب ، قد هربوا في كل وجه ، فان كانت لك في نفسك حاجة ، فطر الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فانه لا يقتل احداً جاءه تائبا ، وان انت لم تفعل فانج الى نجائك[1] من الأرض .

فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض ، واشفق على نفسه ، وارجف [2] به من كان في حاضره[3] من عدوه ، فقالوا : هو مقتول . . .

فلما لم يجد من شيء بداً ، قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وذكر فيها خوفه وارتجاف الوشاة من عدوه .

---

(١) الى نجائك : اي الى محل ينجيك منه .

(٢) ارجف به : خاض في امره بما يسوءه ويفزعه .

(٣) حاضره : حيه .

ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جهينة . فغدا به الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم اشار له الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : هذا رسول الله ، فقم اليه فاستأمنه .

فقام ـ كعب ـ الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى جلس اليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يعرفه فقال: يا رسول الله . . . ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً . . مسلماً . . فهل انت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « نعم ».

قال : انا يا رسول الله كعب بن زهير . .

وروي انه وثب على كعب بن زهير رجل من الانصار، فقال : يا رسول الله . . دعني وعدو الله اضرب عنقه .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : دعه عنك ، فانه قد جاء تائبا ، نازعا عما كان عليه . فغضب كعب على هذا الحي من الانصار، لما صنع به صاحبهم ، وذلك انه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين الا بخير، فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : التي أولها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم اثرها لم يفد مكبول[1]

---

(١) مكبول : مقيد .

الى قوله :

وقـال كـل صـديق كنت آمله   لا الهينـك اني عنـك مشغـول
فقلت خلوا سبيـلي لا ابـاً لكم   فكـل مـا قـدر الـرحمن مفعـول
كل ابن انثى وان طالت سلامته   يـوما عـلى آلـة حـدبـاء محمـول
نـبئت ان رسـول الله اوعـدني   والعفـو عند رسـول الله مأمـول
مهـلا هداك الذي اعطاك نـافلة   القرآن فيـه مـواعيظ وتفصيـل
لا تـأخذنيٌّ بـاقـوال الـوشـاة ولم   اذنب ولـو كثـرت في الاقـاويـل

الى قوله :

ان الـرسـول لنـور يستضـاء بـه   مهنـد من سيـوف الله مسلول
في عصبة من قريش قـال قائلهم   ببـطن مكة لمـا اسلموا زولـوا[1]
زالوا فما زال انكـاس ولا كشف   عنـد اللقـاء ولا ميـل معـازيـل

الى قوله :

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم   ضرب اذا اعرر السود التنابيل[2]

وعن ابن اسحاق عن عاصم بن عمـر بن قتادة انـه قال : فلما قـال كعب: « اذا عرد السود التنـابيل » وانمـا يريـدنا معشـر الأنصار، لما كان صاحبنا صنع به ما صنع ـ حينما قال احـد الانصار: دعني يـا رسول الله اضـرب عنقه ـ وخص المهـاجرين من قـريش من اصحـاب رسـول الله بمـدحته ، غضبت عليـه الانصار. فقـال بعـد أن اسلم يمـدح الانصار

---

(١) زولوا : فعل امر من زال التامة ـ التي تستغني بالمرفوع عن المنصوب ـ ومعناها تحولوا وانتقلوا من مكة الى المدينة .

(٢) عرَّد : فر ـ واعرض عن قرينه وهرب عنه . والتنابيل جمع تنبال ـ وهو القصير .

ويذكر بلاءهم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

من سره كرم الحياة فلا يزل ... في مقنب من صالحي الانصار[1]

ورثوا المكارم كابرا عن كابر ... ان الخيارهم بنو الاخيار

المكرهين السمهري باذرع ... كسوالف الهندي غير قصار[2]

والناظرين باعين محمرة ... كالجمر غير كليلة الابصار

والبائعين نفوسهم لنبيهم ... للموت يوم تعانق وكرار

والقائدين[3] الناس عن اديانهم ... بالمشرفي وبالقنا الخطار[4]

يتطهرون يرونه نسكاًلهم ... بدماء من علقوا من الكفار

ويقال : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له : حين انشده « بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » : » لولا ذكرت الانصار بخير ، فانهم لذلك اهل » .

فقال كعب هذه الابيات « من سره كرم الحياة . . » وهي في قصيدة له .

وروى الطبري في تاريخه : انه في سنة ثمان بعد رجوع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى المدينة ، تزوج (صلى الله عليه وآله

---

(١) المقنب : الجماعة من الخيل . يريد به القوم على ظهور جيادهم .

(٢) السمهري : الرمح ، وسوالف الهندي : يريد حواشي السيوف ، وقد يراد به الرماح ايضاً لأنها قد تنسب الى الهند .

(٣) والقائدين : وفي رواية « والذائدين » بمعنى المانعين ، والدافعين .

(٤) المشرفي : السيف . والقنا : الرماح . جمع قناة . والخطار : المهتز .

وسلم) من فاطمة بنت الضحاك الكلابية ، فخيرها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاختارت الدنيا . . حين خيرها ، ففارقها . وقيل انها استعاذت منه ففارقها . وقيل : انها اسماء بنت النعمان .

وروي انه لما تزوج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اسماء بنت النعمان التي احست عائشة خطر جمالها منذ وقعت عيناها عليها ، وقدرت انها اذا لم تحل بينها وبين زوجها الرسول فسوف تكلفها من امرها عسرا .

ذهبت اليها مع حفصة واخرى من صواحبها ونصحتها : ان تستعيذ بالله اذا ما دخل النبي عليها . . وفعلت المسكينة .

فصرف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: لقد عذت بمعاذ، وغادرها وامرها ان تلحق باهلها . . ثم قال « انهن صواحب يوسف . . وان كيدهن عظيم »[1].

---

(١) راجع تراجم سيدات بيت النبوة ـ الدكتورة بنت الشاطيء ـ والمرأة في ظل الإسلام : مريم نور الدين فضل الله .



مولد ابراهيم ابن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

عاد الرسول الاعظم الى المدينة في ذي الحجة سنة ثمان للهجرة معه اصحابه من المهاجرين والانصار، ترفرف فوق رؤوسهم رايات النصر ، وتلهج السنتهم بآيات الشكر والحمد والامتنان للواحد القهار على ما حباهم به من الفوز والتغلب على المشركين الضالين .

عاد الرسول الاعظم والمهاجرون والانصار الى المدينة ليقيم فيها ، وليطمئن الى شيء من سكينة الحياة ، وليستقبل مولوده المنتظر « ابراهم » فقد ترك مارية القبطية حاملا عندما ذهب (صلى الله عليه وآله وسلم) الى فتح مكة . . ومن بعدها الى حنين . . والى الطائف .

لم يطل انتظار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طويلا ، فقد من الباري سبحانه وتعالى عليه اذ رزقه من مارية القبطية مولودا ذكرا اسماه « ابراهيم » تيمنا باسم جده الاكبر ابراهيم الخليل (عليه السلام) .

كانت مارية القبطية هذه على ما يروى في مرتبة السراري من حين قدومها من مصر هدية من المقوقس ـ عظيم القبط ـ الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ولما ولدت ابراهيم اصبح لها من المنزلة عنده غير المنزلة الاولى، واصبحت في مرتبة زوجاته ، وزادتها امومتها وانجابها للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غلاما عنده حظوة . . ومنه قربى. لان ولادة ابراهيم

ادخلت السرور على قلبه الشريف، حتى انه كان يمر على منزلها الذي وضعها فيه بالعالية من ضواحي المدينة في المحل الذي يقال له الآن مشربة ام ابراهيم ـ ليرى ولده وفلذة كبده ، ويمتع نظره منه .

وكان من الطبيعي ان تدب الغيرة بين ازواجه اللواتي لم يلدن لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكلما شاهدنه مغتبطا ينظر الى ولده والغبطة تملأ قلبه والسرور باد عليه تزداد في نفوسهن نار الغيرة اشتعالا .

ذكر اليعقوبي في تاريخه : ولد ابراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وامه مارية القبطية في ذي الحجة سنة ثمان . ولما ولد هبط جبريل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : السلام عليك يا ابا ابراهيم . . .

وتنافست فيه نساء الانصار ايتهن ترضعه ، فدفعه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى ام برده بنت المنذر بن زيد من بني النجار .

وعق عنه[1] رسول الله بكبش، وكانت قابلته سلمى مولاة رسول الله امرأة ابي رافع ، ، فجاء ابو رافع الى رسول الله فاخبره . . فوهب له عبدا . وغارت نساء رسول الله، واشتد عليهن حيث رزق منها ولدا .

(١) عق عن ابنه : ذبح عنه شاة واسم تلك الشاة : عقيقة ـ وفي الحديث : الغلام مرتهن بعقيقته ـ وروي عنه انه قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : مع الغلام عقيقته ، فاهريقوا عنه دماً واميطوا عنه الاذى . ـ لسان العرب لابن منظور ـ .

وروى الزهري: عن عروة عن عائشة، قالت: دخل علي رسول الله، ومعه ابنه ابراهيم يحمله فقال: انظري الى شبهه بي، قالت عائشة: ارى شبهها، قال: اما ترين بياضه ولحمه.. !

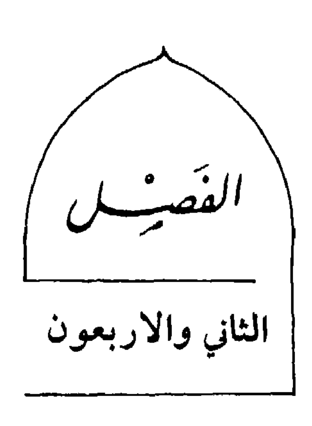
قالت: من قصر عليه اللقاح ابيض وسمن..

وتوفي ابراهيم في سنة عشر وله من العمر سنة وعشرة اشهر، وكسفت الشمس ساعتين من النهار، فقال الناس: كسفت الشمس لموت ابراهيم..

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله.. لا يكسفان لموت احد، ولا لحياته.. فاذا رأيتم فافزعوا الى مساجدكم ».

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): « ان العين تدمع.. والقلب يخشع.. وإنا بك يا ابراهيم لمحزونون.. ولكنا لا نقول ما يسخط الرب. »




الفصل
الثاني والاربعون



غزوة تبوك

ذكر ابن الاثير وغيره من المؤرخين واصحاب السير : أنه لما عاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اقام بالمدينة بعد رجوعه من الطائف ما بين ذي الحجة الى رجب من السنة التاسعة الهجرية .

ثم امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس بالتجهز لغزو الروم ، واعلم الناس مقصدهم لبعد الطريق، وشدة الحر، وقوة العدو ، وكان قبل ذلك اذا اراد غزوة ورّى بغيرها ـ كما فعل (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم فتح مكة حيث لم يخبرهم بمقصده الا اثناء الطريق ـ.

وكان سبب غزوة تبوك ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بلغه أن هرقل ملك الروم ومن عنده من متنصرة العرب قد عزموا على قصده ـ ومحاربته والفتك باصحابه . فتجهز هو والمسلمون ، وساروا الى الروم ، وكان الحر شديدا، والبلاد مجدبة ، والناس في عسرة ، وكانت الثمار قد طابت فاحب الناس المقام في ثمارهم فتجهزوا على كره ، فكان ذلك الجيش يسمى جيش العسرة . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للجد بن قيس: وكان من رؤساء المنافقين . . هل لك ياجد هذا العام في جلاد بني الاصفر؟ فقال: والله لقد عرف قومي حبي للنساء، واخشى ان لا اصبر على نساء بني الاصفر . . فان رأيت ان

تأذن لي ولا تفتني . .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : قد أذنت لك فانزل الله تعالى : ﴿ **ومنهم من يقول أئذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين** ﴾[1] .

وقال قائل من المنافقين : لا تنفروا في الحر ، زهادة في الجهاد، وشكاً في الحق، وارجافاً بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزل قوله تعالى : ﴿ **فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حراً لو كانوا يفقهون*فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون*فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين** ﴾[2] .

ثم ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تجهز وامر بالنفقة في سبيل الله، وانفق اهل الغنى ما استطاعوا انفاقه .

وان رجالا من المسلمين اتوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم البكاؤن وكانوا سبعة نفر من الانصار وغيرهم ، وكانوا اهل حاجة ـ فقراء ـ فاستحملوه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : (صلى الله عليه وآله وسلم) لا اجد ما احملكم عليه ، فتولوا يبكون ، فلقيهم يامين بن عمير بن كعب النضري، فسألهم عما يبكيهم ؟ فاعلموه . .

---

(١) سورة التوبة ـ آية ـ ٥٠ .

(٢) سورة التوبة ـ آية ـ ٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٣ .

فاعطى ابا ليلى عبد الرحمن بن كعب، وعبد الله بن المغفل المـزني بعيرا، فكانا يعتقبانه مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

فلينظر المتأمـل في امر هؤلاء البكـائين الـذين جاؤا الى رسـول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) يطلبـون منه مـا يحملهم حتى يصحبوه في غـزوته ، ولـا لم يجدوا عنـده من الرواحـل ما يحملهم عليـه رجعوا وهـم يبكون تأسفا على ما فاتهم من الجهاد في سبيل الله وقـد ذكرهم سبحـانه في قوله : ﴿ **الذين اذا ما اتـوك لتحملهم قلت لا اجد مـا احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون** ﴾[2].

وهكـذا الجهاد في سبيـل الله هـو اندفاع وعقيدة . وتضحيـة . . ونكـران للذات . . ولو كـان في المسلمين اليـوم امثـال هؤلاء لما تفـرق شملهم ، ولـا ضعفوا وتضعضعـوا ، ولما تسلط عليهم الاعـداء. ولكن ويا للاسف فاكثر المسلمين في هذا الزمان هم ساهون لاهون عن مصالحهم الحقيقيـة ، فمنهم من همه تـركيز عـرشه وسلطانـه ، ومنهم من لاهـم له سوى رفاهيته وشهواته فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيـرا) اعاذ الله البـلاد والعباد من شر الاشرار السائرين في ركاب الاستعمار، والذين يتملقـون للملحدين والكفار .

---

(١) البكـاؤ ن سبعة نفـر من الانصار وغيـرهم : وهم سـالم بن عمـير ، وعُلبـة بن زيـد ، وابـو ليـلى عبـد الـرحمن بن كعب ، وعمـرو بن حمـام بن الجمـوح ، وعبـدالله بن المغفل المـزني ، وبعض يقول بـل هو عبـدالله بن عمـرو المـزني ، وهرمي بن عبد الله ، وعرباط بن سارية الفزاري .

(٢) سورة التوبة ـ آية ـ ٩٢ .



مسير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى تبوك
واستخلافه علي بن ابي طالب

لما اراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الخروج الى غزوة تبوك ومحاربة الروم ، استخلف امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في اهله وولده وازواجه ومهاجره ، وقال له : يا علي ان المدينة لا تصلح الا بي وبك .

أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علم من خبث نيات الاعراب ، وكثير من اهل مكة ومن القبائل ممن غزاهم ولا يزال حقدهم على الاسلام ونبي الاسلام يزداد في صدورهم اشفق ان يطلبوا المدينة عند نأيه عنها الى بلاد الروم،والسفر البعيد كهذا يتطلب وقتاً طويلا ربما يفسح المجال امام الموتورين والمنافقين ، والكفار لأن يتحدوا ويتكاتفوا على مهاجمة المدينة « معقل الاسلام » وتحدث البلبلة . . فعند ذلك ربما يضطر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للرجوع والدفاع عنها .

وفي هذه الحال لم يجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من هو اهل لثقته والاعتماد عليه ، لان يقوم مقامه من بين اصحابه غير ابن عمه وصهره ووزيره علي بن ابي طالب . فهو الوحيد الذي تؤمن غوائله ويعتمد عليه .

وعلم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ايضا أنه لا يقوم مقامه في ارهاب العدو، وحراسة دار الهجرة ـ المدينة ـ وحياطة من فيها كما يريده (صلى الله عليه وآله وسلم) الا علي (عليه السلام) صاحب السيف والمقامات المشهورة في تركيز دعائم الاسلام والدفاع عنه الذي لا تأخذه في الله لومة لائم واستخلفه لهذه المهمة .

وجاء في تاريخ اليعقوبي ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سار في جمع كثير الى تبوك من ارض الشام، يطلب بدم جعفر بن ابي طالب[1] ووجه الى رؤساء القبائل والعشائر، يستنفرهم ويرغبهم في الجهاد.

وحضّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اهل الغنى على النفقة ، فانفقوا نفقات كثيرة وقووا الضعفاء.

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « افضل الصدقة . . جهد المقل ».

واتاه (صلى الله عليه وآله وسلم) قوم من الاغنياء فاستأذنوه وقالوا : دعنا نكن مع من تخلف فقال الله تعالى: ﴿ **رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** ﴾[2] وهم الجد بن قيس،

---

(١) جعفر بن ابي طالب (رضي الله عنه) الذي استشهد في غزوة مؤتة هو وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة ونفر من المسلمين (رضي الله عنهم) وقبر جعفر ورفاقه زيد وعبد الله معروف في مؤتة ـ من بلاد الأردن الآن ـ وقبرهم مزار يؤمه الزائرون من كل البلاد الإسلامية .

(٢) سورة التوبة ـ آية ـ ٨٧ .

ومجمع بن جارية ، وخدام بن خالد . فاذن لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ثم انه سبحانه خاطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما فيه بعض العتاب في اذنه لمن استأذنه في التأخر عن الخروج معه الى تبوك فقال: ﴿ **عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** ﴾[1].

وخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غرة رجب سنة تسع ،واستخلف علياً (عليه السلام) على المدينة ، واستعمل الزبير على راية المهاجرين ، وطلحة على الميمنة ، وعبد الرحمن بن عوف على الميسرة . وخرجت النساء والصبيان يودعونه عند الثنية . . فسماها ثنية الوداع .

وذكر ابن هشام في سيرته : ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما ازمع المسير الى تبوك خلف عليا (عليه السلام) على اهله ، وامره بالاقامة فيهم ، واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري .

وذكر الطبري في تاريخه : ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

(١) سورة التوبة ـ آية ـ ٤٣ ـ اقول : ان الله سبحانه وتعالى خاطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما فيه بعض العتاب بقوله جل وعلا (عفا الله عنك . . . الآية) وهذا العتاب من الله سبحانه لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس معناه ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اخطأ ولو خطأ صغيراً بل معناه والله العالم ان الافضل عدم الاذن لهؤلاء المنافقين لا العتاب بمعناه المتعارف بدليل قوله بموضع آخر ﴿ **فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم** ﴾ وقيل في تفسير العفو غير ما ذكرنا والله اعلم .

خلف عليا على اهله واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة .

لكن عليا (عليه السلام) واستخلاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له على اهله ومهاجره لا مجال لانكاره. لقد ذكر اليعقوبي في تاريخه والشيخ المفيد في ارشاده ، وغيرهما . . ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خلف عليا (عليه السلام) على المدينة ولم يذكروا احدا معه.

ومن هنا يستدل على ان عليا هو الذي استخلفه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا سواه ، ويستدل ايضا بدليل اجماع المؤرخين واصحاب السير على استخلاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي واختلافهم فيمن كان معه على المدينة ، فابن هشام في سيرته مثلا يقول: خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا على اهله ، واستعمل محمد بن مسلمة معه على المدينة .

ونرى الطبري في تاريخه يقول: خلف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا على اهله واستعمل سباع بن عرفطة على المدينة . . الى آخره .

وذكر الحلبي في سيرته : « لما تجهز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسار بالناس الى تبوك خلف على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري . . وقال الحافظ الدمياطي : قيل سباع بن عرفطة ـ وقيل : ابن ام مكتوم ـ وقيل علي بن ابي طالب قال ابن عبد البر : وهو الأثبت . ومن هنا يثبت لنا ان استخلاف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) على المدينة كافة .

وروى المؤرخون واصحاب السير ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سار الى تبوك بجيش عدته ثلاثون الفا ـ وقيل اربعون الفا ـ

وقيل سبعون الفا . وكانت الخيل عشرة آلاف، وقيل اثنا عشر الفا .

وروى ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن اسحاق: انه لما خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن ابي طالب (عليه السلام) على اهله وامره بالاقامة فيهم . . ارجف به المنافقون وقالوا : ما خلفه الا استثقالا له ، وتخففا منه .

فلما قال المنافقون ذلك اخذ علي سلاحه ، ثم خرج حتى لحق برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو نازل بالجرف، فاخبره بما قالوا . . .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي . . فارجع فاخلفني في اهلي واهلك . . . افلا ترضى يا علي ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي »[1] .

فرجع علي (عليه السلام) الى المدينة . . ومضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في سفره .

اقول : ان قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي : « كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي . . الى آخره » اشارة الى أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم ان المنافقين وهم كثر . . مندسون

---

(١) رواية استخلاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) على المدينة حين ذهابه الى تبوك ، وقوله : اما ترضى يا علي ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي هذه الرواية اجمع عليها المؤرخون واصحاب السير .

بين صفوف المسلمين . . ما زالوا يتحينون الفرص للفتك فيمن بقي من المسلمـين في المدينـة ، وبعد هـذا تكون الانتفـاضـة منهم للقضـاء عـلى الاسلام ان امكنهم ذلك .

ويؤ يـد ذلك مـا رواه المؤ رخون واصحـاب السير أنـه حينـما خـرج رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) الى تبـوك ، ضرب المنـافق عبد الله بن ابي معـه عسكره عـلى حدة اسفـل من عسكر رسـول الله ـ نحـو ذباب ـ جبل المدينة ـ .

فلما سار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تخلف عنه عبد الله بن ابي فيمن تخلف من المنـافقين وأهـل الريب . وهـذا مـا خشي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حدوثه . ولم يكن في اصحابـه واقاربـه من هو أهل للقيام بهذه المهمة الصعبة ـ الدفاع عن المدينة وحمـاية المسلمـين فيها غير علي بن ابي طالب فاوكل الامر اليه . . واتكل بعد الله عليه .

المتخلفـون عن المسير مـع النبي (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) من غـير شك ولا ارتياب

لما سار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى تبوك تخلف عنه جماعة امثال المنافق عبد الله بن ابي في طائفة من المنافقـين واهل الـريب كما اسلفنا .

وتخلف عنه (صلى الله عليـه وآله وسلم) ايضـا العجزة والـذين لم يجدوا ما ينفقون وقد ذكرهم الله سبحانه في قوله : **﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذ نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم*ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليـه تولـوا واعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون*انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم اغنيـاء رضوا بـأن يكونـوا مع الخـوالف وطبـع الله عـلى قلوبهم فهم لا يعلمون[1] ﴾** .

وتخلف عن رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) ايضـا نفر من المسلمين ابطأت بهم الغيبة من غير شـك ولا ارتياب، منهم : كعب بن مالك، ومرارة بن ربيع، وهلال بن امية ، وابـو خيثمة . . وكـانوا نفـر

---

(١) سورة التوبة ـ آية ـ ٩١ ـ ٩٢ ـ ٩٣ .

صدق لا يتهمون في اسلامهم .

ذكر الطبرسي في تفسيره مجمع البيان : ان كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أُمية تخلفوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يخرجوا معه لا عن نفاق، ولكن عن توان ، ثم ندموا .

فلما قدم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة جاءوا اليه واعتذروا ، فلم يكلمهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . وتقدم الى المسلمين بان لا يكلمهم احد منهم ، فهجرهم الناس، حتى الصبيان . وجاءت نساؤهم الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلن : يا رسول الله نعتزلهم ؟ فقال : لا ولكن لا يقربوكن . . فضاقت عليهم المدينة ، فخرجوا الى رؤوس الجبال ، وكان اهاليهم يجيئون لهم بالطعام ، ولا يكلمونهم ، فقال بعضهم لبعض: قد هجرنا الناس ، ولا يكلمنا احد منهم ، فهلا نتهاجر نحن ايضا ؟ فتفرقوا ، ولم يجتمع منهم اثنان . وبقوا على ذلك خمسين يوما يتضرعون الى الله تعالى، ويتوبون اليه ، فقبل الله تعالى توبتهم ، وانزل فيهم : ﴿ **وعلى الثلاثة الذين خُلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم** ﴾[1] .

وانزل سبحانه توبتهم على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) ليتوب المؤمنون من ذنوبهم لعلمهم بان الله سبحانه قابل التوبة ، قال الحسن : اما والله ما سفكوا من دم ، ولا اخذوا من مال ، ولا قطعوا من رحم ،

---

(١) سورة التوبة ـ آية ـ ١١٨ .

ولكن المسلمين تسارعوا في الشخوص مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتخلف هؤلاء، وكان احدهم تخلف بسبب ضيعة له ، والآخر لاهله ، والآخر طلباً للراحة . ثم ندموا وتابوا فقبل الله توبتهم ان الله هو التواب الرحيم ، بعباده .

لاقى النبي (صلى الله عليهب وآله وسلم) والمسلمون في ذهابهم الى تبوك الكثير من المصاعب والمتاعب ، من شدة الحر . . وقلة المؤنة . . وبعد الشقّة .

المسلمون الاول هم الابطال الذين صمدوا وصبروا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واتبعوه في ساعة العسرة ، فخر الاجيال المتلاحقة ، وهم الذين سجلوا على مر الازمان . . من صبرهم ، وثباتهم ، ودماء شهدائهم تاريخ البطولة والفداء .

وتقول الروايات انه في غزوة تبوك لحق المسلمين فيها من العسرة الشيء الكثير، حتى همَّ قوم بالرجوع ، ثم تداركهم لطف الله سبحانه وتعالى .

وروى الطبرسي في تفسيره عن الحسن انه قال : كان العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم ، يركب الرجل ساعة، ثم ينزل فيركب صاحبه ، وهكذا . وكان زادهم الشعير المسوس والتمر المدود ، والاهالة[1]السنخة[2] .

---

(١) الاهالة : ما اذبت من الشحم ـ وقيل الاهالة الشحم والزيت (لسان العرب لابن منظور) .

(٢) النسخة : الدسم الجامد المتغيرة الريح (لسان العرب لابن منظور) .

وكان النفر من المسلمين يخرجون ما معهم من التميرات بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ، ثم يعطيها صاحبه فيمصها ، ثم يشرب عليها جرعة من ماء، كذلك حتى يأتي على آخرهم ، فلا يبقى من التمرة الا النواة .

وكان ابو خيثمة عبد الله بن خيثمة تخلف الى ان مضى من مسير رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشرة ايام ، ثم دخل يوما على امرأتين له في يوم حار في عريشين لهما، قد رتبتاهما ، وبردتا الماء، وهيأتا له الطعام ، فقام على العريشين وقال : سبحان الله . . رسول الله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر في الفتح ، والريح ، والحر ، والقر ، يحمل سلاحه على عاتقه . . ! وابو خيثمة في ظلال باردة ، وطعام مهيأ ، وامرأتين حسناوين . . ما هذا بالنصف ! .

ثم قال : والله لا اكلم واحدة منكما كلمة ، ولا ادخل عريشا حتى الحق بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . فاناخ ناضحه ـ جمله ـ واشتد عليه ، وتزود وارتحل، وامرأتاه تكلمانه ولا يكلمهما .

ثم سار حتى اذا دنا من تبوك قال الناس، هذا راكب على الطريق، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): : « كن ابا خيثمة اولى لك » فلما دنا قال الناس : هذا ابو خيثمة يا رسول الله . . ! فاناخ راحلته ، وسلم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له (صلى الله عليه وآله وسلم) : اولى لك[1] فحدثه الحديث فقال له رسول الله

---

(١) اولى لك : كلمة فيها معنى التهديد ، وهي اسم سمي به الفعل ، ومعناها فيما قال المفسرون : دنوت من الهلكة .

(صلى الله عليه وآله وسلم) خيرا ، ودعا له ، وهو الذي زاغ قلبه للمقام ، ثم ثبته الله وذلك اشارة الى قوله تعالى : ﴿ **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعدما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم** ﴾[1] .

وفي رواية ابن كثير عن ابن اسحاق انه لما سار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى تبوك جعل لا يزال الرجل يتخلف ، فيقولون : يا رسول الله تخلف فلان ، فيقول : « دعوه ان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وان يك غير ذلك فقد اراحكم الله منه » حتى قيل يا رسول الله تخلف ابو ذر . . وابطأ به بعيره ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) « دعوه ان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وان يك غير ذلك فقد اراحكم الله منه » .

فتلوم ابو ذر بعيره[2] فلما ابطأ عليه ، أخذ متاعه ، فجعله على ظهره ، ثم خرج يتبع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ماشيا .

ونزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض منازله ، ونظر ناظر من المسلمين ، فقال : يا رسول الله ، ان هذا الرجل ماش على الطريق ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « كن

---

(١) سورة التوبة ـ آية ـ ١١٧ .

(٢) التلوم : التنظر للامر تريد . والتلوم الانتظار والتلبث . وفي حديث عمرو بن سلمة الجرمي : وكانت العرب تلوم باسلامهم الفتح أي تنتظره .
وفي الحديث : بئس لعمر الله ، عمل الشيخ المتوسم ، والشاب المتلوم .
(لسان العرب لابن منظور والمعنى ان ابا ذر (رضي الله عنه) انتظر بعيره .

ابا ذر » فلما تأمله القوم قالوا : يا رسول الله . . . هو والله أبو ذر ! .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « يرحم الله أبا ذر يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده »[1] .

اقول : لقد صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما قال عن ابي ذر : « يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده » وهكذا كان عندما توالت الايام بعد وفاة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وتولى عثمان بن عفان مقاليد الخلافة ، ابعد ابا ذر عن المدينة ، ونفاه الى الربذة حيث مات فيها وحيدا كما سيأتي عند ذكر بعض سيرته وموته .

وروى ابن كثير عن عبدالله بن عباس انه قال : قيل لعمر بن الخطاب : حدثنا عن شأن ساعة العسرة . . فقال عمر : خرجنا الى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلا واصابنا فيه عطش، حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع ، حتى ان كان احدنا ليذهب فيلتمس الرحل، فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستنقطع ، حتى ان الرجل لينحر بعيره ، فيعتصر فرثه فيشربه ، ثم يجعل ما بقي على كبده ، فقال ابو بكر : يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا ، فادعو الله لنا . . ؟ فقال « أو تحب ذلك ؟ » قال : نعم . .

فرفع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يديه نحو السماء، فلم يرجعهما حتى قالت[2] السماء، فاطلت ، ثم سكبت ، فملؤا ما

(١) البداية والنهاية لابن كثيرج٥ ـ ص ٩ .

(٢) قالت : بمعنى استعدت وتهيأت . (القاموس) .

معهم . . ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر .

وذكر ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه : ان هذه القصة كانت وهم في الحجر، وانهم قالوا لرجل معهم منافق : ويحك . . هل بعد هذا من شيء ؟ ! فقال : سحابة مارة[1].

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ج٥ - ص ٩ .



مرور الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحجر

روى ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق انه قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين مر بالحجر نزلها ، واستقى الناس من بئرها ، فلما راحوا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تشربوا من مائها شيئاً، ولا تتوضؤا منه للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الابل، ولا تأكلوا منه شيئاً، ولا يخرجن احد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له . ففعل الناس ما امرهم به رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، الا ان رجلين من بني مساعدة خرج احدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعير له ، فاما الذي ذهب لحاجته فانه خنق على مذهبه، واما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبلي طيء.

فأُخبر بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال: ألم انهكم ان يخرج منكم احد الا ومعه صاحبه ؟ !.

ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي اصيب على مذهبه فشفي، واما الآخر الذي وقع بحبلي طيء فان طيئاً اهدته لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين قدم المدينة .

وعن الزهري أنه قال : لما مر رسول الله (صلى الله عليه وآله

وسلم) بالحجر سجى ثوبه على وجهه[1]واستحث[2]راحلته ثم قال : لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وانتم باكون ، خوفا ان يصيبكم مثل ما اصابهم[3] .

وروى ابن كثير مسلسلا عن ابن عمر أنه قال: نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالناس عام تبوك الحجر ، عند بيوت ثمود، فاستقى الناس من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود، فعجنوا ، ونصبوا القدور باللحم ، فامرهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاهرقوا القدور، وعلفوا العجين الابل .

ثم ارتحل (صلى الله عليه وآله وسلم) بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ـ ناقة صالح ـ ، ونهاهم ان يدخلوا على القوم الذين عُذبوا ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اني اخشى ان يصيبكم مثل ما اصابهم فلا تدخلوا عليهم » .

وروى صاحب البداية والنهاية مسلسلا عن جابر انه قال : لما مرَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالحجر قال : « لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت ترد من هذا الفج[4]وتصدر من هذا الفج ، فعتوا عن امر ربهم ، فعقروها[5]وكانت تشرب ماءهم يوما ، ويشربون لبنها يوما ، فعقروها . . فاخذتهم صيحة اهمد الله من تحت اديم السماء

---

(١) سجى ثوبه على وجهه : غطاه به .
(٢) استحث راحلته : استعجلها .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام ـ ج٤ ص ١٦٥ .
(٤) ترد من هذا الفج : اي من هذا الوجه .
(٥) فعقروها : الضمير راجع الى ناقة صالح ـ وهي آيته .

منهم ، الا رجلا واحدا كان في حرم الله » قيل : من هو يا رسول الله ؟ قال : « هو ابو رغال . . فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه . » .

وروى صاحب البداية والنهاية ايضا : مسلسلا عن ابي الطفيل عامر بن واثلة ان معاذ بن جبل اخبره انهم خرجوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عام تبوك ، فكان يجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، قال : فاخر الصلاة يوما ثم خرج ، فصلى الظهر والعصر جميعا ، ثم دخل ، ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً، ثم قال : « انكم ستأتون غدا انشاء الله عين تبوك ، وانكم لن تأتونها حتى يضحى ، ضحى النهار، فمن جاء فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي » .

قال : فجئناها وقد سبق اليها رجلان ، والعين مثل الشراك[1]تبض بشيء من ماء، فسألهما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « هل مسستما من مائها شيئاً » قالا نعم ، وقال لهما ما شاء الله أن يقول . ثم غرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع في شيء[2]ثم غسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيه وجهه ويديه ، ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير، فاستقى الناس، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما ها هنا قد ملىء جنانا »[3].

---

(١) الشراك : الحبل ـ او الخيط ـ شراك الصيد حبال الصيد .

(٢) وفي رواية الحلبي : حتى اجتمع شيء في شن ـ والشن الوعاء .

(٣) البداية والنهاية لابن كثير ـ ج٥ ـ ص ١٠ .

وجاء في سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق أنه قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الاشهل قال : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله، ان كان الرجل ليعرفه من اخيه ومن ابيه ومن عمه وفي عشيرته ، ثم يلبسوا بعضهم بعضا على ذلك .

ثم قال محمود : لقد اخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث سار، فلما كان من امر الناس بالحجر ما كان[1]، ودعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين دعا ، فارسل الله السحابة ، فامطرت حتى ارتوى الناس، قالوا : اقبلنا عليه نقول، ويحك ، هل بعد هذا شيء! قال : سحابة مارة .

قال ابن اسحاق : ثم ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سار حتى اذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته ، فخرج اصحابه في طلبها ، وعند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رجل من اصحابه ، يقال له عمارة بن حزم ، وكان عقبيا بدريا[2]وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقا .

فقال زيد بن اللصيت وهو في رحل عمارة، وعمارة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اليس محمد يزعم انه نبي ويخبركم عن خبر السماء . . وهو لا يدري اين ناقته ؟ ! فقال رسول الله (صلى الله

(١) من امر الماء .
(٢)عقبياً اي من اهل بيعة العقبة . وبدريا حضر وقعة بدر .

عليه وآله وسلم)وعمارة عنده :« ان رجلا قال : هذا محمد يخبركم انه نبي ويزعم انه يخبركم بامر السماء وهو لا يدري اين ناقته ، واني والله ما اعلم الا ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها ، وهي في هذا الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتوني بها . » فذهبوا فجاؤا بها .

فرجع عمارة بن حزم الى رحله ، فقال : والله لعجب من شيء حدَّثناه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) آنفا ، عن مقالة قائل اخبره الله عنه بكذا وكذا للذي قال زيد ابن لصيت ؟ فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : زيد والله قال هذه المقالة قبل ان تأتي .

فاقبل عمارة على زيد يجأ[١] في عنقه ويقول : الي عباد الله ، ان في رحلي لداهية وما اشعر، اخرج اي عدو الله من رحلي، فلا تصحبني،

وقال ابن اسحاق: زعم بعض الناس ان زيدا تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس لم يزل متهما بشر حتى هلك.

---

(١) يجأ في عنقه : يطعنه في عنقه .



تخـذيل المنـافقين للمسلمـين ـ والمؤامرة عـلى النبي (صلى الله عليـه وآله وسلـم)

سار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بجيش كثير الى تبوك عندما علم ان ملك الروم يعد العدة لغزو المدينة كما اسلفنا ، وكان الجيش خليطا من مسلمين حقيقيين وممن اظهروا الاسلام وابطنوا الكفر والنفاق .

فمن المنافقين من صحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) طمعا بالغنيمة حيث كانت مغازيه كلها ناجحة تعود على المسلمين بالخير الكثير .

ومنهم من كان يذهب لتثبيط قوى جيش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الحرب وتخذيله . فقد روى المؤرخون واصحاب السير ان رهطا من المنافقين كانوا يشيرون الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو منطلق الى تبوك فقال بعضهم لبعض : اتحسبون جلاد بني الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا ! . . . والله لكأنا بكم غدا مقرّنين في الحبال، ارجافا وترهيباً للمؤمنين .

لكن كثرة المسلمين كـأكثر المهـاجرين والانصـار ، كانـوا مخلصين للاسلام ولمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومن طبيعي الحال ان المنافقين لم يتركوا فرصة تفوتهم للوقيعة بمحمد واصحابه الا فعلوها ،

ومن ذلك ما كان من امر الذين ارادوا الوقيعة بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما كان راجعا من تبوك فقد ذكر الواقدي في مغازيه انه لما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ببعض الطريق مكر به اناس من المنافقين ، واتمـروا ان يطرحوه من عقبة في الطريق .

فلما بلغ رسول الله تلك العقبة ، ارادوا أن يسلكوها معه ، فأُخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خبرهم ، فقال للناس: « اسلكوا بطن الوادي، فانه اسهل لكم واوسع » .

فسلك الناس بطن الوادي ، وسلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) العقبة ، وامر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها ، وامر حذيفة بن اليمان يسوق من خلفه .

فبينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسير في العقبة ، اذ سمع حس القوم قد غشوه، فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وامر حذيفة ان يردهم ، فرجع حذيفة اليهم وقد رأوا غضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجن في يده .

وظن القوم ان رسول الله قد اطلع على مكرهم ، فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس، واقبل حذيفة حتى اتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فساق به .

فلما خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من العقبة نزل الناس ، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا حذيفة ، هل عرفت احدا من الركب الذين رددتهم ؟قال : يا رسول الله ، عرفت

راحلة فلان وفلان وكان القوم متلثمين ، فلم ابصرهم من اجل ظلمة الليل .

وكانوا قد انفروا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسقط بعض متاع رحله ، فكان حمزة بن عمرو الاسلمي يقول : فنُور لي في اصابعي الخمس فأضئن حتى كنا نجمع ما سقط من السوط والحبل واشباههما ، حتى ما بقي من المتاع شيء الا جمعناه ، وكان لحق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في العقبة .

فلما اصبح قال له اسيد بن الحضير : يا رسول الله ، ما منعك البارحة من سلوك الوادي ، فقد كان اسهل من العقبة ؟ .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا ابا يحي ، اتدري ما اراد البارحة المنافقون . . وما اهتموا به ؟ قالوا : نتبعه في العقبة . . فاذا اظلم الليل عليه قطعوا انساع[1]راحلتي ونخسوها حتى يطرحوني من راحلتي .

فقال أُسيد : يا رسول الله فقد اجتمع الناس ونزلوا، فمر كل بطن ان يقتل الرجل الذي همَّ بهذا ، فيكون الرجل من عشيرته هو الذي يقتله ، وان احببت ، والذي بعثك بالحق فنبئني بهم ، فلا تبرح حتى آتيكم برءوسهم ، وان كانوا في النبيت[2]فكفيتكهم ، وامرت سيد

---

(١) الانساع : جمع نسعة ، وهي سير مضفور يجعل زماما للبعير وغيره .

(٢) وان كانوا في النبيت : اي في ولد النبيت ، وهو عمرو بن مالك بن اوس - انساب الاشراف للبلاذري .

الخزرج فكفاك من في ناحيته ، فان مثل هؤلاء يتركون يا رسول الله . . ؟ حتى متى نداهنهم وقد صاروا اليوم في القلة والذلة . . وضرب الاسلام بجرانه[1]فما يستبقى من هؤلاء ؟

قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لأسيد : اني اكره ان يقول الناس ان محمدا لما انقضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده في قتل اصحابه . . .

فقال أُسيد: يا رسول الله، فهؤلاء ليسوا باصحاب ! قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : أليس يظهرون شهادة أنه لا اله الا الله ؟ .

قال : بلى، ولا شهادة لهم ! قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أليس يظهرون اني رسول الله ؟ قال : بلى ، ولا شهادة لهم ! . .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : فقد نهيت عن قتل اولئك .[2].

وفي هؤلاء المنافقين نزل قوله تعالى: **﴿ يحذر المنافقون أن تُنَزَّل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا إن الله مخرج ما تحذرون*ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن*لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن**

---

(١) بجرانه : اي قر قراراه واستقر .

(٢) المغازي للواقدي - ج٣ - ص ١٠٤٢ - ١٠٤٣ .

طائفة منكم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين ﴾[1] .

وذكر الطبرسي في تفسيره ـ مجمع البيان ـ انه نزلت هـذه الآيات في اثني عشر رجلا وقفوا على العقبة ليفتكوا بـرسول الله عنـد رجوعـه من تبوك ، فاخبر جبريل رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلـم) بذلك ، وامره ان يرسل اليهم ويضرب وجوه رواحلهم ، وعمار كـان يقود دابـة رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) وحـذيفـة يسـوقهـا ، فقـال لحذيفة : اضرب وجوه رواحلهم ، فضربها حتى نحاهم ، فلما نزل قـال لحذيفة من عرفت من القوم ؟ قـال : لم اعرف منهم احدا . فقـالرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : انه فلان وفلان حتى عـدهم كلهم ، فقال حذيفة : الا تبعث اليهم فتقتلهم ؟ فقال : اكره ان تقول العرب، لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم .

وروي عن ابي جعفـر الباقـر (عليه السلام) مثله الا أنـه قـال : ائتمـروا بينهم ليقتلوه ، وقال بعضهم لبعض : ان فـطن نقـول انـا كنـا نخوض ونلعب، وان لم يفطن نقتله .

---

(١) سورة التوبة ـ آية ـ ٦٤ ـ ٦٥ ـ ٦٦ .



النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في تبوك

لما انطلق جيش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الحجر ، وبها اطلال منازل ثمود ـ قوم نبي الله صالح (عليه السلام) ـ قاصداً تبوك ، كانت الروم وما اتصل بها من العرب المتنصرة عندما بلغها امر مسير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بجيشه المعقود له دائماً لواء النصر قد اعدت جيشا لمواجهته ، وحماية حدودها .

لكنها عندما علمت وتحققت من انتصارات محمد . (صلى الله عليه وآله وسلم) على اعدائه مهما بلغت كثرتهم وقوتهم ، آثرت الانسحاب لئلا تنشب بينهم وبين المسلمين حرب . . . وتكون العاقبة وخيمة اذا انتصر المسلمون ، وتكون ايضا ضربة قاصمة لظهر الامبراطورية الرومانية .

ولما انتهى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون الى تبوك ، وحطوا رحالهم ، لم يجدوا اي حركة ، او مقاومة تنبىء عن حرب او قتال .

وعرف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) امر انسحاب الروم واتباعهم ، ونُمي اليه ما اصابهم من الخوف الذي جعلهم يفكرون في الامر ويحسبون له الف حساب .

عندها رأى (صلوات الله عليه وآله) وهو القائد العظيم ان لا

حاجة لمهاجمتهم ، وتتبعهم داخل بلادهم . فاقـام بتبوك حـوالي عشرين ليلة على ما تقوله بعض المرويات وروى ابن اسحاق ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اقام بتبوك بضع عشرة ليلة .

على أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه المدة كـان يعمل لحماية بلاده وحماية من دخل معه في معاهدة أو صلح .

واتـاه (صلى الله عليـه وآله وسلم) وهـو في تبوك يـوحنا بن رؤ بـة صاحب ايلة(١) وصحبته اهل جرباء(٢) واهل اذرح(٣) واهل ميناء(٤) وكان يوحنا(٥) بن رؤ بة من الامراء المقيمين في تلك المنطقة ، وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد وجه اليه رسالة يدعوه فيها الى الدخول في الإسلام ، او اعطاء الجزية ، او المناجزة .

---

(١) ايلة : بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل هي آخر الحجاز واول الشام . قال ابو زيد : ايلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة ، وبها في يد اليهود عهد لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (معجم البلدان لياقوت) .

(٢) جرباء موضع من اعمال عمان بالبلقاء من ارض الشام ، وهي قرية من اذرح المعجم لياقوت .

(٣) بين اذرح والجرباء ثلاثة ايام . وباذرح الى الجرباء كان امر الحكمين بين عمرو بن العاص وابي موسى الاشعري . وفتحت اذرح والجرباء في حياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة تسع .

(٤) ميناء : هي السواحل وهي من اوائل نواحي مصر وقد اصاب زيد بن حارثة في سريته الى مدينة سبيا من اهل ميناء . معجم البلدان لياقوت .

(٥) يوحنا : في السيرة الحلبية : يحنة ـ وفي البداية يوحنة .

واهـدى يوحنـا الى رسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) بغلة بيضاء فكساه الرسول بردا . . وصالحه على اعطاء الجزية بعد ان عـرض عليه السلام فلم يسلم .

والجـزية التي صـالح الـرسول (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) عليها رؤ بـة . . على كـل حالم بـارضه في السنـة دينارا ، فبلغ ذلـك ثلاثمـائة دينار ، واشترط عليهم قرى من مربهم من المسلمين . وكتب له ولاهـل ايلة كتابا بان يحفظوا ، ويمنعوا ، وهو بمثابة عهد ـ هذا نصه .

« بسم الله الرحمن الرحيم . هـذا أمنة من الله ومحمـد النبي رسول الله ، ليوحنا بن رؤ بة واهل ايلة ، سفنهم وسياراتهم في البر والبحـر لهم ذمـة الله ، ومحمـد النبي . . . ومن كـان معهم من اهـل اليمن ، واهـل البحر . فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحوز ماله دون نفسه وانـه لطيِّبـة لمن اخـذه من الناس ، وانـه لا يحل ان يُمنعـوا ماء يـردونه ، ولا طـريقا يُريدونه من بر ولا بحر » .

وكتب (صلوات الله عليه وآله) لاهل اذرح وجرباء كتابا هذا نصه ايضا « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي (صـلى الله عليـه وآله وسلم) لاهـل اذرح وجربـاء ، انهم آمنون بـامـان الله وأمـان محمـد ، وان عليهم مائـة دينـار في كـل رجب وافيـة طيبـة ، والله كفيـل بالنصح والاحسان الى المسلمين . » .

وصـالح النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) اهل مينـاء على ربـع ثمارهـم .



سرية خالد بن الوليد الى دومة

بعد ان عقد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معاهدة صلح مع صاحب ايلة والبلدان المجاورة لها الواقعة على الحدود المتاخمة للحجاز ، كاهل اذرح ، وجرباء، وميناء[1] لم يبق للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حاجة للبقاء في تبوك وخصوصا بعد انسحاب الروم البيزنطيين من تلك الناحية . وما عليه الا الرجوع الى المدينة بالمسلمين .

لكنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو القائد العظيم البعيد النظر خشي ان يتعاون اكيدر بن عبد الملك الكندي[2] النصراني اميردومة[3] مع جيوش الروم اذا ارادوا خرق الحدود الحجازية من تلك الناحية .

لذلك بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خالد بن الوليد مع فصيلة من الجيش للانقضاض على اكيدر، واستعد هو (صلى الله عليه وآله وسلم) للرجوع الى المدينة .

روى المؤرخون واصحاب السير عن ابن اسحاق : انه قال : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا خالد بن الوليد فبعثه الى

---

(١) وفي رواية ابن الاثير مقنا .

(٢) وقيل ان اكيدر هو رجل من بني كنانة .

(٣) دومة : هي المعروفة الآن بدومة الجندل على سبع مراحل من دمشق بينها وبين المدينة .

اكيدر دومة ، وهو اكيدر بن عبد الملك رجل من بني كنانة ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً . وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)لخالد : « انك ستجده يصيد البقر »[1] .

فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين وكانت ليلة مقمرة صائفة ، واكيدر على سطح له ومعه امرأته . وباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟! قال : لا والله ، قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا احد . . .

فنزل اكيدر وامر بفرسه فاسرج له ، وركب معه نفر من اهل بيته ، فيهم اخ له يقال له حسان ، فركب وخرجوا معه بمطاردهم . . .

فلما خرجوا تلقتهم خيل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخذته . . . وقتلوا اخاه حسانا وكان عليه قباء من ديباخ مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل قدومه عليه . وعن مالك بن انس أنه قال : رأيت قباء اكيدر حين قدم به على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اتعجبون من هذا . . . فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة احسن من هذا . . . » .

وعن ابن اسحاق ايضاً : ان خالد بن الوليد لما قدم باكيدر على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حقن له دمه فصالحه على الجزية

---

(١) المراد هنا بقر الوحش ، وهو اسم يطلق على المهاة والابل ، والوعل ، واليحمور ، وعموما على الظباء الكبيرة ـ المنجد .

ثم خلى سبيله فرجع الى قريته .

وفي رواية ابن كثير في البداية والنهاية عن ابي الاسود عن عروة : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث خالدا مرجعه من تبوك في اربعمائة وعشرين فارسا الى اكيدر دومة ، فذكر نحو ما تقدم الا انه ذكر انه ماكره حتى انزله من الحصن ، وذكر أنه قدم مع اكيدر الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمانمائة من السبي ، والف بعير ، واربعمائة درع ، واربعمائة رمح .

وروي ان خالد بن الوليد لما اسر اكيدرا هدده بالقتل ان لم يفتح له ابواب دومة . . . ففتح اهل المدينة ابوابها خوفاً على اسيرهم وساق خالد منها الفي بعير ، وثمانمائة شاة ، واربعمائة وسق من بر - حنطة - واربعمائة درع ، وذهب بها ومعه اكيدر حتى لحق بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في عاصمته المدينة .

وفي المدينة عرض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)الإسلام على اكيدر فاسلم واصبح له حليفاً .

اقول : لم يكن رجوع محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من تبوك بجيشه المسمى - جيش العسرة - الى المدينة بدون حرب ، وبدون غنائم بالامر الهين في نظر الاعراب الذين اتبع كثير منهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للفائدة ، والغنيمة .

ولم يدرك الكثير من هؤلاء الاعراب مغزى الاتفاق الذي عقده النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مع يوحنا بن رؤ بة أمير ايلة ، والبلاد المجاورة له . . .

ولم يدركوا ايضاً أي معنى أو مغزى لما حققه هذا الاتفاق من تأمين حدود الحجاز أو شبه الجزيرة ، واقامة هؤلاء الذين عقد محمد معهم معاهدة ومصالحة ، فكانوا بمثابة معاقل وحواجز ، بينه (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين الروم .

بل كل ما فهموا ، أو وعوا ، أو رأوا أنهم قطعوا الصحراء الواسعة وتحملوا حرها وعانوا من المشقة والاذى ثم عادوا ادراجهم نحو بلادهم ، فلم يقاتلوا ولم يأسروا ، ولم يغنموا أي غنيمة ، بل كل الذي فعلوه أنهم أقاموا بتبوك قرابة عشرين يوماً .

وهذا ما جعل المنافقين الذين في قلوبهم مرض يبذرون الشر ويزرعون الفتنة لعلهم يتمكنون من تأليب المسلمين على بعضهم البعض وتفريقهم ، فاخذوا يتهامسون . . . . أمن اجل الاقامة في تبوك قطعنا الصحراء الواسعة في شدة الحر وحمارة القيظ ؟ . . . ! في حين كانت ثمار المدينة قد طابت وآن اوان قطافها . . . وحري باهلها ان يستمتعوا بها . . . إلى آخره .

وجعل جماعة من المنافقين يبعثون الاراجيف في نفوس بعض المسلمين السذج .

لكن المسلمين المؤمنين الذين وعوا الاسلام لم يتأثروا بهذه الاراجيف بل جاءوا الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونقلوا اليه فعل المنافقين المستهزئين . لذلك اخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هؤلاء المرجفين بالشدة حينا وباللين حيناً . . . والجيش يسير قافلاً الى المدينة عبر الصحراء .

ولما وصل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمون الى المدينة ، لم يلبث خالد بن الوليد أن لحقه ومعه اكيدر بن عبد الملك وما حمل من دومة ، من ابل ، وشاء ، وقمح ، ودروع وغير ذلك من المغانم .

هنالك رد الله كيد المنافقين ، والمستهزئين الى نحورهم ، وجاء المتخلفون يعتذرون واكثرهم يشوب معاذيره الكذب . فاعرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عما صنعوا ، تاركا حسابهم على الله العلي القدير .



ما حققته غزوة تبوك

كانت غزوة تبوك من اعظم الغزوات في نظر العقلاء والمفكريين انتصارا للمسلمين ، وقد حققت من الفائدة المعنوية لهم ما لم تحققه اي غزوة من الغزوات اذ أن الغزوات السابقة ، كبدر الكبرى . . . واحد . . . والاحزاب . . . وفتح مكة . . . وحنين وغيرها ، وان تكن هذه الغزوات وهذه المعارك العظيمة لها اهميتها في تاريخ تأسيس الدعوة الاسلامية ، وهي بالحقيقة الاساس لجميع الفتوحات المتلاحقة في عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعده ومنها كانت الانطلاقة الكبرى ، الا أن العرب في الحجاز وفي شبه الجزيرة العربية كانوا يرون أن دولتي الفرس والروم من اعظم دول الارض عظمة ، وقدرة ، وهيبة ، ومن الصعب التحرش بهما أو محاربتهما أو قهرهما .

لذلك لما اراد المنافقون تفريق كلمة المسلمين وتخذيلهم ، يوم تبوك ، انطلقوا من هذا المنطلق ، وخذلوا ما استطاعوا تخذيله واخذوا يشيرون الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو منطلق نحو بلاد الشام ، حيث يقول بعضهم لبعض : « اتحسبون جلاد بني الاصفر ، كقتال العرب بعضهم بعضا ! والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال . . . » ارجافا وترهيبا للمؤمنين .[١]

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ج ٤، ص ١٦٨.

لكن المنافقين بعد ان رأوا من امر انسحاب الروم الى داخل حصونهم في ارض الشام خوفا من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن الجيش الزاحف معه . . . وبعد ان شاهدوا المناطق التي تتاخم الحجاز كايلة ، واذرح ، وجرباء وغيرها قد خضعت للاسلام واعطت الجزية . . .

وبعد أن رأى المنافقون ايضاً ما كان من امر خالد بن الوليد ومجيئه بالغنائم وباكيدر امير دومة الى النبي في المدينة على ما تقدم في الرواية السابقة ، اسقط ما في ايديهم وبُهتوا وعلموا ان الحجاز يصعب على احد من العالم ان يغزوه لوجود جيش المسلمين الظافر بقيادة الرسول العظيم .

كان لا بد للمنافقين من أن يأتوا الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد مرجعه من تبوك ، معتذرين عن تخلفهم بشتى المعاذير ، وخافوا أن تدور عليهم الدائرة لنفاقهم وتخلفهم .

لكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علم ان التساهل معهم مما يبعث على الفوضى في صفوف المسلمين ، وخصوصاً ما كان من امر المنافق عبد الله بن ابي واتباعه الذين تخلفوا عنه كما اسلفنا .

لم يقبل النبي اعتذارهم بل اعرض عنهم وقد كشف الله جل جلاله عما في قلوبهم ونواياهم بقوله : ﴿ **فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين** ﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة، آية ٨٣.

وقوله تعالى : ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ﴾[1] .

وقوله تعالى : ﴿ ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ـ يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾[4] .

---

(١) سورة التبوة، آية ٦٦.
(٢) سورة التوبة، آية ٨٤.
(٣) سورة التوبة ، آية ٩٤.
(٤) سورة التوبة، آية ٩٥، ٩٦.



قصة مسجد ضرار وهدمه

بعدما قويت شوكـة المسلمين ، وانتشـر الدين في انحـاء بلاد العرب ، واخذ بالانتقال منها الى الخارج ، اضطرب المنافقون وخافوا على انفهسم من الهلاك ، وخاصة بعدما عرفوا من ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اخذ يعاملهم بشدة لم يألفوها من قبل ، فلم يبق امامهم الا الاحتيال والتلون بـالشكل الـذي يضمن لهم سلامتهم ومصالحهم . ولم يكن هذا بالامر اليسير لاحتياجهم الى جهد كبير من تخطيط وتفكير .

واخيرا صمموا على بناء مسجد قرب مسجد قباء ليكون مجتمعا لهم ويكـون مقابـلا لمسجد الـرسول ايضـاً . فتحاك فيـه المؤامـرات ، والدسائس .

وحتى يصبح هذا المسجد محترما وغير معرض للهدم او الانتقاد ، ولا تحوم حوله الشبهات طلبوا من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يصلي فيه . واذا صلى فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يصبح محروساً في نظرهم . وعند ذلك يتم لهم ما ارادوا .

وكان هذا التخطيط من توجيه ابي عامر الراهب احد المنافقين الذي كان قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح ، فلما دخل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة يوم هجرته اليها شق ذلك على ابي عامر

الراهب واخذ يؤلب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويجمع حوله المنافقين ، وهو الذي حزب الاحزاب وحارب مع المشركين فلما فتحت مكة هرب الفاسق المنافق الى الطائف ، فلما اسلم اهل الطائف لحق بالشام ، وخرج الى الروم وتنصر . وهو ابو حنظلة ـ غسيل الملائكة ـ الذي قتل مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم احد ـ وكان جنباً فغسلته الملائكة .

وكان ابو عامر وهو في طريقه الى هرقل ارسل الى اصحابه المنافقين أن استعدوا وابنوا مسجدا، فاني اذهب الى قيصر وآتي من عنده بجنود، واخرج محمدا من المدينة . فكان هؤلاء المنافقون يتوقعون ان يجيئهم ابو عامر ، فمات قبل ان يبلغ ملك الروم واراح الله البلاد والعباد من جرثومة الفساد .

وكان الذين بنوا مسجد ضرار اثني عشر رجلاً ، وقيل خمسة عشر رجلاً منهم ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، ونبتل ابن الحرث ، فبنوه الى مسجد قباء ، فلما فرغوا منه اتو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يتجهز الى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة ، والحاجة ، والليلة الشاتية ، وانا نحب ان تأتينا فتصلي فيه لنا ، وتدعو بالبركة ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اني على جناح سفر ، ولو قدمنا اتيناكم انشاء الله فصلينا لكم فيه .

فلما انصرف رسول الله (صلى الله ليه وآله وسلم) من تبوك ونزل بذي اوان ـ مكان بينه وبين المدينة ساعة ـ نزل عليه الوحي في شأن هذا المسجد وهو قوله تعالى : ﴿ **والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا**

وتفريقا بين المؤمنين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون ﴾[1] .

وبعد ان بين الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ان المنافقين بنوا هذا المسجد للتفريق بين المسلمين ، وطلب الغوائل للمؤمنين ، ومضارة لأهل مسجد قباء ، او مسجد الرسول . . . ولاختلاف الكلمة وابطال الالفة وتفريق الناس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وارصدوا ذلك المسجد واتخذوه واعدوه لأبي عامر الراهب الذي حارب الله ورسوله من قبل كما اسلفنا ، نهى الله سبحانه رسوله عن الصلاة فيه بقوله : **﴿ لا تقم فيه ابدا لمسجد اسسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطَّهرين ـ افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾**[2] .

فلما نزلت هذه الآيات على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) امر بهدم المسجد واحراقه . وجاء في تفسيرالميزان للطباطبائي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجه عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلاني ، ومالك بن الدخشم ، وكان مالك من بني عمرو بن عوف ، فقال لهما : انطلقا الى هذا المسجد الظالم اهله ، فاهدماه وحرِّقاه .

وروي انه بعث عمار بن ياسر ووحشيا فحرقاه ، وامر بان يتخذ كناسة يلقى فيها الجيف .

---

(١) سورة التوبة، آية ١٠٧.

(٢) سورة التوبة : آية ، ١٠٨، ١٠٩.

وفي رواية القمي انه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث لذلك مالك بن دخشم الخزاعي ، وعامر بن عدي اخا بني عمرو بن عوف ، فجاء مالك وقال لعامر : انتظرني حتى اخرج ناراً من منزلي ، فدخل وجاء بنار واشعل في سعف النخل ، ثم اشعله في المسجد فتفرقوا ، وقعد زيد بن حارثة حتى احترقت البنية ، ثم امر بهدم حائطه .

والقصة مروية بطرق كثيرة ، والروايات متقاربة الا أنه يوجد اختلاف في اسماء من بعثهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لهدم المسجد الظالم اهله .

وفي الكافي باسناده عن الحلبي عن ابي عبد الله (عليه السلام) قال : سألته عن المسجد الذي اسس على التقوى فقال : مسجد قباء . . .

وفي مجمع البيان للطبرسي : واختلف في المسجد الذي اسس على التقوى من اول يوم . فقيل هو مسجد قباء عن ابن عباس والحسن وعروة بن الزبير . وقيل هو مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن زيد بن ثابت وابن عمرو وابي سعيد الخدري وروى هو عن النبي قال : هو مسجدي هذا . وقيل هو كل مسجد بني للإسلام واريد به وجه الله تعالى .

اقول : ما اشبه اليوم بالامس ، فالتاريخ يعيد نفسه ، ان اهل الشقاق والنفاق موجودون في كل زمان ومكان ، يعملون متظاهرين بالتقى والورع والايمان ، وفي الحقيقة انهم متآمرون على الصالحين ومصالح المسلمين . فالبعض منهم يتخذ من بعض المساجد منطلقاً

للاغراض الشخصية وقاعدة اساسية للاساءة بالمؤمنين الابرياء وتفريق كلمة المسلمين وتشويه سمعة الإسلام .

فالذين بنوا مسجد ضرار في مطلع فجر الإسلام ، وظهروا بلباس التقوى والصلاح ، واوهموا الناس انهم يريدون به وجه الله وعمل الخير من اجل الضعفاء الذين لا يتمكنون من الوصول الى مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) او قباء واتوا الرسول فقالوا له : يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة الممطرة . .. خاب سعيهم بتكذيب الله سبحانه وتعالى لهم لأنه جل جلاله علام الغيوب يعلم ما تخفي الصدور وما تنطوي عليه الانفس إذ انزل الوحي على نبيه وبين له خبث سريرتهم وما انطوت عليه افئدتهم ، وامره بهدم ـ مسجد ضرار ـ الظالم اهله . كما اسلفنا .

عند ذلك امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بهدمه وتحريقه ، لازالة الغشاوة التي تكونت على اعين بعض السذج من الناس الذين انخدعوا بالظواهر .

ولم يكن موقف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من هدم مسجد ضرار ، الا لايقاظ المسلمين وعلى المدى البعيد ، وتنبيههم لماقد يحاك ضدهم من المؤامرات . وليأخذوا حذرهم من الذين يلبسون جلود الظأن على قلوب الذئاب .

فبناء المساجد امر ضروري حرض عليه الإسلام ، وقد ورد في الحديث الشريف « من بنى مسجدا كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة » وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا صلى في مكان

في بعض غزواته وحروبه يبني المسلمون فيه مسجدا ليكون مصلى ومجتمعاً لهم . وهكذا فعل الصلحاء من المسلمين وبنوا المساجد الكثيرة .

فالمساجد هي محل عبادة للمسلمين بتأدية واجباتهم الدينية واجتماع كلمتهم ووحدة صفهم والتداول في امورهم كما كان مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة يومئذ ـ وليست المساجد هي لاستغلال الفرص وجعلها كالدكاكين . . واكتساب الوجاهة باسم الدين ، وفرض غشاوة على اعين البسطاء من المؤمنين .

مرض عبد الله بن ابي ووفاته

بعد رجوع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من تبوك مرض عبد الله بن أبي بن أبي سلول شيخ المنافقين وزعيمهم المطاع الذي كانوا يلتجؤون اليه ، والذي كان الحقد . يأكل قلبه حينما يرى راية الإسلام خفاقة ؛ وجيش المسلمين يسير من نصر الى نصر . وهو الذي كان لا يترك فرصة سانحة لايقاع الفتنة بين المسلمين الا فعلها .

وبموت عبد الله بن ابي تضعضع امر المنافقين اعداء الإسلام ولم يقم لهم بعد موته قائمة .

روى ابن كثير في البداية والنهاية عن الواقدي أنه قال : « مرض عبد الله بن ابي في ليال بقين من شوال ، ومات في ذي القعدة ، وكان مرضه عشرين ليلة ، فكان رسول الله يعوده فيها .

فلما كان اليوم الذي مات فيه ابن ابي دخل عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يجود بنفسه فقال : « قد نهيتك عن حب يهود » فقال : قد ابغضهم اسعد بن زرارة فما نفعه ؟

ثم قال : يا رسول الله ليس هذا الحين عتاب . . . هو الموت ، فاحضر غسلي ، واعطني قميصك الذي يلي جلدك فكفني فيه ، وصل

علي ، واستغفر لي ، ففعل ذلك به رسول الله[1] .

وروى ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق عن ابن عباس أنه قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما تُوفي عبد الله بن ابي دعي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للصلاة عليه ، فقام اليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة ، تحولت حتى قمت في صدره ، فقلت : يا رسول الله ، أتصلي على عدو الله عبد الله بن ابي بن سلول ؟ القائل كذا يوم كذا ، والقائل كذا يوم كذا ؟ اعدد ايامه . . . ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يبتسم حتى اذا اكثرت قال : « يا عمر ، اخر عني ، اني قد خيرت فاخترت ، قد قيل لي : (استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) فلو أعلم اني ان زدت على السبعين غفر له ، لزدت .

قال : ثم صلى عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فُرغ منه .

قال : فعجبت لي وجرأتي على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والله ورسوله اعلم . فوالله ما كان الايسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان : ﴿ **ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون** ﴾ فما صلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى[2] .

---

(١) وروى البيهقي من حديث سالم بن عجلان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوا مما ذكره الواقدي فالله اعلم .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٤، ص ١٩٧ .

وروى الطبرسي في مجمع البيان : ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى على عبد الله بن ابي ، والبسه قميصه ، قبل ان ينهى عن الصلاة على المنافقين ، عن ابن عباس وجابر وقتادة .

وقيل انه صلى الله عليه وآله أراد أن يصلي عليه فاخذ جبرائيل بثوبه ، وتلا عليه : ﴿ **ولا تصل على احد منهم . . . الآية** ﴾ عن انس والحسن . وروي انه قيل لرسول الله لَمَ وجهت بقميصك اليه يكفن فيه وهو كافر ؟

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان قميصي لن تغني عنه من الله شيئاً ، واني أؤمل من الله ان يدخل بهذا السبب في الإسلام خلق كثير .

فروي انه أسلم الف من الخزرج لما رأوا - ابن ابي - يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والاكثر في الرواية انه لم يصل عليه .

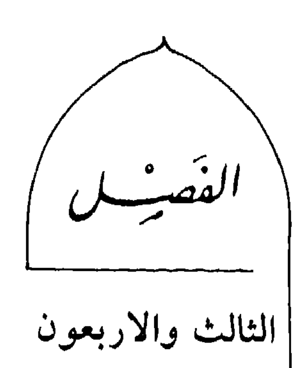
اقول : اختلفت الروايات وتضاربت الأقوال حول صلاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على عبد الله بن ابي ، فمن الرواة من روى ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى عليه ، ومنهم من نفى ذلك . . .

وان كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد صلى عليه ، انما فعل ذلك لمصلحة تعود على الإسلام والمسلمين ، وقد نتج من ذلك . . . كما ذكرنا آنفاً انه دخل في الإسلام خلق كثير .

على انه (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان ليفعل شيئاً الا لمصلحة الإسلام .

واذا أخذنا بالرواية التي تذكر ان عمر بن الخطاب قام في صدر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليصده عن الصلاة على ابن أبي ويذكره بأنه قال كذا وكذا . . . الى آخره نكون قد اسأنا لعمر . ومعناه أن عمرا كان غير مطمئن لما يفعله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وقد اساء ايضاً : من روى ذلك عن عمر وظن ان بروايته المدح والثناء اذ أن الرواية لا تشير الى المدح بل العكس ، فانها لا تشير الا الى تصرفات عمر غير المرضي عنها بتدخله في امور ليس من حقه التدخل فيها .



الفصل
الثالث والاربعون



الوفود الى رسول الله (ص)

بعد ان عاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من غزوة تبوك التي اعطت ثمارها من اظهار قوة المسلمين ورضوخ امراء النواحي للمصالحة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واعطائه الجزية . . . كاهل ايلة ـ وتيماء ـ واذرح ـ وجرباء ودومة الجندل وغيرها من البلدان المتاخمة لشبه الجزيرة العربية . قويت شوكة المسلمين وظهر امر الاسلام قوياً عزيزاً .

عند ذلك رأى بقية العرب من المشركين وممن لم يلامس الاسلام قلبهم انهم لا طاقة لهم بحرب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه وانصاره حينئذ لم يجدوا بداً لحماية انفسهم والاطمئنان على اموالهم واعراضهم سوى الدخول في الإسلام ، وتسليم امرهم للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومبايعته .

وباسلامهم ومبايعة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، تأمن سبلهم وتستقر احوالهم ، وتتوفر لهم حياة كريمة مطمئنة .

وبغزوة تبوك ايضاً التي كانت آخر غزوة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غزاها بنفسه وبجيشه المسمى « بجيش العسرة » والتي القت الرعب والخوف في قلوب الاعداء . . . وكان من اهم آثارها انسحاب دولة الروم العملاقة في ذلك الوقت . . . اذ كان العرب يخشونها

ويحسبون لها الف حساب ، أثرَّ انسحاب حاميتها من الحدود خوفاً من المسلمين . . . على نفوس المشركين وعلموا ان لم يسلموا ستكون عاقبة امرهم خسرا ، اخذوا يتوافدون على مدينة الرسول افواجاً متتالية حتى سمي العام التاسع من الهجرة النبوية ـ عام الوفود .

وبعودة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من تبوك تمت كلمة ربك في شبه الجزيرة العربية ، واخذ الناس يدخلون في دين الله افواجاً .

ومن عناية الباري عز وجل والطافه برسوله الكريم ان الطائف التي كانت قد قاومت المسلمين مقاومة شديدة اثناء حصارهم لها عادت بعد رجوع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من تبوك لتقدم له الطاعة وتعلن اسلامها . في حين أنها ترددت طويلا حتى أقدمت على الاسلام . وفي حين أيضاً كانت ثقيف قد قتلت زعيمها عروة بن مسعود الثقفي عندما اسلم ودعا قومه الى الإسلام واتباع دين الحق .

عروة بن مسعود الثقفي

ذكر الواقدي في مغازيه انه : « كان عروة بن مسعود الثقفي حين حاصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اهل الطائف « بجرش » يتعلم عمل الدبابات والمنجنيق ، ثم رجع الى الطائف بعد ان ذهب رسول الله الى المدينة ، فعمل الدبابات والمنجنيق ، والعرادات[1] وأعد ذلك حتى قذف الله عز وجل في قلبه الإسلام .

فقدم المدينة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاسلم ، ثم قال : يا رسول الله ايذن لي فآتي قومي . . . فادعوهم الى الإسلام ، فوالله ما رأيت مثل هذا الدين ذهب عنه ذاهب ، فأقدم على اصحابي وقومي بخير قادم ، وما قدم وافد قط على قومه بمثل ما قدمت به ، وقد سبقت يا رسول الله في مواطن كثيرة .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : انهم اذاً قاتلوك . . .

قال عروة : يا رسول الله ، لأنا أحب اليهم من ابكار اولادهم .

ثم استأذنه الثانية ، فاعاد عليه الكلام الأول ، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : انهم اذاً قاتلوك .

---

(١) العرادة : اصغر من المنجنيق .

قال عروة : يا رسول الله ، لو وجدوني نائماً ما أيقظوني .

واستأذنه الثالثة فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان شئت فاخرج . . .

فخرج الى الطائف فسار اليها خمساً ، فقدم على قومه عشاء ، فدخل منزله ، فانكر قومه دخوله منزله قبل ان يأتي « الربة »[١] ثم قالوا : السفر قد حصره[٢] .

فجاءوا منزله فحيوه تحية الشرك ، فكان اول ما انكر عليهم تحية الشرك . فقال : عليكم تحية اهل الجنة . ثم دعاهم الى الإسلام .

وقال : يا قوم . . . أتتهمونني ؟ الستم تعلمون أني اوسطكم نسباً ، واكثركم مالا ، واعزكم نفراً ؟ فما حملني على الإسلام الا أني رأيت امراً لا يذهب عنه ذاهب ! فاقبلوا نصحي ، ولا تستعصوني ، فوالله ما قدم وافد على قوم بافضل مما قدمت به عليكم .

فاتهموه ، واستغشوه ، وقالوا : قد واللات وقع في انفسنا حيث لم تقرب الربة ، ولم تحلق رأسك عندها أنك قد صبوت[٣] ! .

فآذوه ونالوا منه ، وحلم عليهم ، فخرجوا من عنده يأتمرون كيف يصنعون به ، حتى اذا طلع الفجر أوفى على غرفة له فاذن بالصلاة . . . . فرماه رجل من رهطه[٤] فاصاب اكحله . . . فلم يرقأ

---

(١) الربة : يعني : اللات : وهي الصنم التي كانوا يعبدونها .

(٢) حصره : أي منعه عن مقصده .

(٣) صبوت : معناه غيرت دينك .

(٤) رماه وهب بن جابر، ويقال: رماه أوس بن عوف من بني مالك .

دمه . . . وحشد قومه في السلاح ، وجمع الآخرون فتجايشوا .

فلما رأى عروة ما يصنعون قال : لا تقتتلوا في ، فاني قد تصدقت بدمي على صاحبه ليصلح بذلك بينكم ، فهي كرامة الله اكرمني الله بها ، الشهادة ساقها الله الي ، اشهد أن محمداً رسول الله ، خبرني عنكم هذا انكم تقتلونني ! ثم قال لرهطه : ادفنوني مع الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل ان يرتحل عنكم . فدفنوه معهم . فبلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قتله فقال : مثل عروة مثل صاحب ياسين[1] دعا قومه الى الله عز وجل فقتلوه .

---

(١) ذكر صاحب مجمع البيان في تفسيره قصة صاحب ياسين بتمامها وبعدة روايات . نقتصر منها على ما يلي: بعث عيسى رسولين الى انطاكية ، فلما قربا من المدينة ، رأيا شيخا يرعى غنمات له وهو حبيب « صاحب ياسين » فسلما عليه : فقال : من انتما؟ قالا: رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان الى عبادة الرحمن . فقال : امعكما آية ؟ قالا نعم : نشفي المريض ونبرىء الاكمة والابرص باذن الله . . فقال : ان لي ابناً مريضاً منذ سنين . . .

فانطلقا معه الى منزله ، فمسحا عليه فقام صحيحاً باذن الله . . . الى آخره ودعا قومه الى الايمان بالله فانكروا عليه فوطأوه بارجلهم حتى مات . وقيل رجموه حتى قتلوه . وفي تفسير الثعلبي : عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : سباق الامم ثلاثة : لم يكفروا بالله طرفة عين : علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، وصاحب ياسين ، ومؤمن آل فرعون ، فهم الصديقون ، وعلي افضلهم . راجع مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي : سورة ياسين .



قدوم وفد ثقيف على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

بعدما قتلت ثقيف زعيمها عروة بن مسعود قال ابنه ابو مليح بن عروة ، وابن اخيه قارب بن الاسود لأهل الطائف : لا نجامعكم على شيء ابداً وقد قتلتم عروة . . . ثم لحقا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فاسلما ، واقاما بالمدينة المنورة حتى قدم وفد ثقيف على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة تسع على ما تقول الروايات .

ثم ان ثقيفا بعدما قتلت زعيمها « عروة » كما اسلفنا رأت ان لا يأمن لها سرب ، ولا يستقر لها حال ، وان لا طاقة لها في حرب محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . ندمت على ما فعلته ، وعزمت على ارسال وفد يمثلها ليفاوض محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ويأخذ الامان منه ويبايعه على الإسلام اذا اقتضت مصلحتهم ذلك .

جاء في تاريخ ابن الاثير وغيره : أنه في السنة التاسعة ، في شهر رمضان قدم وفد ثقيف على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وسبب ذلك أنهم ، ائتمروا بينهم ، ورأوا أن من يحيط بهم من العرب ، قد نصبوا لهم القتال ، وشنوا الغارات عليهم ، وكان اشدهم في ذلك مالك بن عوف النصري ، فلا يخرج منهم مال الا نهب ، ولا انسان الا اخذ .

فلما رأوا عجزهم اجتمعوا وارسلوا عبد يا ليل بن عمرو بن عمير ، والحكم بن عمرو بن وهب ، وشرحبيل بن غيلان ، وهؤلاء من الاحلاف ، وارسلوا من بني مالك عثمان بن ابي العاص ، واوس بن عوف ، ونمير بن خرشة ، فخرجوا حتى قدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فانزلهم في قبة في المسجد .

فكان خالد بن سعيد بن العاص يمشي بينهم . . . وبين النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يرسل اليهم ما يأكلونه مع خالد ، وكانوا لا يأكلون طعاماً حتى يأكل خالد منه . . . حتى اسلموا .

وكان فيما سألوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يدع الطاغية ، وهي اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ، فابى عليهم ، وكان قصدهم بذلك ان يتسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم، فنزلوا الى شهر[1] فلم يجبهم .

وسألوه (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان يعفيهم من الصلاة ،

---

(١) وفي سيرة ابن هشام : سأل وفد ثقيف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يدع لهم الطاغية وهي اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ، فابى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذلك عليهم ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم ، حتى سألوا شهراً واحدا بعد مقدمهم ، فابى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى . وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن لا يكسروا أوثانهم بايديهم ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اما كسر اوثانكم بايديكم فسنعفيكم منه ـ على انه (صلى الله عليه وآله وسلم) ارسل ابا سفيان والمغيرة لهدم اللات ـ وغيرها من الاوثان كما اسلفنا .

فقال : لا خير في دين لا صلاة فيه ، فاجابوا واسلموا .

وأمرَّ عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عثمان بن ابي العاص ، وكان اصغرهم ، لما رأى من حرصه على الإسلام ، والتفقه في الدين .

ثم رجعوا الى بلادهم ، وارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) معهم المغيرة بن شعبة ، وابا سفيان بن حرب ليهدما الطاغية .

فخرجا مع القوم حتى قدما الطائف ، فتقدم المغيرة فهدمها ، وقام قومه من بني شعيب دونه خوفاً أن يُرمى بسهم . وخرج نساء ثقيف حُسَّراً يبكين عليها ، واخذ حليها ومالها .

وكان ابو مليح بن عروة بن مسعود ، وقارب بن الاسود بن مسعود قد قدما على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما قُتل عروة ـ والاسود ، فامرهما (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقضى دين عروة ، والاسود ابني مسعود منه ـ اي من مال اللات التي هدمها المغيرة ـ ففعلا ، وكان الاسود مات كافراً فسأل ابنه قارب بن الاسود رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يُقضى دين ابيه فقال : انه كافر ، فقال : يصل مسلم ذا قرابته ، يعني أنه اسلم فيصل اباه وان كان مشركا .



قدوم عمرو بن معد يكرب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

ذكر الشيخ المفيد في كتابه الارشاد : « لما عاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من تبوك الى المدينة . قدم اليه عمرو بن معد يكرب ، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : اسلم يا عمرو يؤمنك الله من الفزع الاكبر . قال يا محمد : وما الفزع الاكبر ؟ فاني لا افزع !

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا عمرو انه ليس كما تظن وتحسب ، ان الناس يصاح بهم صيحة واحدة ، فلا يبقى ميت إلا نشر ، ولا حي الا مات ، الا ما شاء الله ، ثم يصاح بهم صيحة اخرى ، فينشر من مات ، ويصفون جيمعا وينشق[1] السماء ، وتهد الأرض ، وتخر الجبال هدا ، وترمي النار بمثل الجبال شرراً ، فلا يبقى ذو روح الا انخلع قلبه ، وذكر ذنبه ، وشغل بنفسه ، الا ما شاء الله . . . فاين انت يا عمرو من هذا ؟

قال : الا اني اسمع امراً عظيماً . . . فآمن بالله ورسوله ، وآمن معه من قومه ناس ، ورجعوا الى قومهم .

ثم ان عمرو بن معد يكرب ، نظر الى ابي بن عثعث الخثعمي

---

(١) هكذا وردت في الاصل.

فاخذ برقبته ، ثم جاء به الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : اقدني على هذا الفاجر الذي قتل والدي .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : اهدر الإسلام ما كان في الجاهلية . فانصرف عمرو مرتداً . . . فاغار على قوم من بني الحارث ابن كعب ومضى الى قومه .

فاستدعى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن ابي طالب (عليه السلام) وأمَّره على المهاجرين ، وانفذه الى بني زبيد ، وارسل خالد بن الوليـد في طائفـة من الاعراب ، وامـره ان يعمد لجعفى ، واذا التقيا فامير الناس علي بن ابي طالب (عليه السلام) .

فسار امير المؤمنين (عليه السلام) واستعمل على مقدمته خالد بن سعيد بن العاص ، واستعمل خالد على مقدمته ابا موسى الاشعري .

فاما جعفى فانها لما سمعت بالجيش افترقت فرقتين ، فذهبت فرقة الى اليمن ، وانضمت الفرقة الاخرى الى بني زبيد ، فبلغ ذلك امير المؤمنين (عليه السلام) فكتب الى خالد بن الوليد ان قف حيث ادركك رسولي ، فلم يقف . . . فكتب الى خالد بن سعيد بن العاص : تعرض له حتى تحبسه . فاعترض له خالد حتى حبسه .

وادركه امير المؤمنين (عليه السلام) فعنفه على خلافه . . . ثم سار حتى لقي بني زبيد بواد يقال له كسر .

فلما رآه بنو زبيد قالوا لعمرو : كيف انت يا ابا ثور اذا لقيك هذا الغلام القرشي فاخذ منك الاتاوة ؟ قال : سيعلم ان لقيني .

وخرج عمرو فقال : من يبارز ؟ فنهض اليه امير المؤمنين (عليه السلام) ، وقام اليه خالد بن سعيد ، وقال له : دعني يا ابا الحسن ، بأبي انت وامي ابارزه . . . فقال له امير المؤمنين (عليه السلام) : ان كنت ترى ان لي عليك طاعة فقف في مكانك ، فوقف ، ثم برز امير المؤمنين اليه ، فصاح به صيحة ، فانهزم عمرو ، وقُتل اخوه وابن اخيه ، واخذت امرأته ركانة بنت سلامة ، وسُبي منهم نسوان . . وانصرف امير المؤمنين (عليه السلام) وخلف على بني زبيد خالد بن سعيد ليقبض صدقاتهم ، ويؤمن من عاد اليه من هربهم مسلماً .

فرجع عمرو بن معد يكرب ، واستأذن على خالد بن سعيد ، فاذن له ، فعاد الى الإسلام ، فكلمه في امرأته وولده ، فوهبهم له .

وقد كان عمرو لما وقف بباب خالد بن سعيد وجد جزورا قد نحوت[1] ، فجمع قوائمها ثم ضربها بسيفه فقطعها جميعاً ، وكان يُسمى سيفه الصمصامة .

فلما وهب خالد بن سعيد لعمرو امرأته وولده ، وهب له عمرو الصمصامة . وكان امير المؤمنين (عليه السلام) قد اصطفى من السبي جارية ، فبعث خالد بن الوليد بريدة الاسلمي الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له : تقدم الجيش اليه فاعلمه بما فعل علي (عليه السلام) من اصطفائه الجارية من الخمس لنفسه . . . وقع فيه .

فسار بريدة حتى انتهى الى باب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلقيه عمر بن الخطاب ، فسأله عن حال غزوتهم ، وعن

---

(١) هكذا وردت في الاصل - والظاهر انها نحرت .

الذي اقدمه ؟! فاخبره . . انه انما جاء ليقع في علي (عليه السلام) وذكر له اصطفائه الجارية من الخمس لنفسه .

فقال له عمر : امض لما جئت له . . فانه سيغضب لابنته مما صنع علي . . .

فدخل بريدة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه كتاب من خالد بما ارسل به بريدة . . . فجعل يقرأه ووجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يتغير ؟ فقال بريدة : يا رسول الله انك إن رخصت للناس في مثل هذا ذهبت فيئهم .

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : ويحك يا بريدة احدثت نفاقا . . . ان علي بن ابي طالب يحل له من الفيء ما يحل لي . . . ان علي بن ابي طالب خير الناس لك ولقومك ، وخير من اخلف بعدي لكافة امتي . . . يا بريدة : احذر ان تبغض علياً . . . فيبغضك الله .

قال بريدة : فتمنيت ان الأرض انشقت لي فسخت فيها ، وقلت : اعوذ بالله ، من سخط الله ، وسخط رسول الله . . . يا رسول الله استغفر لي ، فلن ابغض علياً ابداً . . . ولا اقول فيه الا خيراً . فاستغفر له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وفي سيرة ابن هشام ان عمرو بن معد يكرب قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في اناس من بني زبيد فاسلم ، وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي ، حين انتهى اليهم امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا قيس ، انك سيد قومك ، وقد ذكر

لنا أن رجلاً من قريش ، يقال له محمد ، قد خرج بالحجاز يقول انه نبي ، فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه ، فان كان نبياً كما يقول ، فانه لن يخفى عليك ، واذا لقيناه اتبعناه ، وان كان غير ذلك علمنا علمه ،

فابى عليه قيس ذلك ، وسفه رأيه ، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاسلم وصدقه ، وآمن به . فاقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زبيد ، وعليهم فروة بن مسيك . فلما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ارتد عمرو بن معد يكرب .

هذا ما ذكره ابن هشام وغيره من اهل التاريخ واصحاب السير من ان ارتداد عمرو بن معد يكرب كان بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يذكروا قصة الجارية التي اصطفاها علي (عليها السلام) لنفسه من بني زبيد . لكن صاحب الارشاد لا بد وقد استند الى مصدر موثوق في روايته وهو التقي الورع والله العالم .



غزوة علي بن ابي طالب لبلاد طيء

ذكر المؤرخون واصحاب السير ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث علي بن ابي طالب (عليه السلام) في ربيع الآخر من سنة تسع لغزو بلاد طيء ، وهدم صنمها « الفلس » الذي كانت طيء تعبده وتقدسه وتلوذ به عند الشدائد .

فسار علي (عليه السلام) ومعه مائة وخمسون رجلاً من الانصار ، فامتطوا الابل وجنبوا الخيل وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد امرهم ان يشنوا الغارات على طيء ولا يرجعوا الا بهدم صنمها ودعوتها الى الإسلام .

خرج علي (عليه السلام) باصحابه ومعه راية سوداء ، ولواء أبيض . ومعهم القنا والسلاح الظاهر ، وقد دفع رايته الى سهل بن حنيف ، ولواءه الى جبار بن صخر السلمي . وخرج بدليل من بني اسد يقال له ـ حريث ـ فاغاروا عليهم عند طلوع الفجر فمزقوا شملهم ففر من فر منهم كما قتل جماعة منهم ايضاً ووقع الباقي في ايدي المسلمين اسرى مع غنائم كثيرة وسبي كثير .

وسار علي (عليه السلام) الى الفلس فهدمه ، وخربه ، ووجد في بيته ثلاثة اسياف ، رسوب ، والمخذم ، وسيفاً يقال له اليماني . وثلاثة ادراع ، وكان عليه ـ الصنم ـ ثياب يلبسونه اياها .

وفي بعض الروايات ان الصنم كان متقلداً سيفين فاخذهما علي (عليه السلام) وحملهما الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكان الحرث بن ابي شمر اهدى السيفين للصنم فعلقا عليه .

وكان من بين السبي سفانة بنت حاتم الطائي حُملت مع الغنائم الى المدينة وفر اخوها عدي بن حاتم الى الشام باولاده ونسائه . وكان زعيم طيء وملكها .

ولما وصلت الغنائم الى المدينة جعلوها في حظيرة قرب المسجد كانت توضع فيها الغنائم ريثما ينظر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في امرها .

وكانت سفانة بنت حاتم الطائي امرأة عاقلة جزلة ذات وقار قد جُعلت مع السبي في الحظيرة . فلما مرَّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قامت اليه مخاطبة له بلسان فصيح قائلة : يا محمد ان رأيت ان تخلي عنا ، ولا تشمت بنا احياء العرب ، فاني ابنة سيد قومي ، وان ابي كان يحمي الذمار ، ويفك العاني ، ويشبع الجائع ، ويكسوا العاري ، ويقري الضيف ، ويطعم الطعام ، ويفشي السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط . . . انا ابنة حاتم طيء . . .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا جارية هذه صفة المؤمنين حقاً ، لو كان ابوك مسلماً لترحمنا عليه ، خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الأخلاق . والله يحب مكارم الاخلاق .

فقام ابو بردة وقال : يا رسول الله تحب مكارم الاخلاق ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : والذي نفسي بيده لا يدخل

احد الجنة الا بحسن الخلق .

فمنَّ عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)بالحرية واكرمها وقال لها : لا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك الى بلادك ، ثم آذنيني . فاقامت عنده حتى قدم رهط من بلي وقضاعة . فجاءت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاعلمته ، ان قدم رهط من قومها فيهم ثقة ، فكساها واعطاها نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام على اخيها عدي .



اسلام عدي بن حاتم الطائي

ذكر الطبري في تاريخه وغيره عن ابن اسحاق عن شيبان بن سعد الطائي انه قال : كان عدي بن حاتم طيء يقول : ما رجل من العرب كان اشد كراهية لرسول الله حين سمع به مني ، اما انا فكنت امرأ شريفا ، وكنت اسير في قومي بالمرباع- آخذالربع من الغنائم لأني سيدهم - فكنت في نفسي على دين ، وكنت ملكاً في قومي ، لما كان يصنع بي ، فلما سمعت برسول الله كرهته ، فقلت لغلام كان لي عربي وكان راعياً لابلي ، لا ابالك اعدد لي من ابلي اجمالاً ذللا[1] سمانا ، فاحبسها قريباً مني ، فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطيء هذه البلاد فآذني. ففعل .

ثم انه اتاني ذات غداة فقال : يا عدي ، ما كنت صانعاً اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن ، فاني قد رأيت رايات ، فسألت عنها فقالوا : هذه جيوش محمد .

فقال : فقلت قرب لي جمالي ، فقربها ، فاحتملت باهلي وولدي ، ثم قلت : الحق بالشام . فسلكت الحوشية وخلفت ابنة حاتم في الحاضر ، فلما قدمت الشام اقمت بها ، وتخالفني خيل لرسول الله (صلى

(١) ذللا: جمع ذلول، وهو الجمل السهل الذي قد ريض .

الله عليه وآله وسلم)فتصيب ابنة حاتم فيمن اصيب . فقدم بها على رسول الله في سبايا طيء وقد بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هربي الى الشام .

فجُعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يحبسن بها ، فمرَّ بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقامت اليه ـ وكانت امرأة جزلة ـ فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن علي منَّ الله عليك . . .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ومن وافدك ؟ قالت : عدي بن حاتم .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : الفار من الله ورسوله ! قالت : ثم مضى رسول الله وتركني . حتى اذا كان الغد مرَّ بي وقد آيست ، فاشار الي رجل من خلفه : ان قومي اليه فكلميه ، قالت : فقمتُ اليه ، فقلت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن عليَّ منَّ الله عليك . . .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : قد فعلت ، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك الى بلادك ، ثم آذنيني .

قالت : فسألت عن الرجل الذي اشار الي أن كلميه ، فقيل : علي بن ابي طالب (عليه السلام) .

قالت : واقمت حتى قدم ركب من بلي ـ او من قضاعة ـ وانما أريد أن آتي أخي . بالشام ، فجئت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

فقلت : يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاء فكساني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحملني ، واعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدي : فوالله اني لقاعد في اهلي اذ نظرت الى ظعينة[1] تصوب الي[2] تؤمنا . فقلت : ابنة حاتم ! فاذا هي هي .

فلما وقفت علي انسحلت[3] تقول : القاطع الظالم ! احتملت باهلك وولدك ، وتركت بنية والدك وعورته . . . ! .

قال ـ عدي ـ : قلت : يا أخية لا تقولي الا خيرا ، فوالله مالي عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . ثم نزلت فاقامت عندي ، فقلت لها : ـ وكانت امرأة حازمة ـ ما ترين في امر هذا الرجل ؟ .

قالت : ارى والله ان تلحق به سريعاً ، فان يكن الرجل نبياً فالسابق اليه له فضيلة ، وان يكن ملكاً فلا تذل في عز اليمن ، وانت انت .

قلت : والله ان هذا للرأي .

قال عدي : فخرجت حتى اقدم على رسول الله المدينة ، فدخلت عليه وهو في مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدي بن حاتم .

فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فانطلق بي الى

---

(١) الظعينة : المرأة في الهودج .

(٢) تصوب الي : تقصد .

(٣) انسحلت : اخذت في اللوم والتقريع ومضت فيه مجدة.

بيته ، فوالله انه لعامد[1] بي اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها .

فقلت في نفسي : والله ما هذا بملك . . . ثم مضى رسول الله حتى دخل بيته ، فتناولَ وسادة من أدم محشوة ليفاً ، فقذفها الي ، فقال لي : اجلس على هذه . فقلت : لا بل انت ، فاجلس عليها . قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا بل انت . . . فجلست ، وجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالارض .

فقلت في نفسي : والله ما هذا بامر ملك .

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ايه يا عدي بن حاتم . . . الم تك ركوسيا[2] ؟ قلت : بلى . قال : اولم تكن تسير في قومك بالمرباع[3] ؟ . . . قلت : بلى .

قال : فان ذلك لم يكن يحل لك في دينك . . . قلت : اجل والله . . . وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل . . .

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : لعلك يا عدي بن حاتم ، انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم . . . فوالله ليوشكن المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه . . .

ولعله انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من كثرة

---

(١) انه لعامد بي الى بيته : اي قاصد بي الى بيته .

(٢) الركوسية : قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين . راجع حاشية تاريخ الطبري .

(٣) اسير بالمرباع : أي اخذ الربع من الغنائم لاني سيدهم .

عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف الا الله . . .

ولعله انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى ان الملك والسلطان في غيرهم .

وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من ارض بابل قد فتحت . . . قال عدي : فاسلمت .

وكان عدي بن حاتم يقول : مضت الثنتان[1] وبقيت الثالثة ، والله لتكونن . . . قد رأيت القصور البيض من ارض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تحج هذا البيت .

وايم الله لتكونن الثالثة ، ليفضن المال حتى لا يوجد من يأخذه .

وذكر المؤرخون ان عدي بن حاتم قال: اتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال لي : يا عدي بن حاتم ما أفرك ؟ أفرك أن يقال لا إله الا الله . . فهل من إله الا الله . . . !

ما أفرك ؟ أفرك أن يقال الله اكبر . . . فهل من شيء هو اكبر من الله عز وجل[2] .

ان عدي بن حاتم جلس بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صامتاً قد شرد فكره وتوالت المرئيات امام عينيه بشريط

---

(١) هكذا وردت في الاصل .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٥، ص ٦٥.

تصويري ، مستعرضاً الاباطرة ، والسلاطين ، والملوك ، والقياصرة ، وحتى الامراء ، والوجهاء ، والزعماء ، وحتى الكهان ، والسحرة ، وجميع من عرفهم ورآهم من قريب او بعيد . . . محاولا ان يقارن بين افعال محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعاليمه العادلة . . . وبين افعال احد من هؤلاء فلم يتمكن . فايقن عند ذلك انها النبوة . . . انها ارادة الباري عز وجل . . . انها الرسالة السماوية المقدسة ، يحملها محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لابناء البشر فلا طاقة لاحد عليه . . .

وصحا عدي من شروده وتفكيره على صوت الحق صوت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعوه الى الإسلام . فتقدم الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونطق بالشهادتين، واسلم وحسن اسلامه .

لقد اسلم عدي فكان من المسلمين المجاهدين في سبيل الله عن هداية واقتناع عكس غيره من اصحاب المطامع والاهواء والاغراض ، الذين انضموا الى الإسلام بعدما عجزوا عن قهره ومحاربته كأبي سفيان وامثاله . بل كان عدي من المخلصين الذابين عن حياض الإسلام المناصرين لكلمة الحق طيلة حياته .

وروي عنه انه كان يقول : ما دخل وقت صلاة قط الا انا مشتاق اليها وما اقيمت صلاة منذ اسلمت الا وانا على وضوء .

وفد بني تميم الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

ذكر المؤرخون واصحاب السير انه في السنة التاسعة للهجرة قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفد بني تميم ، مع حاجب بن زرارة بن عدس ، وفيهم الاقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعمرو بن الاهتم ، وقيس بن عاصم ، والحتات ، ومعتمر بن زيد في وفد عظيم ، ومعهم عيينة بن حصن الفزاري .

فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من وراء حجراته أن اخرج الينا يا محمد . . . فآذى ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونزل قوله تعالى : ﴿ **ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ـ ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم** ﴾[١] .

وفي تفسير مجمع البيان للطبرسي : أنه خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اليهم فقالوا : جئناك لنفاخرك ،فأذن لشاعرنا ، وخطيبنا . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اذنت . . .

---

(١) سورة الحجرات : آية ٥، ٦.

فقام عطارد بن حاجب وقال : الحمد لله الذي جعلنا ملوكاً ، والذي له الفضل علينا ، والذي وهب علينا[1] اموالاً عظاماً نفعل بها المعروف ، وجعلنا اعز اهل المشرق ، واكثر عددا وعدة ، فمن مثلنا في الناس . . . ! فمن فاخرنا فليعد مثل ما عددنا ، ولو شئنا لاكثرنا من الكلام ، ولكنا نستحي من الاكثار . ثم جلس .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لثابت بن قيس بن شماس ، قم فاجبه . . . فقام فقال : الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه ، قضى فيهن امره ، ووسع كرسيه علمه ، ولم يكن شيء قط الا من فضله ، ثم كان من فضله أن جعلنا ملوكاً ، واصطفى من خير خلقه رسولاً ، اكرمهم نسباً ، واصدقهم حديثاً ، وافضلهم حسباً ، فانزل الله عليه كتاباً ، وائتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله على العالمين . ثم دعا الناس الى الايمان بالله ، فآمن به المهاجرون من قومه ، وذوي رحمه ، اكرم الناس احسابا ، واحسنهم وجوها ، فكان اول الخلق اجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نحن ، فنحن انصار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وردؤه ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا ، فمن آمن بالله ورسوله مُنع ماله ودمه ، ومن نكث جاهدناه في الله ابدا ، وكان قتله علينا يسيرا ، اقول هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم .

وفي كتب التاريخ والسير انهم قالوا : يا رسول الله إئذن لشاعرنا فقام الزبرقان بن بدر فقال :

---

(١) وفي تاريخ ابن الاثير وغيره ، وهب لنا اموالا عظاما .

نحن الكـرام فلا حي يعـادلنـا　　منا الملوك وفينا تنصب البيع[1]
وكم قسـرنا من الاحيـاء كلهم　　عند النهاب وفضل العرب يتبع

الى قوله :

فمن يفـاخرنـا في ذاك يعـرفنـا　　فيرجع القـول والاخبار تُستمـع

واجابه حسان بن ثابت بقوله :

ان الذوائب[2] من فهر واخوتهم　　قـد بينـوا سنـة للنـاس تتبـع
قوم اذا حاربوا ضروا عـدوهم　　أو حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا

الى قوله :

كأنهم في الوغى والموت مكتنع　　اسد بحلية في ارساغها فدع[3]
اكرم بقوم رسول الله شيعتهم　　اذا تفـرقت الاهـواء والشيـع
فـانهم افـضـل الاحيـاء كـلهم　　ان جد بالناس جد القول أو شمعوا[4]

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع : ان هذا الرجل

(١) البيع : جمع بيعة، مواضع الصلاوات والعبادات التي كانوا يتعبدون بها .
(٢) الذوائب : الاعالي : واراد بها هنا السادة .
(٣) مكتنع : أي دان قريب، والحلية اسم موضع تنسب اليه الاسود، والارساغ : جمع رسغ ، وهو موضع مربط القيد والفدع : اعوجاج الى ناحية . راجع شرح تاريخ ابن الاثير.
(٤) شمعوا : اي ضحكوا ومزحوا .

ـ محمد ـ خطيبه اخطب من خطيبنا ، وشاعره اشعر من شاعـرنا ، واصواتهم أعلى من اصواتنا . . . فلما فرغوا اجازهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاحسن جوائزهم . . . واسلموا .

رسول ملوك حمير الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

جاء في السيرة النبوية لأبن هشام أنه : قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاب ملوك حمير ، مقدمه من تبوك في السنة التاسعة ، ورسولهم اليه باسلامهم ، الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قيل[1] ذي رعين ، ومعافر وهمدان ، وبعث اليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوي باسلامهم ، ومفارقتهم الشرك واهله .

فكتب اليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبي الى الحارث بن عبد كلال والى نعيم بن عبد كلال ، والى النعمان ، قيل ذي رعين، ومعافر وهمدان .

اما بعد ذلكم ، فاني احمد اليكم الله الذي لا إله الا هو ، اما بعد ، فانه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من ارض الروم فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما ارسلتم به وخبر ما قبلكم ، وانبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين ، وان الله قد هداكم بهداه ، ان اصلحتم واطعتم الله

(١) القيل: واحد الاقيال، وهم الملوك الذين دون الملك الاكبر.

ورسوله ، واقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، واعطيتم من المغانم خمس الله وسهم الرسول وصفيه[١] ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة . . . ـ الى آخر ما بينه الرسول مما تجب فيه الزكاة ومقدارها في ناتج الأرض ، وفي الابل ، والبقر ، والشياة ـ .

الى ان قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : انها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومن ادى ذلك ، واشهد على اسلامه ، وظاهر[٢] المؤمنين على المشركين ،فانه من المؤمنين له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وانه من اسلم من يهودي او نصراني، فانه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته او نصرانيته فانه لا يرد عنها ، وعليه الجزية ، على كل حالم ذكراً أوانثى حراً أوعبد، دينار واف من قيمة المعافر[٣] أو عوضه ثياباً . . . فمن ادى ذلك الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فان له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فانه عدو لله ولرسوله .

اما بعد فان رسول الله محمدا النبي ارسل الى زرعة ذي يزن ان اذا اتاكم رسلي فاوصيكم بهم خيراً : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عبادة ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مرة ، واصحابهم ، وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم[٤] ، وابلغوها

---

(١) الصفي : ما يصطفيه الرئيس من الغنيمة لنفسه قبل ان تقسم الغنائم .

(٢) ظاهر المؤمنين : عاون وقوى المؤمنين على المشركين .

(٣) المعافر: ثياب من ثياب اليمن .

(٤) المخلاف: المكورة من البلاد، ومنه ـ مخاليف اليمن ، المنجد في اللغة .

رسلي ، وان اميرهم معاذ بن جبل ، فلا ينقلبن الا راضيا .

واضاف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كتابه الى زرعة اما بعد فان محمداً يشهد أن لا إله الا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم ان مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني انك قد اسلمت من اول حمير ، وقتلت المشركين ، فابشر بخير ، وآمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فان رسول الله هو ولي غنيكم وفقيركم ، وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته ، انما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين ، وابن السبيل ، وان مالكا قد بلّغ الخبر ، وحفظ الغيب . وآمركم به خيراً ! واني قد ارسلت اليكم من صالحي اهلي واولى دينهم ، واولي علمهم ، وآمرك بهم خيراً فانهم منظور اليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وعن ابن اسحاق كما في السيرة الهشامية ايضاً : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين بعث معاذا ، اوصاه وعهد اليه ، ثم قال له : « يسر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفِّر ، وانك ستقدم على قوم من اهل الكتاب ، يسألونك ما مفتاح الجنة ؟ . . . فقل : شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له .

فخرج معاذ ، حتى اذا قدم اليمن قام بما امره به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[1] .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ج ٤، ص ٢٣٥، ٢٣٦.



توالي الوفود على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

جاء في سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق انه قال: كانت العرب تربص بالإسلام امر هذا الحي من قريش وامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وذلك ان قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم ، واهل البيت الحرام ، وصريح[١] ولد اسماعيل بن ابراهيم (عليه السلام) . وقادة العرب لا ينكرون ذلك ، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلافه ، وعدواته ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش ، ودوخها الإسلام ـ وفرغ من تبوك ، واسلمت ثقيف وبايعت ـ عرفت العرب انهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله ، كما قال عز وجل « افواجاً » يضربون اليه من كل وجه .

ذكر ابن اسحاق عن ابن عباس انه قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقدم عليه ، واناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس في اصحابه ، وكان ضمام رجلاً جلدا اشعرا ذا غديرتين[٢] فاقبل حتى وقف على رسول الله

---

(١) صريح ولد اسماعيل: اي خالص ولد اسماعيل.

(٢) غديرتين : الغديرة : الذؤابة من الشعر.

في اصحابه ، فقال : ايكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : انا ابن عبد المطلب .

قال : أمحمد ؟ قال : نعم ، قال : يا بن عبد المطلب ، اني سائلك ومغلِّظ عليك في المسألة ، فلا تجدن في نفسك ، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا اجد في نفسي ، فسل عما بدا لك .

قال ضمام : انشدك الله الهك واله من كان قبلك ، واله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك الينا رسولا ؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اللهمّ نعم ؛

قال : فانشدك الله الهك واله من كان قبلك ، واله من هو كائن بعدك ، آلله امرك ان تأمرنا ان نعبده وحده لا نشرك به شيئاً ، وان نخلع هذه الانداد التي كان آباؤنا يعبدون معه ؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اللهمّ نعم .

قال : فانشدك الله إلهك واله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك آلله امرك ان تصلي هذه الصلوات الخمس ؟

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : اللهمّ نعم .

ثم جعل ـ ضمام ـ يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة ، والصيام ، والحج ، وشرائع الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده في التي قبلها ، حتى اذا فرغ قال : فاني اشهد ان لا إله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ، وسأؤدي هذه الفرائض ، واجتنب ما نهيتني عنه ، ثم لا ازيد ولا انقص . ثم انصرف الى بعيره راجعاً .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان صدق ذو العقيصتين[1] دخل الجنة .

قال ابن عباس : فاتى بعيره فاطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا اليه فكان اول ما تكلم به أن قال : بئست اللات والعزى . . . قالوا : مه يا ضمام ! اتق البرص . . . اتق الجذام . . . اتق الجنون ! قال : ويلكم انهما والله لا يضران ولا ينفعان . . . ان الله قد بعث رسولاً وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه ، واني اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وان محمدا عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما امركم به ، وما نهاكم عنه . فما امسى من ذلك اليوم في حاضره[2] رجل ولا امرأة إلا مسلماً .

وعن ابن عباس انه قال : فما سمعنا بوافد قوم كان افضل من ضمام بن ثعلبة[3] .

---

(١) العقيصتان : الضفيرتان من الشعر.

(٢) الحاضر: الحي .

(٣)السيرة النبوية لابن هشام - ج ٤ ص ٢٢٠



قدوم جرير بن عبد الله البجلي على رسول الله
(صلى الله عليه وآله وسلم)

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية عن الحافظ البيهقي مسلسلا عن جرير بن عبد الله قال: بعث الي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا جرير لأي شيء جئت ؟ قلت : اسلم على يديك يا رسول الله. قال: فالقى علي كساء ، ثم اقبل على اصحابه فقال : « اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه » .

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا جرير ادعوك الى شهادة ان لا اله الا الله وأني رسول الله، وانت[1] تؤمن بالله واليوم الآخر . . . وتصلي الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة . ففعلت ذلك ، فكان بعد ذلك لا يراني الا تبسم في وجهي .

وائل بن حجر احد ملوك اليمن

وفي البداية والنهاية ايضاً أنه قدم وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي ابن هنيد احد ملوك اليمن على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويقال ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بشر اصحابه قبل قدومه به وقال : يأتيكم بقية ابناء الملوك . فلما دخل وائل

(١) هكذا وردت في الاصل .

رحب به وادناه من نفسه ، وقرب مجلسه ، وبسط له رداءه ، وقال : « اللهم بارك في وائل وولده وولد ولده » .

واستعمله على الاقيال من حضر موت ، وكتب معه ثلاث كتب ، منها كتاب الى المهاجرابن ابي امية ، وكتاب الى الاقيال والعياهلة ، واقطعه ارضا ، وارسل معه معاوية بن ابي سفيان . فخرج معه راجلاً فشكى اليه حر الرمضاء ، فقال له : انتعل ظل الناقة . . . فقال ـ معاوية ـ وما يغني عني ذلك ، لو جعلتني ردفاً .

فقال له وائل : اسكت فلست من ارداف الملوك . ثم عاش وائل بن حجر حتى وفد على معاوية ايام سلطانه ،فعرفه معاوية . . . فرحب به واذكره الحديث » . ليعلمه أنه اصبح صاحب سلطان وعظمة وفوق الملوك .

اقول :

ذكر ابن كثير هذه القصة على انها المدح لمعاوية ، ومنقبة له ، والحقيقة هي العكس لانها كشفت عن نفسية معاوية الاستعلائية والحقودية ولولا راية الإسلام الي استظل تحتها لما كان لمعاوية ان يتربع على دست السلطان ـ كقول وائل له : لست من ارداف الملوك . . .

وتوالت الوفود على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد مرجعه من تبوك كما اسلفنا بايعونه على الايمان بالله والدخول في دين الإسلام .

وقدم وفد بني اسد على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقالوا : اتيناك قبل أن ترسل الينا رسولا . . . فانزل الله تعالى :

﴿ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين ﴾[1] .

ـ وقدم وفد بلى في شهر ربيع الأول ،فنزلوا على رويفع بن ثابت البلوي .

ـ وقدم وفد الزاريين وهم عشرة نفر .

ـ وقدم وفد بهراء على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزلوا على المقدادبن عمرو ، وكانوا ثلاثة عشر رجلا .

ـ وقدم وفد بني البكاء .

ـ وقدم وفد بني فزارة وهم بضعة عشر رجلاً ،فيهم خارجة ابن حصن .

ـ وقدم وفد ثعلبة بن منقذ[2] .

ـ وقدم عبد الرحمن بن ابي عقيل مع قومه في وفد الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)فقال : اتيناه فانخنابالباب وما في الناس رجل ابغض الينا من رجل نلج عليه ، فلما دخلنا وخرجنا فمافي الناس رجل احب الينا من رجل دخلنا عليه .

فقال قائل منا : يا رسول الله ألأ سألت ربك ملكاً كملك سليمان . . . فضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قال :

---

(١) سورة الحجرات ، آية ١٧.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير، ج ٢، ص ١٩٨.

« فلعل صاحبك عند الله افضل من ملك سليمان ، ان الله عز وجل لم يبعث نبياً الا اعطاه دعوة . . . فمنهم من اتخذها دنيا ، فاعطيها . . . ومنهم من دعا بها على قومه اذ عصوه ، فاهلكوا بها . . . وان الله اعطاني دعوة فاختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة »[1].

ـ وقدم وافد فروة بن عمرو الجذامي الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلمه باسلامه ، واهدى له بغلة بيضاء .

وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وما حولها من ارض الشام[2] . فلما بلغ الروم ذلك من اسلامه طلبوه حتى اخذوه فحبسوه عندهم .

فلما اجمعت الروم على صلبه على ماء لهم يقال له « عفرى » بفلسطين قال :

ألا هل اتى سلمى بان حليلها   على ماء عفرى فوق احدى الرواحل

وزعم الزهري أنهم لما قدموه ليقتلوه قال :

بلغ سراة المسلمين بانني   سلم لربي اعظمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك الماء[3] .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٥، ص ٨٥.
(٢) معان هي من اعمال الاردن في يومنا الحاضر.
(٣) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٥ ص ٧٨.

وفد الازد

وقدم وفد سويد بن الحارث الازدي في قومه ـ الازد ـ على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)فقال : لما دخلنا عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلمناه ، فاعجبه ما رأى من سمتنا وزينا ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ما انتم ؟ قلنا : مؤمنون . . . فتبسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال : « ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم » .

قلنا : خمس عشرة خصلة ، خمس منها أمرتنا بها رسلك ان نؤمن بها . . . وخمس امرتنا ان نعمل بها . . . وخمس تخلقنا بها في الجاهلية ، فنحن عليها إلا ان تكره منها شيئاً .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ما الخمسة التي امرتكم بها رسلي ان تؤمنوا بها » ؟ .

قلنا : امرتنا أن نؤمن بالله ، وملائكته، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « وما الخمسة التي امرتكم أن تعملوا بها » ؟ .

قلنا : امرتنا ان نقول : لا اله الا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج . . . من استطاع اليه سبيلا .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : وما الخمسة التي تخلقتم بها في الجاهلية » ؟ .

قالوا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضى بمر القضاء ، والصدق في مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالاعداء .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « حكماء ، علماء ، كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء » .

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « وانا ازيدكم خمسة فيتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون . . . فلا تجمعوا مالا تأكلون ، ولا تبنوا مالا تسكنون ، ولا تنافسوا في شيء انتم عنه غدا تزولون ، واتقوا الله الذي اليه ترجعون ، وعليه تعرضون ، وارغبوا فيما عليه تقدمون ، وفيه تخلدون » .

فانصرف القوم من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وحفظوا وصيته ، وعملوا بها[1] .

---

(1) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٥ ص ٩٤.

وفد نجران

ارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خالد بن الوليد الى بني الحرث بن كعب ، بنجران ، في شهر ربيع الآخر من السنة العاشرة ـ وفي الطبري أن معه سرية في اربعمائة ـ وامره ان يدعوهم الى الإسلام ثلاثاً ،فان اجابوا اقام فيهم وعلمهم شرائع الإسلام ، وان لم يفعلوا قاتلهم .

فخرج اليهم ودعاهم الى الإسلام ،فاجابوا واسلموا .فاقام فيهم ، وكتب الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)يعلمه اسلامهم .

وعاد خالد ومعه وفدهم : فيهم قيس بن الحصين ابن يزيد بن قينان ذي الغصة، ويزيد بن عبد المدان ، وغيرهما . فقدموا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)ثم عادوا عنه في بقية شوال ، وارسل اليهم عمرو بن حزم يعلمهم شرائع الإسلام ، ويأخذ صدقاتهم ، وكتب معه كتاباً .

وتوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعمرو بن حزم على نجران[1] .

وكان قدم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفد نصارى

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير، ج ٢ ص ٢٠.

نجران ـ ليحاجوه ويباهلوه ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ **فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين** ﴾[1] .

اجمع المفسرون : على ان المراد بابنائنا ـ الحسن والحسين (عليهما السلام) .

قال ابو بكر الرازي : هذا الحديث يدل على ان الحسن والحسين ابناء رسول الله ، وان ولد الابنة ابن في الحقيقة .

وعن مجمع البيان للطبرسي : ان المراد بقوله تعالى ، ونساءنا ـ هو خصوص فاطمة (عليها السلام) لأنه لم يحضر غيرها من النساء ، وهذا يدل على تفضيل الزهراء على جميع النساء .

وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لبريدة الاسلمي : لا تبغض علياً فانه مني وأنا منه ، إن الناس خلقوا من شجر شتى وخلقت انا وعلي من شجرة واحدة[2]، يدلنا هذا القول دلالة واضحة على ان علي بن ابي طالب هو بمثابة نفس الرسول ، كما في القرآن الكريم ﴿ **وانفسنا وانفسكم** ﴾.

وجاء في الدر المنثور في تفسير آية المباهلة قوله : واخرج مسلم والترمذي ، وابن المنذر ، والحاكم ، والبيهقي في سننه عن سعد بن ابي وقاص قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ **قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم** ﴾

---

(١) سورة آل عمران ، آية ٦١.

(٢) عن مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي.

دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : اللهم هؤلاء اهلي .

واخرج ابن جرير عن علباء بن أحمر اليشكري قال : لما نزلت هذه الآية ﴿ **قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم** ﴾ ارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى علي وفاطمة وابنيهما الحسن والحسين »[1] .

وجاء في تفسير آية المباهلة للجليلين : أنه عندما أراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مباهلة نصارى نجران ، خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم : اذا دعوت فأمنوا . ـ فابوا ـ اي نصارى نجران ـ ان يلاعنوا وصالحوه على الجزية . رواه ابو نعيم ـ وعن ابن عباس قال : لو خرج الذين يباهلون ـ اي نصارى نجران ـ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا اهلا . وروي لو خرجوا لاحترقوا .

وذكر ابن الاثير في تاريخه عند ذكر نصارى نجران وارسالهم السيد والعاقب قال : (واما نصارى نجران فانهم ارسلوا العاقب والسيد في نفر الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وارادوا مباهلته ، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين فلما رأوهم قالوا : هذه وجوه لو أقسمت على الله أن يزيل الجبال لأزالها ، ولم يباهلوه ، وصالحوه على الفي حلة ثمن كل حلة اربعون درهماً وعلى أن يضيفوا رسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعل لهم ذمة الله وعهده . . . الى آخر الشروط)[2] .

---

(١) عن الدر المنثور للسيوطي ، ج ٢ ، ص ٣٩.
(٢) الكامل في التاريخ لابن الاثير، ج ٢ ص ٢٠٠.



قصة آية المباهلة

ذكر الحلبي في سيرته : « انه عندما وفد نصارى نجران على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكانوا ستين راكباً ، ودخلوا المسجد النبوي وعليهم ثياب الحبرة واردية الحرير ، مختمبن بخواتم الذهب ، قال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان الله أمرني ان لم تنقادوا للإسلام أن اباهلكم ، أي ندعوا ونجتهد في الدعاء باللعنة على الكاذب ، فقالوا له : يا ابا القاسم نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك .

فخلا بعضهم ببعض فقال بعضهم : والله علمتم أن الرجل نبي مرسل وما لاعن قوم قط نبياً إلا استؤصلوا ـ أي اخذوا عن آخرهم ـ وان أبيتم أنتم إلادينكم فوادعوه وصارحوه وارجعوا الى بلادكم .

وفي لفظ أنهم ذهبوا الى بني قريظة أي من بقي منهم وبني النضير وبني قينقاع واستشاروا[1] ان يصالحوه ولا يلاعنوه ، وفي لفظ أنهم وادعوه على الغد.

فلما اصبح (صلى الله عليه وآله وسم) اقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلي (رضي الله عنهم) وقال : ـ اللهم هؤلاء أهلي ـ وعند ذلك قال لهم الاسقف إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل لهم جبلا

---

(١) هكذا وردت في الاصل.

لازاله ، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني، فقالوا : لا نباهلك »[1] هذا بعض ما ورد في خصوص آية المباهلة من الروايات والحقيقة التي لا مجال لانكارها هو أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يمكن ان يباهل الا بهذه الصفوة من اهل بيته لأنهم كما وصفهم الاسقف واعترف أنها وجوه لو سألت الله تعالى ان يزيل جبلاً لازاله .

تأملات حول آية المباهلة

خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع اهل بيته الاطهار الى مباهلة نصارى نجران وليس على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته الميامين من بهارج الدنيا الزائلة أي أثر بل خرجوا متجلببين بجلباب الزهد والورع ، وعليهم سيماء الخشوع والايمان . في حين جاء وفد نجران وعليهم اردية الحرير متختمين بخواتم الذهب ، لاعتقادهم أن هذا اللباس وهذا المظهر البراق الفاخر يرهب النبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه المؤمنين .

ولكن كانت النتيجة على عكس ما ظنوا او توهموا اذ عند ما شاهد وفد نجران اهل بيت الرسول بلباس التقشف البسيط وجلباب التقى والورع وقع الرعب في قلوب النصارى وكادت نفوسهم تتطاير خوفاً وجزعاعلى أنفسهم واهليهم من عذاب الله فصالحوا ورجعوا منهزمين .

---

(١) انسان العيون لبرهان الدين الحلبي ، ج ٣، ص ٢٣٩ . وهذا الحديث رواه احمد زيني المشهور بدحلان نصاً وروحا ج ٣، ص ٥ على حاشية السيرة الحلبية .

فالنبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو اعلم وادرى بارادة الله تعالى ، وقد اجمع المؤرخون واهل السير انه (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) هذا هو الصحيح والمنكر لهذا مكابر .

ولو ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج بغير هؤلاء الصفوة من اهل بيته لاقام اعداء (اهل البيت) الدنيا واقعدوها تطبيلاً وتزميراً ولكان رواة الحديث والمعتمد عليهم ذكروا الذين خرجوا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للمباهلة غير من ذكرنا .

على اننا لم نر شيئاً من ذلك بل وجدنا الصحابة والتابعين الذين يعول على رواياتهم اصحاب الاحاديث الموثوقة ، قد اجمعوا على خروج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين لا سواهم .

وقد اوضحت حادثة المباهلة المهمة بعظمتها مدى أهمية اهل البيت ومكانتهم الاجتماعية . وانهم لامثيل لهم في المجتمع الإسلامي الحافل بكبار الصحابة ، والمجاهدين والانصار وبني هاشم وغيرهم .

مضافاً الى هذا الذي ذكرناه وجود العباس بن عبد المطلب (رضي الله عنه) الذي هو شيخ الهاشميين وزعيمهم ، فلم يذكره احد من أنه من المباهل بهم .

وكذلك نرى النبي الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يدع من النساء سوى ابنته فاطمة (عليها السلام) مع العلم بوجود عمته صفية بنت عبد المطلب ، واروى بنت عبد المطلب ايضاً وغيرهن من

الهاشميات الجليلات ممن كان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يكن لهن الاحترام والتقدير .

كذلك لم يدع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نساءه مع كونهن في بيته وامام ناظريه وهكذا فليتأمل الباحث بروية وانصاف .

وفد بني عامر وقصة عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس

ذكر المؤرخون واصحاب السير أنه قدم المدينة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفد بني عامر وفيهم عامر بن الطفيل ـ واربد ـ وقيل زيد بن قيس ، وجبار بن سلمى وكان هؤلاء الثلاثة من رؤساء القوم وشياطينهم .

وكان بنو عامر يقولون لعامر بن الطفيل : يا ابا عامر ان الناس قد اسلموا فاسلم . . . فيجيبهم : والله لقد كنت آليت أن لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي ، أفأنا اتبع عقب هذا الفتى من قريش !

وصحب عامر وفد قومه الذين جاءوا الى المدينة ليعلنوا اسلام قومهم عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . لكن عامراً ورفيقيه كانوا يضمرون الغدر والفتك بالنبي العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

عن ابن عباس كما في مجمع البيان للطبرسي ان زيد بن قيس اخا لبيد بن ربيعة العامري لامه وعامر بن طفيل اتيا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يجادلانه ويريدان الفتك به ، وكان عامر اوصى الى زيد[1] اذا رأيتني اكلمه فدر من خلفه ، فاضربه بالسيف .

---

(١) وقد ذكر ابن هشام والطبري ، وابن الاثير انه ـ أربد ـ لكن صاحب مجمع البيان في تفسير القرآن ذكر الرواية باسم ـ زيد بن قيس ـ .

فجعل عامر يخاصم رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) ويراجعه الكلام ، فدار زيد خلف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليضربه ، فاخترط من سيفه شبراً ، ثم حبسه الله عنه ، فلم يقدر على سله . وجعل عامر يومي اليه ، فالتفت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فرأى زيدا وما يصنع بسيفه ، فقال : « اللهمَّ اكفنيهما بما شئت » .

فارسل الله على زيد صاعقة في يوم صاح صائف ، فاحرقته . وولى عامر هارباً . . . وقال : يا محمد دعوت ربك فقتل زيدا . . . والله لأملأنها عليك خيلا جردا ، وفتيانا مردا ، ولاربطن بكل نخلة فرسا ، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : الله يمنعك من ذلك ، فنزل ـ عامر في بيت امرأة من سلول ، وخرج على ركبتيه في الوقت غده عظيمة . فكان يقول : غدة كغدة البعير . . . وموت في بيت سلولية . . . حتى قتلته ـ الغدة ـ .

وفي السيرة الهشامية عن ابن عباس انه قال: وانزل الله عز وجل في عامر وأربد : (الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الارحام وما تزداد) الى قوله : **﴿ له معقبـات من بين يـديه ومن خلفـه يحفظونـه من امـر الله إن الله لا يغير مـا بقـوم حتى يغيـروا مـا بـانفسهم واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ﴾** .

قال : والمعقبـات هي من الله يحفظون محمدا .

ثم ذكر اربد وما قتله الله به فقال : **﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال ﴾**[1] .

---

(١) سورة الرعد: من آية ـ ٧ ـ الى ـ ١٣

ما كان من امر الكذابين مسليمة ، والاسود العنسي

لما تمت كلمة الله العليا بنجاح دعوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى دين الحق واستتب الأمر في شبه الجزيرة العربية ، وتوالت الوفود من كل حدب وصوب تؤم المدينة لمبايعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والتدين بدين الله الجديد ـ الإسلام ـ ولما رأى العرب الانتصارات الباهرة المتتابعة لمحمد واصحابه ، ورأوا الغنائم تتدفق على المدينة ، ورأوا مكانة الإسلام العالية . . . هذه الامور حملتهم على الدخول في الإسلام والانضواء تحت لوائه .

كل هذه الامور هيجت المغرورين والدجالين والكذابين ، فاثارت فيهم كوامن الشر والحقد والطمع في ان يكون لهم من المكانة العالية ما اصبح لرسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فراحوا يبحثون عن طريق توصلهم الى مآربهم فلم يجدوا امامهم الا ادعاء النبوة لعلهم يفوزون بشيء من العز والسلطان ، امثال مسليمة ـ والعنسي ـ وطليحة .

لكن خاب ظنهم ، وضل سعيهم ، واكب الله كيدهم بنحورهم . . . اذ كل ادعاء اساسه الكذب والتضليل والبهتان سرعان ما ينكشف وتكون عاقبته الخسران .

اما ما كان من امر مسليمة الكذاب فقد روى ابن هشام في سيرته

عن ابن اسحاق : ان بني حنيفة اتت به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تستره بالثياب ، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس في اصحابه ، معه عسيب[1] من سعف النخل ، في رأسه خوصات ، فلما انتهى الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهم يسترونه بالثياب كلمه ، وسأله ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : لو سألتني هذا العسيب ما اعطيتكه .

وروى ابن هشام ايضاً عن ابن اسحاق عن شيخ من بني حنيفة من اهل اليمامة زعم ان وفد بني حنيفة اتوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وخلفوا مسليمة في رحالهم ، فلما اسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يا رسول الله ، انا قد خلفنا صاحبا لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا ، قال : فامر له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمثل ما امر به للقوم ، وقال : اما انه ليس بشركم مكانا ـ اي لحفظه ضيعة اصحابه ـ وذلك الذي يريد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثم انصرفوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجاءوه بما اعطاه ، فلما انتهوا الى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم وقال : اني قد اشركت في الامر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتموني له : اما انه ليس بشركم مكانا . . . ما ذاك إلا لما كان يعلم اني قد اشركت في الأمر معه . ثم جعل يسجع لهم الاساجيع . . . ويقول لهم فيما يقول مضاهاة[2] للقرآن : ﴿ لقد انعم الله

---

(١) العسيب: جريدة النخل.

(٢) مضاهاة : مشابهة .

على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق[1] وحشا . . . ﴾
واحل لهم الخمر والزنا ، فاصفقت[2] معه بنو حنيفة على ذلك .

وروى ابن كثير في البداية والنهاية : انه جاء رجل الى عبد الله بن مسعود فقال : اني مررت ببعض مساجد بني حنيفة وهم يقرؤ ن قراءة ما انزلها الله على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : والطاحنات طحنا ، والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما فارسل اليهم عبد الله فأتي بهم ، وهم سبعون رجلاً ، ورأسهم عبد الله بن النواحة ، فامر به عبد الله فقتل .

وروى ابن كثير ايضاً عن ابن اسحاق : كان مسليمة بن حبيب كتب الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من مسليمة رسول الله الى محمد رسول الله ، سلام عليك . . . اما بعد فاني قد اشركت في الامر معك ، فان لنا نصف الامر ، ولقريش نصف الامر ، ولكن قريشاً قوم لا يعتدون . وفي رواية : نصف الارض .

فقدم على النبي رسولان بهذا الكتاب ، فكتب اليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسليمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

---

(١) الصفاق: مارق من البطن، الجلد الاسفل.
(٢) فاصفقوا على ذلك: اجمعوا عليه.

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) للرسولين : « وانتما تقولان مثل ما يقول » ؟ قالا : نعم .

فقال : اما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما .

وقد قتل المسلمون مسيلمة الكذاب بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ايام خلافة ابي بكر وبعد أن عاث في الأرض فسادا .

واما الاسود العنسي واسمه عيهلة بن كعب ، وكان يلقب بذي الخمار ، فقد ادعى النبوة باليمن وذلك لما عاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من حجة الوداع وتمرض من السفر غير المرض الذي توفي فيه كما في الكامل في التاريخ لابن الاثير وغيره .

ولما بلغ الاسود مرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ادعى النبوة ، وكان مشعوذاً يُري الناس الاعاجيب ، فاتبعته مذحج ، وكانت ردة الاسود اول ردة في الإسلام على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . وغزا نجران فاخرج عنها عمرو بن حزم وخالد بن سعيد عاملا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . وسار الاسود عن نجران الى صنعاء ، وخرج اليه شهر بن باذان ملك اليمن الفارسي الذي كان قد اقره رسول الله على اليمن بعد اسلامه ، فقتل شهر وخرج معاذ هارباً حتى لحق بابي موسى وهو بمأرب ، فلحقا بحضرموت .

واستتب للاسود ملك اليمن ، وغلب على ما بين مفازة حضرموت الى الطائف ، الى البحرين ، والاحساء ، الى عدن . واستطار امره كالحريق .

وجاء الى من باليمن من المسلمين كتاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمرهم بقتال الاسود العنسي اما مصادمة أو غيلة .

فاتفق المسلمون مع ـ آزاد ـ وهي امرأة الاسود العنسي التي تزوجها بعد ان قتل زوجها شهر بن باذان ، على اغتيال الاسود وقتله ، فقالت لهم : والله ما خلق الله شخصاً ابغض الي منه ، ما يقوم لله على حق ، ولا ينتهي عن محرم . ثم ارشدتهم الى طريقة تمكنهم من الدخول عليه في مقصورته . . . فنقبوا حائط الغرفة التي كان ينام فيها وابتدره فيروز ، ـ وهو ابن عم آزاد زوجة الاسود العنسي ـ واخذ برأسه فقتله ودق عنقه فخار كما يخور الثور. وبعدها قطع رأسه واراح الله منه البلاد والعباد.

ولما طلع الفجر نادى المسلمون بالأذان وقالوا : اشهد ان محمدا رسول الله . . . وان عيهلة كذاب ، والقوا برأسه الى اصحابه وحرسه .

وتراجع اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى اعمالهم وكتبوا الى رسول الله بذلك ،

وعن ابن عمر أنه اتى الخبر من السماء الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في الليلة التي قتل فيهاالاسود ، فقال (صلى الله عليه وآله) : « قُتل العنسي ، قتله رجل مبارك ، من اهل بيت مباركين » قيل : من قتله؟ قال : « قتله فيروز » .

وكان اول امر العنسي الى آخره ثلاثة اشهر ، وقيل : قريب من اربعة اشهر .

ما كان من امر طليحة الاسدي

واما طليحة بن خويلد الاسدي ـ من بني اسد بن خزيمة ـ كان قد تنبأ في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فوجه اليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ضرار بن الازور عاملا على بني اسد ، وامرهم بالقيام على من ارتد . فضعف امر طليحة حتى لم يبق إلا أخذه ، فضربه بسيف فلم يصنع فيه شيئاً ، فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه . فكثر جمعه . ومات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم على ذلك .

فكان طليحة يقول : ان جبريل يأتيني ، وسجع للناس الاكاذيب ، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة. وتبعه كثير من العرب عصبية . فلهذا كان اكثر اتباعه من اسد، وغطفان ، وطيء .

وروى ابن الاثير في تاريخه قصة طليحة ومحاربة المسلمين له وانه انهزم اخيراً فلحق بالشام ، ثم نزل على كلب فاسلم حين بلغه ان اسدا وغطفان قد اسلموا ولم يزل مقيما في كلب حتى مات ابو بكر[1] .

وقد كانت الغزوات التي غزاها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)سبعاً وعشرين غزوة ، وسراياه وبعوثه ثمانيا وثلاثين كما ذكر ذلك ابن هشام في سيرته وغيره ممن كتب في سيرةالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

---

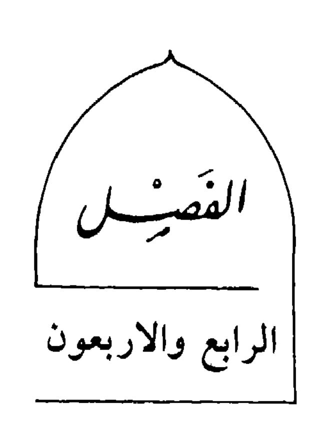
(١) راجع الكامل في التاريخ لابن الاثير، ج ٢ ص ٢٣٥.

وقد ذكرنا الكثير من الغزوات والسرايا والبعوث التي لها شأن في موضوع سيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وذكرنا ايضاً : بعض الوفود التي وفدت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المدينة بعد رجوعه (صلى الله عليه وآله وسلم) من تبوك واستتباب الامر له في شبه الجزيرة العربية ، حيث أنه من لم يسلم من العرب ويبايع محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) طوعا بايعه كراهية ، حينها رأوا انهم لا طاقة لهم في مجابهته وحربه . وتوافدت عليه وفود القبائل من كل حدب وصوب لطلب رضاه (صلى الله عليه وآله وسلم) . ومبايعته .

وقد ذكرنا الكثير من الوفود العربية التي وفدت على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وتركنا بعضها لتشابهها في الغاية وهي الدخول في الإسلام والانصياع لامر الله تعالى .





الفصل الرابع والاربعون



وفاة ابراهيم بن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

بعد ان تخطى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الستين من عمره الشريف رزقه الله من فضله واحسانه ولده ابراهيم من مارية القبطية . ففاضت بالمسرة نفسه وامتلأ قلبه الكبير انساً وغبطة .

وبهذا الميلاد المبارك ارتفعت منزلة « مارية » في عين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى مكانة سمت بها الى مقام ازواجه ، وزادتها الى ذلك عنده حظوة ومنه قرباً . . . انها ام ولده ابراهيم . . .

وروي ان الرسول الاعظم عندما ولد له ابراهيم اكرم سلمى زوج ابي رافع قابلة مارية اكراماً بالغاً . . . ثم دفع ولده الى ام سيف لترضعه ، وجعل في حيازتها سبعاً من الماعز . وكان يمر كل يوم بدار مارية ، التي نقلها الرسول اليها - بالعالية - ! بضواحي المدينة ليرى ولده ابراهيم ويزداد انساً بابتسامته البريئة .

ولم يسعد مارية شيء قدر ما اسعدها ان تلد للنبي الأعظم على اليأس غلاماً تقر به عينه ، ويتعزى به عمن فقده من ابناء السيدة ام المؤمنين خديجة رضي الله عنها .

وفي الاستيعاب لابن عبد البر : انه جاءت ام بردة بنت المنذر بن زيد الانصاري زوجة البراء بن اوس فكلمت رسول الله (صلى الله عليه

وآله وسلم) في ان ترضع « ابراهيم » بلبن ابنها في بني مازن بن النجار وترجع به الى امه ، واعطى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ام بردة قطعة من نخل جزاء لها .

وروي انه لما بلغ ابراهيم ثمانية عشر شهراً ، اوسبعة عشر شهراً ، او ستة عشر شهراً على اختلاف الروايات في مدة حياته مرض مرضا شديداً جزعت امه مارية عليه ، ودعت اختها سيرين زوجة حسان بن ثابت ، وقامتا على تمريضه . . . وان نفسيهما لتذوبان عليه لهفة وقلقا .

ولما اشتد به المرض وعلم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جاءاليه متكأ على يد عبد الرحمن بن عوف من شدة ألمه ،فاخذه من حجر امه في حين اشتد عليه المرض واصبح في حالة احتضار . . . ثم وضعه في حجره محزون القلب ، دامع العين لا يملك الا أن يقول في اسى وتسليم : « انا يا ابراهيم لا نغني عنك من الله شيئاً » ثم انهملت عيناه بالدموع وهو يرى ولده وفلذة كبده يعالج سكرات الموت في حجره ويسمع حشرجة احتضاره .

وفي الاستيعاب لابن عبدالبر عن عطا عن جابر انه قال: اخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بيد عبد الرحمن بن عوف فاتى به « النخل » فاذا ابنه ابراهيم في حجر امه وهو يجود بنفسه ، فاخذه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فوضعه في حجره ، ثم قال:

« يا ابراهيم انا لا نغني عنك من الله شيئاً » ، ثم ذرفت عيناه ثم قال :

« يا ابراهيم لولا أنه أمر حق ووعد صدق وان آخرنا سيلحق

باولنا ، لحزنا عليك حزنا هو اشد من هذا . . . وانا بك يا ابراهيم لمحزونون . . . تبكي العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول ما يسخط الرب » .

وفي رواية ان ابراهيم مات في بني مازن عند ظئره ام بردة خولة بنت المنذر .

وكانت وفاة ابراهيم في السنة العاشرة . . . وصادف وفاته ان انكسفت الشمس ، فقال قوم ان الشمس انكسفت لموته ، فخطبهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت احد ، ولا لحياته ، فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والصلاة » .

ورأى المسلمون ما اصاب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الحزن ، فحاولوا ان يردوه عن الامعان فيه ، فذكروه بما نهى عنه . . . فاجابهم (صلى الله عليه وآله وسلم) بقوله :

« ما عن الحزن نهيت ، وانما نهيت عن رفع الصوت بالبكاء . . . وانما ترون بي اثر ما في القلب من محبة ورحمة ، ومن لم يبد الرحمة لم يبد غيره عليه الرحمة » .

وروي انه (صلى الله عليه وآله وسلم) نظر الى مارية والى اختها سيرين نظرة عطف ، وطلب اليهما ان يهونا عليهما قائلا : « ان له مرضعا في الجنة » .

وفي رواية : نظر الى مارية في عطف ورثاء وقال يواسيها : « ان

ابراهيم ابني وانه مات في الثدي، وان له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة ».

ثم ان ام بردة غسلته - وقيل : غسله الفضل بن عباس ، وحمله على سرير صغير ، وشيعه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعمه العباس ، وطائفة من المسلمين الى البقيع حيث دفن فيها .

في هذه المرحلة من نهاية حياة « ابراهيم » والتي صادف فيها كسوف الشمس حتى قال الناس انها كسفت لموت ابن النبي . . . وانها معجزة ، وقف العقلاء ، والحكماء ، والمستشرقون المنصفون موقف الاجلال والتقدير مما اعلنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وخطبه من ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت احد ولا لحياته . . . وكل ذلك خوفاً منه (صلى الله عليه وآله وسلم) من ان يعتقد المسلمون ان الكسوف لموت ابراهيم ابن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معجزة كما اسلفنا ويمضون في اعتقادهم فتكون سنة متبعة . وهذا منتهى الحكمة منه والتفاتة عظيمة في اشد حالات آلامه وحزنه (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ارسال الرسول الأعظم علياً (عليه السلام) لتأدية براءة

ذكر المفيد في ارشاده ما جاء في قصة براءة ، وقد دفعها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى ابي بكر لينبذ بها عهد المشركين . فلما سار غير بعيد ، نزل جبرائيل (عليه السلام) على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له : ان الله يقرئك السلام ويقول لك : لا يؤدي عنك الا انت او رجل منك .

فاستدعى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً (عليه السلام) وقال له : اركب ناقتي العضباء ؛ والحق ابا بكر فخذ براءة من يده ، وامض بها الى مكة ، وانبذ بها عهد المشركين اليهم ، وخير ابا بكر بين ان يسير مع ركابك او يرجع .

فركب امير المؤمنين ناقة رسول الله العضباء ، وسار حتى لحق ابا بكر ، فلما رآه فزع من لحوقه به ، واستقبله وقال : فيما جئت يا ابا الحسن . . . اسائر انت معي ام لغير ذلك ؟ فقال له علي : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) امرني ان الحقك ، فاقبض منك الآيات من براءة ، وانبذ بها عهد المشركين اليهم . وامرني ان اخيرك بين ان تسير معي ، او ترجع اليه .

فقال ـ ابو بكر ـ : بل ارجع اليه . وعاد الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلما دخل عليه قال : يا رسول الله انك اهلتني لأمر طالت

الاعناق الي فيه . . . فلما توجهت له ، رددتني عنه ، مالي أنزل في قرآن ؟

فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا . . . ولكن الامين جبرائيل (عليه السلام) هبط الي عن الله عز وجل بانه لا يؤدي عنك الا انت او رجل منك . وعلي مني ، ولا يؤدي عني الا علي .

وجاء في نفسير الطبري عن ابن اسحاق ، في سلسلة من الاسناد ، قال : لما نزلت براءة بعث بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابا بكر ، ثم ارسل عليا فاخذها منه . فلما رجع ابو بكر قال : هل نزل في شيء ؟ قال: لا . . . ولكني أمرت أن ابلغها انا او رجل من اهل بيتي .

فانطلق علي الى مكة ، فقام فيهم باربع ـ ان لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ـ ولا يطيف بالكعبة عريان ـ ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ـ ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدته[1] .

وروى الطبرسي في تفسيره « مجمع البيان » عن عاصم بن حميد عن ابي بصير عن ابي جعفر (عليه السلام) قال : خطب علي (عليه السلام) الناس واخترط سيفه فقال : لا يطوفن بالبيت عريان ، ولا يحجن البيت مشرك ، ومن كانت له مدة فهو الى مدته ، ومن لم يكن له مدة ، فمدته اربعة اشهر .

وذكر ابو عبد الله الحافظ باسناده عن زيد بن نفيع قال : سألنا علياً (عليه السلام) باي شيء بعثت في ذي الحجة ؟

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن، للطبري، ج ١٠، ص ٤٦.

قال : بعثت باربعة . . . لا يدخل الكعبة الا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا ومن كان بينه وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عهد فعهده الى مدته ، ومن لم يكن له عهد فاجله اربعة اشهر .

وروي انه (عليه السلام) قام عند جمرة العقبة وقال : يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم ، بان لا يدخل البيت كافر ، ولا يحج البيت مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله فله عهده الى اربعة اشهر ، ومن لا عهد له فله مدة بقية الاشهر الحرم وقرأ عليهم سورة براءة - وقيل قرأ عليهم ثلاث عشرة آية من اول براءة قوله تعالى : ﴿ **براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين - فسيحوا في الأرض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين - واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم - الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين - فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم - وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون - كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين - كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم**

بافواههم وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون ـ اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون ـ لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ـ فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون ـ وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون ـ الا تقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم وهمّوا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين ﴾[1] .

روى النيسابوري في تفسيره : ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل (عليه السلام) وقال : يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك . فارسل علياً ، فرجع ابو بكر الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال : يا رسول الله أشيء نزل من السماء ؟ قال : نعم . . . فسر انت على الموسم وعلي ينادي بالآي[2] .

لكن النيسابوري اعتذر عن عزل ابي بكر في تبليغ سورة براءة ، وتسليمها لعلي بن ابي طالب ، وتكليف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) له بتبليغها بقوله : ﴿ **فذلك لأن المتعارف بين العرب ، انه اذا عقد السيد الكبير منهم لقوم حلفا او عاهد عهدا ، لم يحل ذلك العهدالا هو أو رجل من ذوي قرابته . . . كأخ ، او عم . . . فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهد . فازيلت**

---

(١) سورة التوبة، آية ١ ، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣ .

(٢) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، ج ١٠ ص ٣٦.

علتهم بتولية ذلك علياً ﴾ .

اقول : انه لما روى النيسابوري من أنه هبط جبريل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له : يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك . . . . فارسل علياً ، فرجع ابو بكر الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . . الخ .

وبعد روايته هذه لا معنى للاعتذار الذي اعتذره فيما بعد وغيره ايضاً . . . « ومن ان المتعارف بين العرب انه اذا عقد السيد الكبير منهم لقوم حلفاً أو عاهد عهدا لم يحل ذلك الا هو او رجل من ذوي قرابته ». ولو كان الامر كما ادعى النيسابوري وغيره لكان ارسل النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عمه العباس بن عبد المطلب وهو شيخ بني هاشم .

مضافاً الى أن الإسلام قد ابطل عادات العرب في الجاهلية وتقاليدها الموروثة . . . كالتفاخر بالاباء والاجداد . . . . وعدم توريث النساء ونصرة الاخ لاخيه ظالما او مظلوماً ، الى غيرها من العادات .

وعلى كل حال المروي والمشهور ، المعول عليه عند الثقاة من الرواة ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولى علي بن ابي طالب (عليه السلام) الموسم ايضاً .

وانما ذلك امر من الله تعالى للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بان لا يقوم بهذا الامر العظيم ، الا هو او رجل منه ـ مثل نفسه ـ .

والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى .



ارسال النبي (ص) علي بن ابي طالب (ع) الى اليمن

ذكر المؤرخون واصحاب السير ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعث علياً (عليه السلام) الى اليمن مرتين . . . الأولى الى همدان ، في اواخر سنة ثمان من الهجرة ، والثانية الى مذحج في رمضان سنة عشر .

اما الاولى كما روى الطبري في تاريخه عن البراء بن عازب، قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خالد بن الوليد الى اهل اليمن يدعوهم الى الإسلام ، فكنت فيمن سار معه ، فاقام عليه ستة اشهر لا يجيبونه الى شيء . فبعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن ابي طالب ، وامره ان يقفل خالدا ومن معه، فان اراد احد ممن كان مع خالد بن الوليد ان يعقب معه تركه .

قال البراء : فكنت فيمن عقب معه ، فلما انتهينا الى اوائل اليمن ، بلغ القوم الخبر ، فجمعوا له ، فصلى بنا علي الفجر ، فلما فرغ صفنا صفا واحدا ، ثم تقدم بين ايدينا ، فحمد الله واثنى عليه ، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فاسلمت همدان كلها في يوم واحد.

وكتب علي بذلك الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلما

قرأ كتابه خر ساجدا ، ثم جلس ، فقال : السلام على همدان ، السلام على همدان . . . ثم تتابع اهل اليمن على الإسلام .

وفي السيرة النبوية لابن دحلان : كان البعث ـ بعث علي بن ابي طالب الى اليمن ـ بعد رجوع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه من الطائف ، وقسمة الغنائم بالجعرانة وذلك في اواخر سنة ثمان .

والثانية كما روى الواقدي في مغازيه : انه بعث رسول الله علي بن ابي طالب (عليه السلام) في رمضان سنة عشر، فامره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يعسكر بقباء ، فعسكر بها حتى تتام اصحابه . فعقد له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يومئذ لواء ، اخذ عمامة فلفها مثنية مربعة ، فجعلها في رأس الرمح ثم دفعها اليه[1] وقال : « هكذا اللواء » . وعممه عمامة ، ثلاثة اكوار ، وجعل ذراعا بين يديه وشبرا من ورائه، ثم قال : « هكذا العمة » .

وعن ابي رافع ، قال : لما وجهه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « امض ولا تلتفت » فقال علي (عليه السلام) : يا رسول الله ، كيف اصنع ؟ قال : « اذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك ، فان قاتلوك ، فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قتيلا ، فان قتلوا منكم قتيلا فلا تقاتلهم ، تلوّمهم[2] ترهم اناة ، ثم تقول لهم : هل لكم الى أن تقولوا لا إله الا الله . . . فان قالوا نعم . فقل : هل

---

(١) في الاصل اليهم .
(٢) التلوم : الانتظار والتمكث.

لكم ان تصلوا ؟ . . فان قالوا نعم ، فقل : هل لكم ان تخرجوا من اموالكم صدقة تردونها على فقرائكم ؟ . . فان قالوا نعم ، فلا تبغ منهم غير ذلك ، والله ، لئن يهدي الله على يدك رجلاً واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس او غربت » .

قال ـ ابو رافع ـ : فخرج في ثلاثمائة فارس ، فكانت خيلهم اول خيل دخلت تلك البلاد ، فلما انتهى الى ادنى الناحية التي يريد ـ وهي ارض مذحج ـ فرق اصحابه ، فاتوا بنهب وغنائم وسبي ونساء واطفال ، ونعم وشاء وغير ذلك .

فجعل علي على الغنائم ، بريدة بن الحصيب ، فجمع اليه ما اصابوا قبل ان يلقاهم جمع ، ثم لقي جمعا فدعاهم الى الإسلام وحرض بهم فابوا ورموا في اصحابه .

ودفع لواءه الى مسعود بن سنان السلمي ، فتقدم به ، فبرز رجل من مذحج يدعوه الى البراز، فبرز اليه الاسود بن الخزاعي السلمي فتجادلا ساعة وهما فارسان ، فقتله الاسود واخذ سلبه .

ثم حمل عليهم علي باصحابه فقتل منهم عشرين رجلا ، فتفرقوا وانهزموا ، وتركوا لواءهم قائماً ، فكف عن طلبهم ودعاهم الى الإسلام ، فسارعوا واجابوا ، وتقدم نفر من رؤسائهم فبايعوه على الإسلام ، وقالوا : نحن على من ورائنا من قومنا ، وهذه صدقاتنافخذ منها حق الله[1] .

---

(١) المغازي للواقدي : ج ٣، ص ١٠٧٩ ، ١٠٨٠.

وجمع علي الغنائم، فاخرج منها الخمس، وقسم الباقي على اصحابه، ثم قفل فوافى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة قد قدمها للحج سنة عشر وهي حجة الوداع .

وفي البداية والنهاية وغيرها عن ابي سعيد الخدري انه قال : « بعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن ابي طالب الى اليمن . . . فكنت فيمن خرج معه ، فلما اخذ من ابل الصدقة سألناه ان نركب منها ونريح ابلنا - وكنا قد رأينا في ابلنا خللا - فابى علينا « علي » وقال : انما لكم فيها سهم كما للمسلمين .

قال : فلما فرغ علي وانطفق من اليمن راجعاً ، امَّر علينا انساناً ، واسرع هو وادرك الحج ، فلما قضى حجته قال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ارجع الى اصحابك حتى تقدم عليهم » .

قال ابو سعيد : وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان علي منعنا اياه، ففعل . . . فلما عرف - علي - في ابل الصدقة انها قد ركبت ، ورأى اثر الركب . . . قدَّم الذي أمَّره ولامه . فقلت : اما ان لله علي لئن قدمت المدينة لاذكرن لرسول الله . . . ولاخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق .

قال : فلما قدمنا المدينة ، غدوت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اريد أن أفعل ما كنت حلفت عليه ، فلقيت ابا بكر خارجاً من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فلما رآني وقف معي ورحب بي وساءلني وساءلته ، وقال : متى قدمت ؟ فقلت : قدمت البارحة ، فرجع معي الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فدخل وقال : هذا سعد بن مالك بن الشهيد . فقال (صلى الله عليه وآله

وسلم) : ائذن له . . . فدخلت ، فحييت رسول الله ، وحياني ، واقبل علي وسائلني عن نفسي واهلي ، واصفى المسألة . فقلت : يا رسول الله ما لقينا من علي من الغلظة ، وسوء الصحبة والتضييق . . . ! فاتئد[1] رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعلت انا اعدد ما لقينا من علي . . . حتى اذا كنت في وسط كلامي ، ضرب رسول الله على فخذي ، وكنت منه قريباً ، وقال : « يا سعد بن مالك ابن الشهيد . . مه بعض قولك لاخيك علي . . . فوالله لقد علمت انه احسن في سبيل الله » .

قال : فقلت في نفسي : ثكلتك امك سعد بن مالك ـ الا اراني كنت فيما يكره منذ اليوم ، ولا ادري لا جرم والله لا اذكره بسوء ابدا سراً ولا علانية . وهذا اسناد جيد على شرط النسائي »[2] .

وروى الطبري في تاريخه عن ابن هشام انه لما اقبل علي بن ابي طالب من اليمن ليلقى رسول الله بمكة تعجل الى رسول الله ، واستخلف على جنده الذين معه رجلا من اصحابه ، فعمد ذلك الرجل ، فكسى رجالا من القوم حللا من البز الذي كان مع علي بن ابي طالب، فلما دنا جيشه ، خرج علي ليلقاهم ،فاذا هم عليهم الحلل ، فقال : ويحك ما هذا ؟! قال : كسوت القوم ليتجملوا به اذا قدموا في الناس ، فقال : ويلك ! انزع من قبل ان تنتهي الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

---

(١) هكذا ورد في الاصل.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٥ ص ١٠٥، ١٠٦.

فانتزع الحلل من الناس ، وردها في البزّ ، واظهر الجيش شكاية لما صنع بهم .

وعن ابي سعيد الخدري انه قال : شكا الناس علي بن ابي طالب ، فقام رسول الله فينا خطيباً ، فسمعته يقول : « يا ايها الناس ، لا تشكوا علياً ، فوالله انه لاخشن في ذات الله ـ او في سبيل الله ـ من ان يشكى [1] .

وروى ابن كثير في البداية والنهاية عن الإمام احمد أنه قال : حدثنا اسود بن عامر حدثنا شريك عن سماك عن حنش عن علي ، قال : بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى اليمن ، قال : فقلت : يا رسول الله تبعثني الى قوم أسن مني ، وانا حدث لا ابصر القضاء .

قال علي : فوضع يده على صدري وقال : « اللهم ثبت لسانه ، واهد قلبه ، يا علي اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر ما سمعت من الاول ، فانك اذا فعلت ذلك تبين لك » .

قال : ـ علي ـ فما اختلف عليَّ قضاء بعد ـ او ما اشكل عليَّ قضاء بعد .

وفي البداية والنهاية ايضاً عن عبد الله ابن بريدة عن ابيه قال : بعث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) علياً الى خالد بن الوليد ليقبض الخمس وكنت ابغض علياً ، فاصبح (علي) وقد اغتسل ، فقلت لخالد الا ترى الى هذا ؟! فلما قدمنا على النبي ذكرت ذلك له فقال : « يا بريدة

---

(١) تاريخ الطبري ، ج ٣ ، ص ١٤٩ ، وكذلك ذكر القصة ابن هشام في سيرته .

تبغض علياً » فقلت : نعم فقال : « لا تبغضه فان له في الخمس اكثر من ذلك » .

وقال الإمام احمد : حدثنا يحي بن سعيد حدثنا عبد الجليل قال : انتهيت الى حلقة فيها ابو مجاز وابنا بريدة ، فقال عبد الله بن بريدة : حدثني ابو بريدة قال : ابغضت علياً بغضاً لم ابغضه احدا قط ، واحببت رجلاً من قريش لم احبه الا على بغضه علياً ، قال : فبعث ذلك الرجل على خيل ، فصحبته ، ما اصحبه الا على بغضه علياً . فاصبنا سبياً ، فكتب الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابعث الينا من يخمسه . . . فبعث الينا علياً ، وفي السبي وصيفة من افضل السبي ، فخمس علي وقسم ، فخرج ورأسه يقطر . . . فقلنا : يا ابا الحسن ما هذا فقال : ألم تروا الى الوصيفة التي كانت في السبي ، فاني قسمت وخمست ، فصارت في الخمس ، ثم صارت في اهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثم صارت في آل علي ، ووقعت بها .

قال ـ بريدة ـ فكتب الرجل الى نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقلت : أبعثني ، فبعثني مصدقاً . . . فجعلت اقرأ الكتاب واقول : صدق . فامسك يدي والكتاب فقال : « اتبغض علياً » قلت : نعم ، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « فلا تبغضه ، وان كنت تحبه فازدد له حباً ، فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي ـ وفي رواية آل محمد ـ في الخمس افضل من وصيفة » .

قال بريدة : فما كان من الناس احد بعد قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) احب الي من علي ويروي ابن كثير ايضاً عن ابن شاس الاسلمي وكان من اصحاب الحديبية ، انه قال : كنت مع علي بن ابي

طالب في خيله التي بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى اليمن ،فجفاني علي بعض الجفاء ، فوجدت في نفسي عليه . فلما قدمت المدينة اشتكيته في مجالس المدينة ، وعند من لقيته .فاقبلت يوما ورسول الله جالس في المسجد ، فلما رآني انظر الى عينيه نظر الي حتى جلست اليه ، فلما جلست اليه قال : « انه والله يا عمرو بن شاس لقد آذيتني » فقلت: انا لله وانا اليه راجعون . . . اعوذ بالله والاسلام ان اوذي رسول الله .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « من آذى علياً فقد آذاني »[1] .

اقول : ذكر اكثر المؤلفين في السيرة النبوية خبر الجارية التي اصطفاها علي بن ابي طالب لنفسه وما كان من امر بريدة واخباره النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك . وقد ذكرنا هذه القصة في موضع سابق من هذا الكتاب عند قدوم عمرو بن معديكرب الزبيدي . . . وان عمر بن الخطاب هو الذي شجع بريدة على ايصال الخبر للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعله يغضب من ذلك ويتغير على علي بن ابي طالب .

وعلى كل حال لم يختلف موقف خالد بن الوليد عن موقف عمر بن الخطاب حيث اتحدا في الهدف . . . وهو العمل على استفزاز الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فتأخذه العاطفة على ابنته فاطمة (عليها السلام) التي كان يحبها حباً عظيماً والتي هي زوج علي (عليه السلام) .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ج ٥ ص ١٠٤.

حجة الوداع

حج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة عشر من مُهاجره قال ابن سعد في طبقاته : وهي التي يسميها الناس ، حجة الوداع ، وكان المسلمون يسمونها حجة الإسلام .

وقيل انما سميت حجة الوداع لأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يحج بعدها ابداً .

وجاء في كتاب المغازي للواقدي انه : قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، فاقام يضحي بالمدينة كل عام ، ولم يحج حتى كان في ذي القعدة سنة عشر من مهاجره ، فاجمع الخروج ، وآذن الناس بالحج . وقدم المدينة بشر كثير ، كلهم يريد أن يأتم برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويعمل بعمله .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد اعتمر ثلاث عمر ، أولها عمرة الحديبية ، نحر بالحديبية وحلق في ذي القعدة سنة ست .

ثم عمرة القضية ـ القضاء ـ سنة سبع في ذي القعدة ، واهدى ستين بدنة ، ونحر عند المروى وحلق .

واعتمر عمرة الجعرانة ، في ذي القعدة سنة ثمان .

وعن الحارث بن الفضيل ،قال : سألت سعيد بن المسيب: كم حج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من لدن نُبيء الى ان توفي ؟ قال : حجة واحدة من المدينة . قال الحارث : فسألت ابا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ،قال : حج حجة بمكة قبل الهجرة ، وبعد النبوة، وحجته من المدينة .

وفي تاريخ ابن الاثير عن جابر انه قال : حج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حجتين ، حجة قبل ان يهاجر ، وحجة بعدما هاجر معها عمرة .

وفي السيرة الحلبية : خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يريد الحج واعلم الناس بذلك ، ولم يحج منذ هاجر الى المدينة، غير هذه الحجة ، واما بعد النبوة وقبل الهجرة فحج ثلاث حجات ، وقيل : حجتين ، وهما اللتان بايع فيهما الانصار عند العقبة .

وفي كلام ابن الاثير : كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يحج كل سنة قبل ان يهاجر ، وفي كلام ابن الجوزي ، حج (صلى الله عليه وآله وسلم)قبل النبوة حججا لا يعلم عددها ، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم)قبل النبوة يقف بعرفات ، ويفيض منها الى مزدلفة ، مخالفاً لقريش ، توفيقاً له من الله سبحانه فانهم كانوا لا يخرجون من الحرم ، وقالوا : لا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم ، فيستخف العرب بحرمكم . فتركوا الوقوف والافاضة الى مزدلفة ، ويرون ذلك لسائر العرب . وكان فُرِضَ الحج بالمدينة .

وفي السيرة الحلبية : انه عند خروج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للحج اصاب الناس بالمدينة جدري ـ او حصبة ، منعت كثيراً من الناس من الحج معه (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها الا الله تعالى ،قيل كانوا اربعين الفاً ، وقيل كانوا سبعين الفاً ، وقيل كانوا تسعين الفا ، وقيل كانوا مائة واربعة عشر الفاً ، وقيل وعشرين الفا ، وقيل كانوا اكثر من ذلك . هذا عدا من حج معه من اهل مكة واليمن .

وكما سميت هذه الحجة حجة الوداع . . . وحجة الإسلام . . . كذلك سميت حجة البلاغ لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بلغ فيها احكام الاسلام وما يتعلق بالحج وغيره .



صفة خروج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة الى مكة وكيفية مسيره

تقدم الكلام على ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما خرج من المدينة قاصدا مكة يريد حج بيت الله الحرام ، كان معه جمع غفير من المسلمين الذين اتوا من كل حدب وصوب . . . من البلاد التي انعم الله عليها بنعمة الإسلام ، حيث ان شبه الجزيرة العربية قد استنارت بالإسلام ، بكلمة لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله .

فما ان طرق سمعهم اذن رسول الله بالحج للناس ، وانه خارج بنفسه لاداء هذه الفريضة . . . توالت جموعهم للقاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلهم شوق ليأتموا به ، ويحجوا بحجه ، لتكون حجتهم حجة صحيحة .

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد « ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج في حجة الوداع ، من المدينة مغتسلا ، متدهناً ، مترجلاً ، متجردا في ثوبين صحاريين ، ازار ورداء . وذلك يوم السبت لخمس ليال بقين من ذي القعدة.

فصلى الظهر بذي الحليفة ركعتين ، واخرج معه نساءه كلهن في الهوادج واشعر هديه وقلده ، ثم ركب ناقته فلما استوى عليها بالبيداء احرم من يومه ذلك ، وكان على هديه ناجيه بن جندب الاسلمي .

قال ابن هشام في سيرته : استعمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على المدينة عند خروجه الى مكة حاجا ابا دجانة الساعدي ، ويقال : سباع ابن عرفطة الغفاري .

وروى الشيخ المفيد في ارشاده أنه لما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) التوجه الى الحج واداء ما فرض الله تعالى عليه فيه ، فأذن في الناس به ، وبلغ دعوته الى اقاصي بلاد اهل الاسلام . فتجهز الناس للخروج معه ، وحضر المدينة من ضواحيها ومن حولها خلق كثير ، وتأهبوا وتهيأوا للخروج معه ، فخرج (صلى الله عليه وآله وسلم)بهم لخمس بقين من ذي القعدة ، وكاتب امير المؤمنين علياً (عليه السلام) بالتوجه الى الحج من اليمن ولم يذكر له نوع الحج الذي قد عزم عليه .

وخرج قارنا للحج بسياق الهدي ، واحرم من ذي الحليفة، واحرم الناس معه ، ولبىّ من عند الميل الذي بالبيداء فاتصل مابين الحرمين بالتلبية حتى انتهى الى كراع الغميم . وكان الناس معه ركبانا ومشاة فشق على المشاة المسير ، واجهدهم السير والتعب به ، فشكوا ذلك الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واستحملوه ، فاعلمهم انه لا يجد لهم ظهرا ، وامرهم ان يشدوا على اوساطهم ، ويخلطوا الرمل بالنسل[1] . ففعلوا ذلك واستراحوا اليه .

وخرج علي (عليه السلام) بمن معه من العسكر الذي كان صحبه

---

(١) وفي رواية الواقدي : انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : استعينوا بالنسلان ، ففعلوه فوجدوا لذلك راحة ـ والنسلان ـ الاسراع في المشي .

الى اليمن ، ومعه الحلل التي كان اخذها من أهل نجران .

فلما قارب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مكة من طريق المدينة ،قاربها علي (عليه السلام) من طريق اليمن ، وتقدم الجيش للقاء النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) وخلف عليهم رجلاً منهم فادرك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد اشرف على مكة ، فسلم عليه واخبره بما صنع ، وبقبض ما قبض ، وانه سارع للقائه امام الجيش .

فسُر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك ، وابتهج بلقائه ، وقال له : « بم اهللت يا علي » ؟ فقال له : يا رسول الله انك لم تكتب لي اهلالك ، ولا عرفته ، فعقدت نيتي بنيتك ، فقلت : اللهم اهلالا كاهلال نبيك . . . وسقت معي من البدن اربعاً وثلاثين بدنه .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « الله اكبر قد سقت انا ستا وستين . . . وانت شريكي في حجي ، ومناسكي ، وهدي ، فاقم على احرامك » .

وفي مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي أنه قدم علي من اليمن على رسول الله وهو بمكة ، فدخل على فاطمة وهي قد احلت ، فوجد عليها ثيابا مصبوغة فقال : ما هذا يا فاطمة ؟ فقالت : امرنا بهذا رسول الله . فخرج الى رسول الله مستفتياً . . . فقال : يا رسول الله اني رأيت فاطمة قد احلت ، وعليها ثياب مصبوغة !فقال رسول الله : انا امرت الناس بذلك ، وانت يا علي بم اهللت ؟ فقال : يا رسول الله اهلالا كاهلال النبي ، فقال رسول الله : كن على احرامك مثلي ، وانت شريكي في هدي . . . الخ .

وفي السيرة الحلبية : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لعلي (عليه السلام) : « انطلق وطف بالبيت ، وحل كما حل اصحابك » قال : يا رسول الله اهللت كما اهللت . . . فقال له : ارجع فاحل كما احل اصحابك . . . قال : يا رسول الله اني قلت حين احرمت : اللهم اني اهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد . فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « هل معك من هدي » ؟ قال : لا . . .

فاشركه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هديه ، وثبت علي على احرامه . . .

وهذا صريح في ان احرامه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان بالحج . ويمكن الجمع بين رواية : ان علياً قدم من اليمن ، ومعه هدي ، وبين رواية . . . لم يكن معه هدي ، بان الهدي تأخر مجيئه بعده . لانه رضوان الله عليه تعجل الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واستخلف على الجيش رجلاً من اصحابه .

ويؤيد ذلك قول بعضهم : كان الهدي الذي قدم به علي (عليه السلام) من اليمن ، فالذي اتى به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثة وستين بدنة ، والذي قدم به من اليمن لعلي كان سبعة وثلاثين بدنة ـ تمام المائة ـ .

ولا يخالف ذلك اشراكه (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ لعلي في الهدي لأنه يجوز ان يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فعل ذلك لاحتمال تلف ذلك الهدي . . . وعدم مجيئه » .

وفي السيرة الحلبية ايضاً : انه خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للحج من المدينة يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة ،

وقيل : لخمس بقين منه ، وذلك سنة عشر نهاراً ، وكان معه نساؤه في الهوادج ، وكن تسعة وابنته فاطمة (عليها السلام) .

وكان جمل عائشة (ام المؤمنين) (رضي الله عنها) سريع المشي ، مع خفة حمل عائشة . . وكان جمل صفية بطيء المشي ، مع ثقل حملها . فصار يتأخر الركب بسبب ذلك . فامر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يجعل حمل صفية على جمل عائشة ، وان يجعل حمل عائشة على جمل صفية .

فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)لغائشة فقال لها : يا ام عبد الله حملك خفيف ، وجملك سريع المشي ، وحمل صفية ثقيل وجملها بطيء . فابطأ ذلك بالركب ، فنقلنا حملك على جملها وحملها على جملك ليسير الركب .

فقالت له : انك تزعم انك رسول الله . . . فقال لها : أفي شك اني رسول الله انت يا ام عبد الله ؟ قالت : فما لك لا تعدل . . . !

قالت : فكان ابو بكر فيه حدة ، فلطمني على وجهي . . . فلامه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال له ابو بكر : اماسمعت ما قالت :

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : دعها فان المرأة الغيراء لا تعرف أعلى الوادي من اسفله .

وروى الحلبي ايضاً : « لما نزلوا بمحل يقال له « العرج » فقد البعير الذي عليه زاملة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وزاملة ابي بكر - اي زادهما - وكان ذلك البعير مع غلام لأبي بكر فقال ابو بكر للغلام :

اين بعيرك ؟ قال : ظللته البارحة . فقال ابو بكر وقد اعترته حدة : بعير واحد تضله ؟! واخذ يضربه بالسوط ، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول :

« انظروا الى هذا المحرم ماذا يصنع »[1] !.

وروى الشيخ المفيد في ارشاده أنه : كان قد خرج مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كثير من المسلمين بغير سياق هدي ، فانزل الله تعالى : ﴿ **واتموا الحج والعمرة لله . . . الآية** ﴾.

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة . وشبك احدى اصابع يديه على الاخرى . ثم قال عليه الصلاة والسلام : لو استقبلت من امري ما استدبرته ما سقت الهدي .

ثم امر مناديه ان ينادي : من لم يسق منكم هديا فليحل ، وليجعلها عمرة ، ومن ساق منكم هديا ، فليقم على احرامه . . .

فاطاع في ذلك بعض الناس ، وخالف بعض ، وجرت خطوب بينهم فيه ، وقال منهم قائلون : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اشعث اغبر . . . ونلبس الثياب ، ونقرب النساء وندهن !.

وقال بعضهم : اما تستحون ، تخرجون ورؤوسكم تقطر من الغسل ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على احرامه !.

فانكر رسول الله على من خالف في ذلك ، وقال : لولا اني سقت

---

(١) السيرة الحلبية: ج ٢، ص ٢٩٣.

الهدي لاحللت وجعلت عمرة ، فمن لم يسق هديا فليحل ، فرجع قوم واقام آخرون على الخلاف .

وكان فيمن اقام على الخلاف للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعض اكابر الصحابة ،فاستدعاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال له : ما لي اراك محرما !.. اسقت هديا ؟ قال : لم اسق هديا .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : فلم لا تحل وقد امرت من لم يسق الهدي بالاحلال ؟ فقال: والله يا رسول الله لا احللت وانت محرم . . .

فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : انك لن تؤمن بها حتى تموت .

فلذلك اقام على انكار متعة الحج ، حتى رقى المنبر في امارته ، فنهى عنها نهياً مجدداً . . . وتوعد عليها بالعقاب .



اقسام الحج

وهنا لا بد من بيان اقسام الحج ولو بايجاز واختصار تتميماً للفائدة .

الحج على ثلاثة اقسام : افراد ـ وقران وتمتع .

اما التمتع : فهو فرض من نأى عن مكة وكان بعيدا عنها على ما هو المعروف ، وتكون عمرته قبل حجه .

واما القران ـ والافراد : فهما فرض اهل مكة ومن كان قريباً منها ، ويشتركان في كون الحج قبل العمرة ، ويفترقان بالاحرام .

والمفرد يأتي بالحج اولاً ، ثم بعمرة مفردة ، ويعقد احرامه بالتلبية ، وسمي افرادا ، لانفراده عن العمرة ، وعدم ارتباطه بها فهما نسكان مستقلان .

والقارن يأتي بالحج أولا ، ثم بالعمرة ، وهما نسكان مستقلان ، إلا انه يسوق الهدي معه عند الاحرام ، ويعقد احرامه عند سياق الهدي ، وسمي قرانا لاقترانه بسياق الهدي . والاحرام في هذا القسم كما يكون بالتلبية يكون بالاشعار أو التقليد . وتفصيل ذلك موكول إلى كتب الفقه المفصلة .

والمعنى ان القران ان يقرن بين الحج والعمرة بنية واحدة فلا يحل الا بتمام افعالهما مع سوق الهدي .

والمتمع يأتي اولا بعمرة التمتع ، ثم يأتي بالحج ، ويعقد احرامه

بالتلبية ، ويكون النسك مركبا من العمرة والحج ، وهذا معنى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة . . وشبك اصابعه بعضها ببعض .

وسُمي تمتعا لأنه بعد احلاله من احرام العمرة يتمتع - اي ينتفع ويسوغ له - ما كان محرما عليه حال الاحرام .

والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين احرم في حجة الوداع ، احرم بحج القران ، لأنه ساق الهدي ، وكذلك علي بن ابي طالب (عليه السلام) احرم كاحرام رسول الله فكان حجه حج قران . واكثر الذين كانوا مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ؛ لم يسوقوا الهدي ، واحرموا بالحج ، فكان حجهم حج افراد .

ولم يكن حج التمتع مفروضاً يومئذ ، بل كان الحج قسمين فقط : افراد - وقران - فلما نزل فرض حج التمتع لمن لم يسق الهدي بقوله تعالى : ﴿ **واتموا الحج والعمرة لله . . . الآية** ﴾ الى قوله : ﴿ **فمن تمتع بالعمرة الى الحج** ﴾ الآية . . . امر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ساق الهدي ان يبقى على احرامه كما اسلفنا ويجعل حجه حج قران ، ومن لم يسق الهدي ان يجعلها عمرة تمتع ، فيحل من احرامه ، ثم يحرم للحج من مكة يوم التروية ، الثامن ذي الحجة ، لأن حجه صار حج تمتع .

وصار ذلك فرض البعيدين عن مكة مسافة بعيدة .

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ان العمرة دخلت بالحج ، وعندما سأله سراقة بن مالك : فقال : يا رسول الله متعتنا هذه

لعامنا هذا أم للابد؟ فشبك (صلى الله عليه وآله وسلم) اصابعه فقال: بل للابد دخلت العمرة في الحج هكذا الى يوم القيامة[1].

وذكر الحلبي في سيرته قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لو استقبلت من امري ما استدبرت لم اسق الهدي وجعلتها عمرة» اي لو كنت اعلم حين احرمت ما علمته اليوم من ان من ساق الهدي ليس له ان يحج حج تمتع، بل حجه حج قران، ما سقت الهدي، بل كنت بغير سياق الهدي، ليكون حجي حج تمتع، فان حج التمتع افضل من حج القران.

(١) راجع السيرة الحلبية، ج ٣ ص ٢٩٧.



دخول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى مكة لاداء فريضة الحج

تابع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيره بعد ان احرم من ذي الحليفة يؤم اصحابه في الصلاة في مساجد له قد بناها الناس، وعرفوا مواضعها ، وكان يوم الاثنين بـ بمرلظهران ، فغربت له الشمس، بسرف. ثم اصبح وتوجه نحو مكة . ودخلها في اليوم الخامس .

ولما اراد (صلى الله عليه وآله وسلم) دخول مكة اغتسل، ودخلها نهارا من اعلاها ، من كداء، وضرب خيامه بالابطح ، وضُربت الخيام هناك لمائة الف أو يزيدون جاؤا اخوة متعارفين ، تجمع بينهم المودة الصادقة ، والاخوة الاسلامية ، وكانوا الى سنوات قليلة قبل ذلك اعداء متناحرين .

مائة الف أويزيدون، اقبلوا الى مكة من كل فج عميق . . . من المدن والبوادي . . من الجبال والصحاري . . .من كل بقعة من شبه الجزيرة العربية التي استنارت كلها بنور الاسلام، ونور النبي العظيم .

هذه الألوف المؤلفة قد اتت لتؤدي مناسك الحج مع النبي الكريم هدفهم واحد هو الايمان بالله واتباع الرسول، واداء فريضة الحج ، قد ربط الاسلام بينهم وجعلهم جميعا كالبنيان المرصوص. .

توجه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) امامهم بكل قلبه الى ربه ونادى ملبيا . . . والجماهير الغفيرة من المسلمين تردد في خشية

وخضــوع : لبيك اللهم لبيـك.. . لبيك لا شـريـك لـك لبيـك . . ان الحمد والنعمة والشكر لك لبيك . . .

وتجـاوبت الاودية ، والجبـال ، والصحاري لهـذا النداء تلبي كلهـا وتنادي صارخة متضرعة لله سبحانه طالبة الرحمة والغفران .

ومضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمـوكبه المهيب حتى انتهى الى باب بني شيبة ـ وهو المعروف بباب السلام ـ فلما رأى البيت رفع يديه فقال : « اللهم زد هذا البيت تشريفاً ، وتعظيماً ، وتكريماً ، ومهابة ، وزد من عظمه ممن حجه واعتمره تشريفاً ، وتكريماً ، ومهابة ، وتعظيماً وبراً .

والمعروف عند المؤرخين واصحاب السير أن رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) كان دخلوه الى مكة في اليوم الخامس من ذي الحجة في السنة العاشرة من كداء وضرب خيامه بالابطح .

ثم دخل المسجد وطاف بالبيت سبعة اشواط، ثم صـلى خلف مقام إبراهيم ركعتين ، ثم سعى بـين الصفا والمـروة من فوره ذلـك ، ثم عاد الى منزله . والمسلمون يقتدون به يحدوهم الايمان ، وتملأ قلوبهم الغبـطة الصادقة بوصولهم الى بيت الله الحرام يؤدون عنده فـريضة الحـج الاكبر مع الرسول الاعظم .

وفي البـداية والنهـاية عن جـابر انـه قال : بعـد طـواف رسـول الله (صل الله عليه وآله وسلم) بـالبيت سبعا وصـلاته عنـد المقام ركعتـين رجـع الى الركن فـاستلمه ثم خـرج من الباب الى الصفـا، فلما دنـا من الصفا قرأ : (ان الصفا والمروة من شعائر الله)، وكبر، وقال: « لا اله

الا الله وحده لا شريك له ، لـه الملك ، وله الحمـد وهو عـلى كل شيء قـديـر . لا الـه الا الله وحـده ، انجـز وعـده ، وصـدق وعـده وهــزم الاحزاب وحده . . ثم دعا بين ذلك ، فقال مثل هذا ثلاث مرات .

ثم نـزل حتى اذا انصبت قدمـاه في الـوادي رمـل[1]حتى اذا صعـد مشى حتى اتى المـروة فـرقى عليهـا ، حتى نـظر الى البيت ، فـوحـد الله وكبره وفعل كما فعل على الصفا والمسلمون بـين يديـه ومن ورائه . حتى اتم السعي . ومضى الى بيته وهو على احرامه .

وذكـر اليعقوبي في تـاريخه ان النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) دخـل الى مكة نهارا من كـداء- وهي عقبة المـدنيـين - عـلى راحلتـه حتى انتهى الى البيت ، فلما رأى البيت رفـع يديـه فوق زمـام نـاقتـه ، وبـدأ بالطواف قبل الصلاة ، وخطب قبل التروية بيـوم ، بعد الـظهر ، ويـوم عرفة حين زالت الشمس على راحلته قبل الصلاة من الغد يوم منى .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) في خـطبته : نـظر الله وجه عبـد سمع مقالتي فوعاها ، وحفظهـا ثم بلغها من لم يسمعهـا ، فرب حـامل فقه غير فقيـه ، ورب حامـل فقه الى من هـو افقه منـه، ثلاث لا يغـل عليهن قلب امرىء مسلم[2]اخلاص العمل لله، والنصيحة لأئمة الحق،

---

(١) رمـل الرجـل : اذا اسرع في مشيتـه وهـز منكبيـه ، والـطائف بـالبيت يـرمـل اقتـداء بالنبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) وباصحـابه . لسـان العرب لابن منظور .

(٢) الاغـلال : الخيانـة ، وفي الحديث انـه (صلى الله عليـه وآله وسلم) املـى في صلح الحـديبية : ان لا اغـلال ولا اسلال - الاغـلال ، الخيانـة - والاسلال ، السرقة .

واللزوم لجماعة المؤمنين ، فان دعوتهم محيطة من ورائهم .

وفي طبقات ابن سعد: فلما كان قبل التروية بيوم ، خطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة بعد الظهر، ثم خرج يوم التروية الى منى، فبات بها ، ثم غدا الى عرفات فوقف بها ، وقال: « كل عرفة موقف الا بطن عرنة ».

فوقف على راحلته يدعو ، فلما غربت الشمس دفع ، فجعل يسير العنق[1]، فاذا وجد فجوة نص[2]حتى جاء المزدلفة ، فصلى المغرب والعشاء باذان وإقامتين، ثم بات بها .

فلما كان في السحر اذن لاهل الضعف من الذرية والنساء ، أن يأتوا منى قبل حطمة الناس.

فلما برق الفجر، صلى الصبح ثم ركب راحلته فوقف على قزح - جبل - وقال : « كل المزدلفة موقف الا بطن محسر ».

والمروي انه (صلى الله عليه وآله وسلم) افاض بعد طلوع الشمس الى منى فرمى جمرة العقبة .

ثم نحر الهدي، وحلق رأسه واخذ من شاربه، وعارضيه، وقلم اظفاره وامر بشعره واظفاره ان تدفن .

وفي رواية اخرى لابن سعد: اطاف به اصحابه ما يريدون أن تقع شعرة الا في يد رجل.

---

(١) العنق : ضرب من سير الدابة والابل ، الانبساط في المشي .
(٢) النص : السير الشديد ، والحث - لسان العرب لابن منظور .

قال صاحب السيرة الحلبية : ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نحر من البدن ثلاثاً وستين بيده الشريفة ، وهي التي جاء بها من المدينة ، وامر عليا فنحر الباقي ، وهو تمام المائة ـ ولعله الذي جاء به من اليمن ، ثم قال: وجاء عن ابن عباس انه (صلى الله عليه وآله وسلم) اهدى في حجة الوداع مائة بدنه نحر منها ثلاثين، وامر عليا فنحر الباقي، وقال له: اقسم لحومها وجلودها ، وجلالها بين الناس، ولا تعط جزاراً منها شيئاً، وخذ لنا من كل بعير جذبة ـ قطعة ـ من لحم واجعلها في قدر واحدة، حتى نأكل من لحمها ، ونحسوا من مرقها ، ففعل[1].

وفي البداية والنهاية لابن كثير: من حديث مجاهد عن ابن ابي ليلى عن علي (عليه السلام) : قال: امرني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان اقوم على بُدنه ، وان اتصدق بلحومها ، وجلودها ، واجلتها ، وان لا اعطي الجزار منها شيئاً. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « نحن نعطيه من عندنا ».

وفي البداية والنهاية ايضاً عن عرفة بن حارث الكندي أنه قال: شهدت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأُتي بالبدن . . فقال: « ادع لي ابا حسن » فدعي له علي. فقال له : « خذ باسفل الحربة « واخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باعلاها ، ثم طعنا بها البدن، فلما فرغ (صلى الله عليه وآله وسلم) ركب بغلته واردف عليا[2].

---

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣٠٣ .

(٢) البداية والنهاية : ج ٥ ص ١٨٨ .



خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع

ذكر اليعقوبي في تاريخه ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدما نحر وامر عليا أن يأخذ من كل ناقة بضعة ، فجمعت في قدر واحدة وطبخت بالماء والملح ، ثم اكل هو وعلي (عليهما السلام) وحسا من المرق ورمى جمرة العقبة على ناقته ، ووقف عند زمزم ، أمر ربيعة ابن امية بن خلف، فوقف تحت صدر راحلته وكان صبيا، فقال : يا ربيعة قل : يا ايها الناس ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « لعلكم لا تلقونني على مثل حالي هذه، وعليكم هذا . . . هل تدرون اي بلد هذا ؟ . . . وهل تدرون أي شهر هذا ؟ . . وهل تدرون أي يوم هذا ؟ . . .

فقال الناس: نعم . . هذا البلد الحرام . . والشهر الحرام . . واليوم الحرام . قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « فان الله حرم عليكم دماءكم ، واموالكم ، كحرمة بلدكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وكحرمة يومكم هذا ، الا هل بلغت . . ؟ » قالوا : نعم .

قال : « اللهم اشهد . . واتقوا الله، ولا تبخسوا الناس اشياءهم ، ولا تعثوا في الارض مفسدين ، فمن كانت عنده امانة فليؤدها . » .

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « الناس في الاسلام سواء،

الناس طف الصاع[1] لآدم وحواء، لا فضل لعربي على عجمي، ولا عجمي على عربي، الا بتقوى الله، ألا هل بلغت ؟ » قالوا : نعم . قال : « اللهم اشهد» .

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا تأتوني بانسابكم ، واتوني باعمالكم ، فاقول للناس هكذا، ولكم هكذا، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد.

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « كل دم كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي ، واول دم اضعه دم آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب » وكان آدم بن ربيعة مسترضعا في هذيل، وقتلته بنو سعد بن بكر - وقيل في بني ليث، فقتلته هذيل - قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ألا هل بلغت ؟ » قالوا : نعم . قال : « اللهم اشهد » .

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « وكل ربا كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي ، واول ربا اضعه ، ربا العباس بن عبد المطلب، ألا هل بلغت ؟ » .

قالوا : نعم . قال : « اللهمَّ اشهد » .

ثم قال (صلى الله عليه وآله) : « يا ايها الناس، ﴿ **انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله** ﴾[2].

---

(١) طف الصاع : اي قريب بعضكم من بعض ، يقال : هذا طف المكيال وطفافه اي ما قرب من ملئه ، وقيل هو ما علا فوق رأسه .

(٢) سورة التوبة : آية - ٣٦ .

ألا وان الـزمـان قـد استـدار كهيئـة يـوم خلق الله السمـاوات والارض[1]و ﴿ **ان عـدة الشهور عنـد الله اثنا عشـر شهرا في كتـاب الله يـوم خلق السماوات والارض منهـا اربعة حـرم** ﴾[2]رجب الـذي بـين جمـادى وشعبان يـدعونـه رجب مضر[3]وثـلاثة متـوالية ذو القعـدة، وذو الحجة ، والمحرم . الا هل بلغت ؟ قالوا : نعم، قال : اللهمَّ اشهد .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اوصيكـم بـالنساء خيـرا فانمـا هن عوان[4]عندكم لا يملكن لانفسهن شيئاً، وانما اخذتموهن بامانة الله، واستحللتم فروجهن بكتاب الله، ولكم عليهن حق، ولهن عليكم حق، كسوتهن ورزقهن بالمعروف، ولكم عليهن ان لا يوطئن فـراشكم احدا، ولا يـأذن في بيـوتكم الا بعلمكم واذنكم، فـان فعلن شيئـاً من ذلـك فـاهجروهن في المضـاجع ، واضـربـوهن ضـربـا غـير مبرح، ألا هـل بلغت ؟ » .

---

(١) جاء في السيرة الحلبية انه قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : في هذه الحجة : « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض » فان هذه الحجة كانت في السنة التي عاد فيها الحج الى وقته . . . لاخراج الكفار الحج عن وقته ، ولأن اهل الجاهلية كانوا يؤخرون الحج في كل عام احد عشر يوماً حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته . ولذلك قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان الزمان قد استدار . . . الخ .

(٢) سورة التوبة : آية ـ ٣٥ .

(٣) في الحديث (رجب مضر الذي بين جمادى وشعبان) اضـاف رجباً الى مضـر لأنهم كانوا يعظمونه خلاف غيرهم ، فكأنهم اختصوا به .

(٤) عوان : جمع عانية ، وهي الاسيرة .

قالوا : نعم .

قال: « اللهمَّ اشهد ».

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « فاوصيكم بمن ملكت ايمانكم فاطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون ، وان اذنبوا فكلوا عقوباتهم الى شراركم . ألا هل بلغت ؟ » قالوا : نعم . قال : « اللهمَّ اشهد ».

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ان المسلم اخو المسلم ، لا يغشه ، ولا يخونه ، ولا يغتابه ، ولا يحل له دمه ، ولا شيء من ماله الا بطيب نفسه ، ألا هل بلغت ؟ » قالوا : نعم . قال : « اللهمَّ اشهد ».

ثم قال (صلى الله عليه وآله : « إن الشيطان قد يئس ان يعبد بعد اليوم ، ولكن يطاع فيما سوى ذلك من اعمالكم التي تحتقرون ، فقد رضي به . الا هل بلغت ؟ ». قالوا : نعم . « قال : اللهمَّ اشهد ».

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) « اعدى الاعداء على الله قاتل غير قاتله ، وضارب غير ضاربه ، ومن كفر نعمة مواليه ، فقد كفر بما انزل الله على محمد . ومن انتمى الى غير ابيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين . ألا هل بلغت ؟ ».

قالوا : نعم . قال : « اللهمَّ اشهد ».

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ألا اني انما أُمرت ان

اقاتل النـاس حتى يقولـوا : لا إله الا الله وأني رسـول الله ، واذا قالـوها عصموا مني دماءهم ، وامـوالهم إلا بحق ، وحسابهم عـلى الله ، ألا هل بلغت ؟ » قالوا : نعم . قال : « اللهمَّ اشهد » .

ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ولا تـرجعوا بعـدي كفارا مضلين ، يملك بعضكم رقـاب بعض . . اني قـد خلفت فيكم مـا ان تمسكتم بـه لن تضلوا . . كتـاب الله ، وعتـرتي اهـل بيتي . ألا هـل بلغت ؟ » قالوا : نعم . قال : « اللهمَّ اشهد » .

ثم قـال (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) انكم مسؤ ولـون فليبلغ الشاهد منكم الغائب .[1].

ويـروي المؤ رخون واصحـاب السـير أنـه لمـا أتم النبي (صـلى الله عليـه وآله وسلم) واصحـابه منـاسكهم في منى ، خرجـوا منها ، فـنـزلوا المحصب[2] وباتوا ليلتهم فيه ، وعند السحـر امر النبي (صـلى الله عليه وآله وسلم) بالرحيل فركب هو واصحـابه ، ودخـل مكة فـطاف وخرج منها واتجه الى المدينة .

وقال اليعقوبي في تاريخه : لم ينزل رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) ، مكـة وقيل لـه في ذلك: لـو نزلت يـا رسول الله بعض منازلك . .

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ج٢ ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٢) المحصب مكان كانت قريش قد تعاقدت مع كنانة على بني هـاشم وبني المـطلب فلم يبـرم الله لقـريش امـرا وردهم خـائبـين ، واظهـر دينـه ، ونصـر نبيـه ، ورد الله الذين كفـروا بغيظهم لم ينـالوا شيئـاً . راجع البـداية والنهـايـة لابن كثير .

فقـال (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : « مـا كنت لأنـزل بلداً خرجت منه » ولما كان يوم النفر دخل البيت فودع .

وخرج (صلى الله عليه وآله وسلم) ليلا منصرفا الى المدينة .

وذكـر الواقـدي في مغازيـه : انه كـان رسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) اذا قفل من حـج ، أو عمرة ، او غـزوة ، فوافى عـلى ثنية او فدفد[1] كبر ثلاثـا ثم قال : « لا إلـه إلا الله وحده، لا شـريك لـه ، له الملك ، وله الحمد، يحيى ويميت ، وهو حي لا يمـوت ، بيده الخـير، وهو على كل شيء قدير . . آيبون . . تائبون ساجدون . . عـابدون . . لـربنا حـامدون . صـدق الله وعده ، ونصـر عبـده ، وهـزم الاحـزاب وحده .

اللهمَّ انا نعوذ بك من وعثاء السفـر، وكآبـة المنقلب، وسوء المنـظر في الاهل والمال .

اللهمَّ بلغنا بلاغا صالحا نبلغ الى خير مغفرة منك ورضوان »[2] .

---

(١) الفدفد : الموضع الذي فيه غلظ وارتفاع .

(٢) في الاصل : ورضوانا .

حديث غدير خم

بعد ان اتم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مناسكه، وبين للناس ما يحتاجون اليه من الاحكام الشرعية ، قفل راجعاً نحو المدينة . . . التي آوته ونصرته .

توجه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نحو المدينة يحيط به مائة الف او يزيدون . . من المسلمين الذين اتوا من كل حدب وصوب لتأدية فريضة الحج على احسن ما يتمنونه من نسك . . وعزة وكرامة برفقة الرسول الأعظم .

وما ان وصل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الى مكان قريب من الجحفة ـ بناحية رابغ ـ يقال له غدير خم . وقبل ان يتفرق الناس كل الى ناحية نزل عليه الوحي : **﴿ يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾**[1] .

روى الشيخ المفيد في ارشاده: انه لما قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نسكه قفل الى المدينة والمسلمون حتى انتهى الى الموضع المعروف بغدير خم ، وليس بموضع اذ ذاك يصلح للنزول لعدم

---

(١) سورة المائدة : آية ـ ٦٧ .

الماء فيه والمرعى . . . فنزل (صلى الله عليه وآله وسلم) في الموضع ونزل المسلمون معه .

وكان سبب نزوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذا المكان ، نزول القرآن عليه ، بنصبه امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) خليفة في الأمة من بعده ، وقد كان تقدم الوحي اليه في ذلك من غير توقيت له ، فاخره لحضور وقت يأمن فيه الاختلاف منهم عليه .

وعلم الله عز وجل انه ان تجاوز غدير خم انفصل عنه كثير من الناس الى بلدانهم ، واماكنهم ، وبواديهم ، فاراد الله سبحانه ان يجمعهم لسماع النص على امير المؤمنين علي (عليه السلام) ، وتأكيد الحجة عليهم فيه .

فانزل الله تعالى : ﴿ **يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك** ﴾ يعني في استخلاف علي (عليه السلام) والنص بالامامة عليه . وقوله : ﴿ **وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾ فاكد الغرض عليه بذلك ، وخوفه من تأخير الامر فيه ، وضمن له العصمة ومنع الناس منه .

فنزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) المكان الذي ذكرناه ـ غدير خم ـ لما وصفناه من الأمر له بذلك وشرحناه ، ونزل المسلمون حوله ، وكان يوما قايظا شديد الحر ، فامر (صلى الله عليه وآله وسلم) بدوحات هناك ، فقم ما تحتها ، وأمر بجمع الرحال في ذلك المكان ووضع بعضها فوق بعض ، ثم امر مناديه فنادى في الناس : « الصلاة جامعة » .

فاجتمعوا من رحالهم اليه ، وان اكثرهم ليلف رداءه على قدميه من شدة الرمضاء .

فلما اجتمعوا صعد (صلى الله عليه وآله) على تلك الرحال حتى صار في ذروتها ، ودعا امير المؤمنين عليا (عليه السلام) فرقى معه حتى قام عن يمينه ، ثم خطب الناس فحمد الله ، واثنى عليه . . ووعظ فابلغ في الموعظة ، ونعى الى الامة نفسه . وقال : « اني قد دعيت ويوشك ان اجيب ، وقد حان مني خفوق من بين اظهركم ، واني مخلف فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا . . كتاب الله ، وعترتي اهل بيتي . . فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض .

ثم نادى باعلى صوته : الست اولى بكم منكم بانفسكم ؟ قالوا : اللهمَّ بلى. فقال لهم : على النسق من غير فصل وقد اخذ بضبعي امير المؤمنين - علي - فرفعهما حتى بان بياض ابطيهما[1] فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهمَّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله .

ثم نزل (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان وقت الظهيرة فصلى ركعتين ، ثم زالت الشمس فاذن مؤذنه لصلاة الفرض فصلى بهم الظهر . وجلس (صلى الله عليه وآله وسلم) في خيمته ، وامر عليا (عليه السلام) ان يجلس في خيمة له بازائه . ثم امر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجا فوجا ، فيهنؤه بالمقام ، ويسلموا عليه بامرة المؤمنين ، ففعل الناس ذلك كلهم .

---

(١) لأن كلا منهما كان في ازار ورداء كما هو عادة العرب في ذلك العصر في كثير من حالاتهم لا سيما في حر الحجاز ، فلما اخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعضدي علي ورفعهما ليراه الناس جميعا ويعرفوه توكيداً للحجة ومبالغة في التبليغ ، انحسر الرداء عن ابطيهما وبان بياض ابطيهما من تحت الرداء - راجع اعيان الشيعة للسيد الامين .

ثم امـر ازواجه وسـائـر نسـاء المؤمنـين ممن معـه ان يـدخلن عليـه ويسلمن عليه بامرة المؤمنين . . ففعلن .

وكـان فيمن اطنب في تهنئته بـالمقام عمـر بن الخطاب ، واظهـر لـه المسرة وقال فيما قال : بخ بخ لك ياعلي . . ! ـأصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ! .

وجاء حسان بن ثابت الى رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) فقـال : يا رسـول الله أتأذن لي ان اقـول في هذا المقـام ما يـرضاه الله ؟ فقال له : قل يا حسـان على اسم الله . فـوقف على نشـز من الارض ، وتطاول المسلمون لسماع كلامه فانشأ يقول :

ينـاديهم يـوم الغـديـر نبيهم	بخم واسمـع بالـرسول منـاديـا
وقـال : فمن مولاكم ووليكم ؟	فقالوا : ولم يبدوا هناك التعـاميا
إلهـك مـولانـا وانـت ولينـا	ولن تجـدن منالـك اليوم عـاصيا
فقـال لـه : قم يـا عـلي فـانني	رضيتك من بعدي اماما وهـاديا
فمن كنت مـولاه فهـذا وليـه	فكونوا لـه انصار صـدق مواليـا
هـنـاك دعـا اللهـمَّ وال وليـه	وكن للذي عـادى عليا معـاديـا

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله : لا تزال يا حسـان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك .

وانما اشترط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الدعاء ـ لحسان ـ لعلمه (صلى الله عليـه وآله وسلم) بعـاقبة امـره في الخلاف، ولـو علم سلامته في مستقبل الاحوال لدعا له على الاطلاق، ومثل ذلك ما اشترط الله تعـالى في مـدح ازواج النبي ، ولم يمـدحهن بغـير اشتـراط ، لعلمـه

سبحانه ان منهن من تتغير بعد الحال عن الصلاح الذي تستحق عليه المدح والاكرام فقال: ﴿ يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن . . الآية ﴾ ولم يجعلن في ذلك حسب ما جعل اهل بيت النبي في محل الاكرام ، والمدحة ، حيث بذلوا قوتهم لليتيم والمسكين والاسير فانزل الله سبحانه في علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وقد آثروا على انفسهم مع الخصاصة التي كانت بهم فقال تعالى: **﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيرا*انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا*انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا*فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا*وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا ﴾**[1].

فقطع لهم سبحانه بالجزاء . . ولم يشترط لهم كما اشترط لغيرهم ، لعلمه عز وجل باختلاف الاحوال على ما بينا » انتهى .

وفي البداية والنهاية عن النسائي في سننه في سلسلة من الاسناد عن ابي الطفيل عن زيد ابن ارقم . قال : لما رجع رسول الله من حجة الوداع ونزل غدير خم ، امر بدوحات فقممن ، ثم قال : « كاني قد دعيت فاجبت ، اني قد تركت فيكم الثقلين . . كتاب الله وعترتي اهل بيتي . . فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض .

ثم قال : الله مولاي ، وانا ولي كل مؤمن ، ثم اخذ بيد علي فقال : من كنت مولاه فهذا وليه ، اللهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه » .

---

(١) سورة الدهر : آية ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ .

فقلت لـزيـد : سمعتـه من رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) ؟ فقـال: ما كـان في الدوحـات احـد الا رآه بعينيـه ، وسمعـه باذنيه .

وفي البداية والنهاية ايضا : عن البراء بن عازب ، قال : اقبلنـا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجة الوداع التي حج، فنزل في الطريق، فامر الصلاة جامعة ، فـاخذ بيـد علي فقـال: « الست اولى بالمؤمنين من انفسهـم ؟ قالوا : بـلى قال : الست اولى بكـل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى. قال : فهذا ولي من انا مولاه ، اللهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه . » .

وعن البراء ايضا : قال : كنا مع رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسـلم) في حـجـة الـوداع ، فـلما اتيـنـا عـلى غـديـر خـم ، كشـح لـرسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) تحت شجـرتـين ، ونودي في الناس الصلاة جامعة ، ودعا رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) عليا ، واخذ بيده فاقامه عن يمينه ، فقال : « الست اولى بكـل امرء من نفسه ؟ قالوا : بلى. قال : فان هذا مولى من انا مولاه ، اللهمَّ وال من والاه وعاد من عاداه » .

فلقيه عمر بن الخطاب، فقال: هنيئاً لك اصبحت وامسيت مـولى كل مؤمن ومؤمنة [1].

وفي السيـرة الحلبية أنـه لما وصـل رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ج ٥ ص ٢٠٩ ـ ٢١٠ .

وسلم) الى محل بين مكة والمدينة ، يقال له ـ غدير خم ـ بقرب رابغ ، جمع الصحابة وخطبهم خطبة بين فيها فضل علي . .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ايها الناس انما انا بشر مثلكم ، يوشك ان يأتيني رسول ربي فاجيب » وفي لفظ في الطبراني انه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « يا ايها الناس انه قد نبأني اللطيف الخبير، انه لم يعمر نبي الا نصف عمر الذي يليه من قبله ، واني لأظن ان يوشك ان ادعى فاجيب . . واني مسؤول ، وانكم مسؤلون ، فما انتم قائلون ؟ » .

قالوا : نشهد انك قد بلغت ، وجهدت ، ونصحت ، فجزاك الله خيرا .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اليس تشهدون أن لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، وان جنته حق ، وناره حق ، وان الموت حق ، وان البعث حق بعد الموت ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من في القبور . »

قالوا : بلى نشهد بذلك . قال : اللهمَّ اشهد .

ثم حض (صلى الله عليه وآله وسلم) على التمسك بكتاب الله ، ووصى باهل بيته فقال : « اني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي اهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض »(1) .

وقال « في حق علي كرم الله وجهه لما كرر عليهم . . الست اولى

---

(1) هكذا وردت في الاصل . والصواب : ولن يفترقا حتى يردا ـ .

بكم من انفسكم ثلاثا . وهم يجيبونه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالتصديق والاعتراف. ورفع (صلى الله عليه وآله وسلم) يد علي كرم الله وجهه وقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه اللهمَّ وال من والاه ، وعاد من عاداه ، واحب من احبه ، وابغض من ابغضه ، وانصر من نصره ، واعن من اعانه ، واخذل من خذله ، وادر الحق معه حيث دار »[1].

وفي السيرة الحلبية ايضا : لما شاع قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « من كنت مولاه فعلي مولاه » في سائر الامصار، وطار في جميع الاقطار، بلغ الحرث بن النعمان الفهري، فقدم المدينة ، فاناخ راحلته عند باب المسجد. فدخل والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جالس، وحوله اصحابه .

فجاء الحرث ـ حتى جلس بين يديه ثم قال : يا محمد انك امرتنا أن نشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله . . فقبلنا ذلك منك . . وانك امرتنا أن نصلي في اليوم والليلة خمس صلوات ، ونصوم شهر رمضان ، ونزكي اموالنا ، ونحج البيت . . فقبلنا ذلك منك .

ثم لم ترضَ بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك، ففضلته وقلت : من كنت مولاه فعلي مولاه . . فهذا شيء من الله او منك ؟.

فاحمرت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : وقال : « والله الذي لا إله الا هو انه من الله وليس مني . . » قالها ثلاثا .

فقام الحرث وهو يقول : اللهمَّ ان كان هذا هو الحق من عندك ـ

---

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣٠٨ .

وفي رواية : اللهمَّ ان كان ما يقول محمد حقا، فارسل علينا حجارة من السماء . . او ائتنا بعذاب اليم . فوالله ما بلغ باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء، فوقع على رأسه فمات وانزل الله تعالى ﴿ **سأل سائل بعذاب واقع*للكافرين ليس له دافع** . . ﴾[1]وكان ذلك اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ـ وهو يوم الغدير ـ .

وفي السيرة الحلبية ايضا : « ان عليا كرم الله وجهه قام خطيباً ـ في رحبة وفي رواية ـ في الكوفة ـ فحمد لله واثنى عليه ، ثم قال : انشدكم الله، من ينشد[2] يوم غدير خم الا قام . . ولا يقوم رجل يقول : انبئت ـ او بلغني الا رجل سمعت اذناه ، ووعى قلبه .

فقام سبعة عشر صحابيا ، وفي رواية : ثلاثون صحابيا ، وفي المعجم الكبير ستة عشر، وفي رواية اثنا عشر. فقال: هاتوا ما سمعتم . فذكروا الحديث، ومن جملته من كنت مولاه فعلي مولاه ، وفي رواية فهذا مولاه .

وعن زيد ابن ارقم : (الصحابي) : وكنت ممن كتم ، فذهب الله ببصري ، وكان علي كرم الله وجهه دعا على من كتم »[3].

وجاء في حلية الاولياء لابي نعيم عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « من سره ان يحي حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوال عليا من بعدي،

---

(١) سورة المعارج : آية ١ ـ ٢ .
(٢) هكذا وردت وردت في الاصل ـ والظاهر : من شهد .
(٣) السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٠٨ .

وليوال وليه ، وليقتد بالأئمة من بعدي . . فانهم عترتي، خلقوا من طينتي، رزقوا فهما وعلما . ويل للمكذبين بفضلهم من امتي، للقاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي » . [1]

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية بعد سلسلة من الاسناد عن ابي هريرة انه قال: لما اخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بيد علي قال: « ومن كنت مولاه فعلي مولاه . . الى آخره » فانزل الله عز وجل **﴿ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾**[2]قال ابو هريرة : وهو يوم غدير خم من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً . [3]

وجاء في مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي : « المروي عن الامامين ابي جعفر وابي عبد الله (عليهما السلام) انه انما انزل - قوله تعالى : **﴿ اليوم اكملت لكم دينكم . . الآية ﴾** بعد ان نصب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليا (عليه السلام) علما للأنام يوم غدير خم ، منصرفه عن حجة الوداع . قالا :وهو آخر فريضة انزلها الله تعالى، ثم لم ينزل بعدها فريضة .

---

(١) حلية الاولياء لابي نعيم الاصبهاني -ج ١ ص ٨٦ .

(٢) سورة المائدة : آية ٤ .

(٣) البداية والنهاية : لابن كثير -ج ٥ - ص ٢١٤ .

حول غدير خم

بعد ان ذكرنا قصة غدير خم ، وخطبة الرسول الاعظم التي بين فيها فضل علي بن ابي طالب وأمر الناس بالبيعة له بامرة المؤمنين والولاية له من بعده .

وبعد ان ذكرنا الاخبار التي وردت في صحة قصة الغدير لا بد من التعرض او المناقشة ولو بايجاز واختصار مع من اراد تحوير هذه القصة عن غير مجراها الحقيقي .

ان حديث الغدير متواتر والاخبار فيه كثيرة والقصة مشهورة بين كافة المسلمين من حينها الى يومنا هذا، لكن بعض من لم يرق له الولاية لعلي بن ابي طالب ولم يقدر أن ينكر حديث الغدير اخذ يلتمس العلة ـ أو العلل لازاحة الخلافة عن علي (عليه السلام) . فبعضهم عزى حادثة الغدير الى أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) انما فعل ما فعل وخطب الناس يوم الغدير ليظهر للناس أن عليا حسن الخلق وصالحا ويحبه كثيراً اذ أن عليا حينها ارسله الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الى اليمن ورجع بجيشه المنتصر واراد أن يسبق الجيش ليوافي النبي بمكة في حجة الوداع .

استخلف على جنده رجلا من اصحابه فعمد ذلك الرجل فكسى

رجالا من القوم حللا من البز الذي كان مع علي الذي كان قادما به من اليمن .

فلما علم علي بالأمر غضب وانتزع الثياب - او الحلل - منهم وارجعها الى بقية الامتعة ليوصلها الى رسول الله ورسول الله يرى رأيه فيها . فكان من جراء فعله أن اظهر الجيش شكاية وتأثرا وشكوه الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فما كان من امر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الا ان جمع الناس يوم الغدير فاراد ان يبين فضل علي على الملأ فقال : « من كنت مولاه فعلي مولاه . . » الحديث .

وبعضهم أيضا عزى قصة الغدير الى انه كان بين علي بن ابي طالب وبين زيد بن حارثة - الذي قتل في وقعة مؤتة قبل ذلك سنة ثمان من الهجرة - بعض الجفاء، او سوء التفاهم ، فاراد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبين للناس أنه لم يكن بين علي وبين زيد بن حارثة شيء فجمع الناس يوم الغدير في ذلك الحر الشديد وبين لهم ذلك .

وعلى كل حال لا يمكننا الا ان نقول: اراد بعض اهل الاهواء والاغراض تحوير مفاهيم حديث الغدير بما يتفق مع رغبات الظالم المستبد، او بما يتفق مع مصلحة الراوي .

واقول ايضاً: أنه لما اتجهت الخلافة الاسلامية الى غير وجهها الصحيح ومضت في طريقها بالشكل الذي آلت اليه ، عند ذلك اتجه اكثرية المحدثين ، وحتى بعض الفقهاء، والرواة الى تحوير قصة الغدير وغيرها من القضايا الهامة ، وتأويل ما يمكنهم تأويله حسبما يريدون ويرغبون ، ولو خالف التأويل او التحوير الحق والواقع ، وخالف قول

الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والقرآن المنزل من السماء ـ كما هو الحال في قصة الغدير ـ.

واقول ايضا : ليت شعري كيف سمح هؤلاء لانفسهم تحوير فعل النبي الاعظم (صلى الله عليه وآله) وتحوير خطبته يوم الغدير لامور لا أهمية لها ولا شأن في نظر أي عاقل او مفكر، وهو ان يجمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الناس في ذلك اليوم القائظ او الحر الشديد وهم مائة الف او يزيدون ليبين لهم ان علي بن ابي طالب كان فعله مع الجيش وانتزاعه منهم الحلل ليس تضييقا عليهم أو جفاء وسوء معاملة ، وانما هو صيانة للامانة والتزاما بدينه حيث قال الرسول : « ان عليا اخشن في ذات الله ».

وكيف يسمح هؤلاء ايضاً لانفسهم ان يحوروا قصة الغدير العظيمة الى القول بان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انما جمع الناس يوم غدير خم في ذلك اليوم الشديد الحر ليخطب فيهم ويبين لهم انه ليس بين زيد بن حارثة وبين علي بن ابي طالب اي سوء تفاهم أو أي شيء من الجفاء.

واقول ايضاً: هل يدور بخلد احد أن العقل يقبل بان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جمع الناس في ذلك الهجير لاجل هاتين القصتين ليبرىء ساحة علي (عليه السلام) ويبين فضله ليس الا . . فليتأمل المتأمل .

ليت شعري . . ماذا نقول لمن حاولوا تحوير قصة الغدير الجليلة الواضحة عن مجراها الصحيح ، وتجاهلوا القرآن وقول النبي (صلى الله

عليـه وآله وسلم) وفعله ، وحـاولوا تفسيـرها بمـا لا يوافقهم عليـه كل صاحب عقل سليم ليت شعري : أما علم من اراد تحوير قصة الغدير العظيمة . من انهم لم يسيؤا الى علي بن ابي طالب. . بل اساؤا الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث جعلوه يجمع الناس في ذلك الهجر لامور ليست بذات اهمية ـ او فيها مصلحة للمسلمين .

وقد ذكر الشعراء قصة يوم الغدير، وخطبـة النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) وقوله لعلي « من كنت مولاه فعلي مولاه » واخـذه البيعة لـه من المسلمين بامرة المؤمنين .

قال الكميت بن زيد من ابيات له في ذكر غدير خم :

ويـوم الـدوح دوح غـديـر خم ... ابـان لـه الـولايـة لـو اطيعـا

ولكن الـرجـال تبـايعـوهـا ... فلم ار مثلهـا خـطرا مبيعـا

وقال السيد الحميري :

وقـام محمـد بغـديـر خـم ... فنـادى معلنا صـوتـا بـديـا

ألا مـن كنـت مـولاه فـهـذا ... لـه مـولى وكـان بـه حـفيـا

الهـي عـاد مـن عـادى عـليـا ... وكـن لـوليـه مـولى ولـيـا

وقال السيد الحميري ايضا :

قـام النبي يـوم خم خاطبـا ... بجـانب الـدوحـات أو حيالها

فقـال من كنت لـه مـولى فـذا ... مـولاه رب اشهـد مـرارا قـالهـا

وقال ابو تمام حبيب بن اوس الطائي من قصيدة :

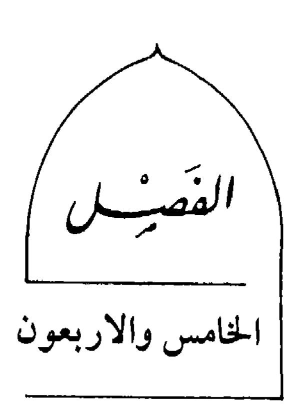
ويوم الغدير استوضح الحق اهله ... بفيحاء لا فيها حجاب ولا ستر

اقـام رسـول الله يـدعـوهم بهـا   ليقـربهم عـرف وينـآهم نكـر
يمـد بـضبـعـيـه ويـعـلم انـه   ولي ومـولاكم فهـل لكم خـير

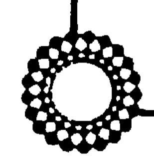
وقال الامير ابو فراس الحارث بن سعيد الحمداني : من قصيدة .

قـام النبي بها يـوم الغـديـر لهم   والله يشهـد والامـلاك والامم
حتى اذا اصبحت في غير صاحبها   باتت تنازعهـا الذؤ بـان والرخم
تـالله ما جهـل الاقوام مـوضعها   لكنهم ستروا وجه الـذي علموا





الفصل
الخامس والاربعون





جيش اسامة بن زيد

عاد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من حجة الوداع الى المدينة بعد أن خطب خطبته المشهورة في غدير خم ونصب عليا (عليه السلام) ولياً على المسلمين واماماً لهم من بعده كما اسلفنا . وقد آن لعشرات الالوف ممن صحبوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجه الذين جاؤوا من انحاء شبه الجزيرة العربية ان يعودوا الى ديارهم ، فانحدر منهم اهل نجد، وأتهمَ اهل تهامة ، وانحدر الى الجنوب اهل اليمن وحضرموت وما حاذاها . . .

وبعد أن اطمأن المسلمون الاطمئنان الكامل في المدينة المنورة واستقر بهم المقام ، ولم يبق ما يعكر صفوهم خاصة بعدما شاهدوا الوفود تقبل متوالية الى المدينة تعلن الطاعة للرسول العظيم وتتفيأ ظلالها تحت لواء الاسلام وقد دخل الناس في دين الله افواجا .

كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في تفكير متصل للعمل في تبليغ رسالة الاسلام الى كافة انحاء العالم لأن محمدا (صلوات الله عليه وآله) لم يرسل لبلاد دون بلاد . . او قطر دون قطر . . بل ارسله الله سبحانه وتعالى للناس كافة ليخرج العالم من ظلمات الجهل الى نور الهداية والاسلام .

استمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في تفكيره وخاصة في

دولة الروم الكبيرة التي كانت تراقب يومذاك جميع تحركاتـه وتعتبره خـطراً عليها وعلى وجودها . لذلك نرى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) آثر ان يغزوهم وان يفرض عليهم سلطانه وهيبته حتى لا يعـودوا الى التفكير في مناوأته وغزو بلاده .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد ارسـل سرية الى مؤتة وعاد المسلمـون منها قـانعين من الغنيمـة بالايـاب بعد أن خسـروا جماعة منهم وثلاثة من كبار قوادهم وهـم : جعفر بن ابي طالب ـ الطيار ـ وزيد بن حارثة ـ وعبد الله بن رواحة .

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ايضاً : قد سار عـلى رأس جيش كبير ينوف على الثلاثين الف على مـا تذكـره الروايـات حتى بلغ تبوك فألفى الـروم قد انسحبـوا الى داخل بـلادهم ، وحصونهم من هيبته .

لكن النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) مع هـذا كله ظـل يفكـر ويخشى ان تثور الذكريات من اهل الامبراطورية الرومية فيعلنـوا الحرب عليه وخاصة بعد أن أجلى النصرانية عن نجران .

لـذلك لم يـطل بالمسلمـين المقام بـالمـدينـة بعـد عـودتهم من حجـة الوداع ، حتى امر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بتجهيز جيش كبير الى الشام ولعله من اكبر الجيوش التي عرفتهـا المدينـة . حيث جعل فيـه المهاجرين الأولـين ومنهم : ابو بكـر، وعمر ، وعثمـان ، وسعد بن أبي وقاص وغيرهم من المهاجرين ولانصار، وأمَّر على الجيش اسامـة بن زيد بن حارثة الذي كان شابا لا يتجاوز العشرين من عمره على اقـل تقديـر

فكـان من جراء تنصيبـه اميرا عـلى جيش معظمـه من وجوه المهـاجـرين والانصار ما اثار الدهشة وعدم الارتياح .

ذكـر بعض اهل السـير: ان من جملة الـدوافـع التي دفعت بـالنبي محمـد (صلى الله عليـه وآله وسلم) لارسـال جيش جـرار عـظيم لغـزو الروم في ارض فلسطين هو ما بلغه (صلى الله عليه وآله وسلم) ان دولة الروم جعلت تطارد وتنكل بالذين دخلوا بالاسلام من رعاياها وتقتل كل من تعلم انه اعتنق الدين الاسلامي كما جرى لفروة بن عمـرو الجذامي وكان واليا على معان وما حولها من ارض الشام . فاعتنق الاسلام وبعث الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبر بذلك .

ولما بلغ الروم خبر فروة ـ واسـلامه ـ غضبـوا عليه ، وجنـدوا عليه حملة القت القبض عليـه واخذتـه اسيرا ، ثم القـوه في احد سجـونهم . وبعد هذا حكموا عليه بالاعدام ، فـاخرجـوه الى محل فيـه ماء يـدعى ـ عفـراء ـ من ارض فلسطين ، واعـدموه في ذلـك المكان ثم صلبـوه عـلى خشبة هناك ، ليكون عبرة لغيره ممن يفكر باعتناق الاسلام .

وقيل ان فروة بن عمرو الجذامي حين قدموه للقتل أنشد :

بـلغ سـراة المسلمـين بـانـي   سلم لـربي اعـظمي ودمـائي

هذه التحديات والتصرفات وغيرهـا من الروم جعلت النبي (صـلى الله عليه وآله وسلم) يسـرع في ارسال جيش لحمـاية المسلمـين من اذى الروم وغيرهـم .

وعـلى اي تقدير، ومهما تكن الاسبـاب والدوافـع الداعيـة لارسال الجيش الى الروم فقد انتـدب النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) اسامة

بن زيـد بن حارثـة وامره ان يـوطىء الخيل تخـوم البلقاء والـداروم من ارض فلسطين .

وجاء في طبقات ابن سعد: لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفـر، سنة احـدى عشرة من مهـاجر رسـول الله (صـلى الله عليـه وآله وسلم) أمـر رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) النـاس بـالتهيىء لغزو الروم .

فلما كان من الغد دعا اسامة بن زيد فقـال : سر الى مـوضع مقتـل ابيك، فاوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش : فاغر صباحا على اهل ابنى ـ وهي ارض السراة ناحية البلقاء ـ وحرق عليهم ، واسرع السير تسبق الاخبار ، فان ظفرك فاقلل اللبث فيهم ، وخذ معك الادلاء، وقدم العيون والطلائع امامك .

فلما كـان يوم الاربعـاء بـدىء بـرسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) فحمَّ وصدّع ، فلما اصبح يـوم الخميس، عقد (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) لاسامـة لواء بيـده ثم قال : « اغـز بسم الله . . في سبيل الله . . فقاتل من كفر بالله . »

فخـرج اسـامـة بلوائـه معقـودا ، فـدفعـه الى بـريـدة بن الحصيب الاسلمي ، وعسكر بالجرف ـ على مقربة من المدينة ـ فلم يبق احد من وجوه المهاجرين الاولين، والانصـار، الا انتدب في تلك الغـزوة ، فيهم ابو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وابو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن ابي وقاص، وسعيد بن زيد، وقتادة بن النعمان، وسلمة بن اسلم بن حريش . . .

فتكلم قوم وقالوا : يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين !؟

فغضب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غضباً شديداً . . . وخرج وقد عصب على رأسه عصابة ، وعليه قطيفة ، فصعد المنبر فحمد الله ، واثنى عليه ، ثم قال: « اما بعد ايها الناس » فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة ! ولئن طعنتم في امارة اسامة . . لقد طعنتم في امارتي اباه من قبله . . وأيم الله ان كان للامارة لخليقا . . وان ابنه من بعده لخليق للامارة . » .

ثم نزل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فدخل بيته ، وذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول .

وجاء المسلمون الذين يخرجون مع اسامة ، يودعون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويمضون الى العسكر بالجرف .

وثقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعل يقول : « انفذوا بعث اسامة » .

وذكر الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « جهزوا جيش اسامة ، لعن الله من تخلف عنه » فقال قوم : يجب علينا امتثال امره . . واسامة قد برز من المدينة .

وقال قوم : قد اشتد مرض النبي عليه الصلاة والسلام فلا تسع قلوبنا مفارقته ، والحالة هذه . . فنصبر حتى نبصر أي شيء يكون من امره[1] .

وقال السيد شرف الدين في كتابه المراجعات : « اما الكلمة المتعلقة

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٢٣ .

فيمن تخلف عن جيش اسامة ، التي ارسلها الشهرستاني ارسال المسلمات ، فقد جاءت في حديث مسند، اخرجه ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة ، انقله لك بعين لفظه .

قال : حدثنا احمد بن اسحاق بن صالح ، عن احمد بن سيار، عن سعيد ابن كثير الانصاري عن رجاله ، عن عبد الله بن عبد الرحمن : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مرض موته ، أمّر اسامة بن زيد بن حارثة على جيش فيه جلة المهاجرين والانصار منهم : ابو بكر ، وعمر ، وابو عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة ، والزبير، وامره ان يغير على مؤتة حيث قتل ابوه زيد، وأن يغزو وادي فلسطين .

فتثاقل اسامة ، وتثاقل الجيش بتثاقله ، وجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، في مرضه ، يثقل ويخف ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث . . حتى قال له اسامة :

بابي انت وامي . . اتأذن لي ان امكث اياما حتى يشفيك الله تعالى .

فقال : « اخرج . . وسر على بركة الله ».

فقال : يا رسول الله . . ان انا خرجت وانت على هذه الحال، خرجت وفي قلبي قرحة .

فقال : « سر على النصر والعافية ».

فقال : يا رسول الله، إني اكره أن اسائل عنك الركبان .

فقال : « انفذ لما امرتك به . . » .

ثم اغمي على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقام اسامة فتجهز للخروج ، فلما افاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، سأل عن اسامة ، والبعث ، فأخبر انهم يتجهزون . . .

فجعل يقول: « انفذوا بعث اسامة . . لعن الله من تخلف عنه » وكرر ذلك .

فخرج اسامة واللواء على رأسه ، والصحابة بين يديه ، حتى اذا كان بالجرف، نزل ومعه . . ابو بكر ، وعمر ، واكثر المهاجرين ، ومن الانصار . . أسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وغيرهم من الوجوه ، فجاءه رسول ام ايمن يقول له : ادخل فان رسول الله يموت . فقام من فوره ، فدخل المدينة ، واللواء معه ، فجاء به حتى ركزه بباب رسول الله، ورسول الله قد مات في تلك الساعة . انتهى بعين لفظه » .

اقول : على كل حال يستنتج من المراحل، والمناسبات التي اعقبت غدير خم ، والتي نص فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ولاية علي بن ابي طالب بامر من الله تعالى كما اسلفنا .

ومن علمه (صلى الله عليه وآله وسلم) بدنو أجله ، من قوله في حجة الوداع : « ايها الناس ، اسمعوا قولي، فاني لا ادري لعلي لا القاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف ابدا »

ومن ذهابه (صلى الله عليه وآله وسلم) لزيارة البقيع كما سيأتي . . .

ومن تهيئة جيش مؤلف من جمهور المسلمين ـ فيه جلة المهاجرين

والانصار ، وارساله الى أُبنى من ارض فلسطين بقيادة اسامة بن زيد حيث قتل ابوه زيد بن حارثة ـ في موقعة مؤتة ـ .

ومن اهتمامه (صلوات الله عليه وآله) الشديد بالحث على تنفيذ جيش اسامة والخروج من المدينة وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) في اشد حالات مرضه بقوله : « نفذوا جيش اسامة » يكررها مرارا باهتمام .

ومن عدة مناسبات اعرضنا عنها لكثرتها وكلها تؤدي الى معنى واحد . . وهو أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اراد تمهيد السبيل لاستتباب الامر لعلي، بعد وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ومما لا يقبل الجدل انه يستنتج من تصرفات النبي واقواله ، وتحريضه ، وحثه على تنفيذ جيش اسامة . . الى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اراد أن يؤكد الامر لعلي بن ابي طالب ، ويمهد السبيل له ، بخلو المدينة ممن اسلفنا ذكرهم حتى لا يبقى معارض . وبعد رجوعهم يكون الامر قد استتب لعلي، وتكون المعارضة اقل خطراً . . او لا وزن لها .

ولكن تثاقل اسامة بالجيش، وعدم خروجه به ، اياما عديدة مع شدة حث رسول الله على الخروج وتنفيذ أوامره بالمسير . . ومع عدم خروج اسامة بن زيد حتى التحق الرسول الاعظم بالرفيق الاعلى كل هذه العوامل كانت السبب في عدم اتمام ما اراد الرسول من تنصيب علي

(عليه السلام) للخلافة - وامرة المؤمنين - التي كانت عن امر الله تعـالى حينما نزلت على الرسـول (صلى الله عليـه وآله وسلم) آيـة التبليغ يـوم غدير خم ﴿ **بلغ ما انزل اليـك من ربك** ﴾ وخـلاصة القـول : انه من جراء الاحداث المتتالية حصل ما حصـل . . وكان الـذي كان . . وعنـد الله تجتمع الخصوم .



ابتداء مرض الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي تُوفي فيه

ذكر ابن هشام في سيرته أنه : بينا يستعد الناس للمسير في جيش اسامة الى ارض الشام حيث امره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم ، من ارض فلسطين ، ابتدىء برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرضه الذي قبضه الله فيه ، فقد جاء عن ابن اسحاق عن ابي مويهبة مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال :

« بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من جوف الليل ، فقال : يا ابا مويهبة ، إني قد امرت ان استغفر لاهل هذا البقيع ، فانطلق معي . . فانطلقت معه ، فلما وقف بين اظهرهم قال : « السلام عليكم يا اهل المقابر، ليهنىء لكم ما اصبحتم فيه مما اصبح الناس فيه ، اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الاولى » .

ثم اقبل علي ، فقال : « يا ابا مويهبة ، اني قد اوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك ، وبين لقاء ربي والجنة . »

قال : فقلت : بابي انت وامي ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة .

قال : « لا والله يا ابا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة ».

ثم استغفر لاهل البقيع ، ثم انصرف . فبدأ برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعه الذي قبضه الله فيه[1].

وذكر الشيخ المفيد في ارشاده : انه بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يحث الناس على المسير في جيش اسامة والخروج معه ، ويحذرهم من التلوم والابطاء عنه ، إذ عرضت له الشكاة التي توفي فيها ، فلما احس بالمرض الذي عراه اخذ بيد علي بن ابي طالب (عليه السلام) واتبعه جماعة من الناس » وتوجه الى البقيع ، فقال لمن اتبعه : « إني قد امرت بالاستغفار لاهل البقيع » فانطلقوا معه حتى وقف بين اظهرهم ، وقال : « السلام عليكم يا اهل القبور ليهنكم ما اصبحتم فيه ،، مما فيه الناس، اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع اولها آخرها ».

ثم استغفر لاهل البقيع طويلا ، واقبل على امير المؤمنين (عليه السلام) فقال له : « ان جبرائيل (عليه السلام) كان يعرض علي القرآن كل سنة مرة ، وقد عرضه علي العام مرتين ، ولا أراه الا لحضور اجلي . »

ثم قال : « يا علي اني خيرت بين خزائن الدنيا والخلود فيها ، او الجنة ، فاخترت لقاء ربي والجنة ، فاذا انا مت فاغسلني، واستر عورتي، فانه لا يراها احد الا اكمه ».

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام : ج ٤ ص ٢٩٢ .

ثم عاد الى منزله فمكث ثلاثة ايام موعوكا ، ثم خرج الى المسجد معصوب الرأس، معتمدا على امير المؤمنين علي (عليه السلام) بيمنى يديه ، وعلى الفضل بن العباس باليد الاخرى، حتى صعد المنبر فجلس عليه ، ثم قال :

« معاشر الناس . . قد حان مني خفوق من بين اظهركم ، فمن كان له عندي عدة فليأتني اعطه اياها ، ومن كان له علي دين فليخبرني به .

معاشر الناس . . ليس بين الله وبين احد شيء يعطيه به خيرا ، أو يصرف عنه به شرا، الا العمل . .

ايها الناس . . لا يدعي مدع ، ولا يتمنى متمن . . والذي بعثني بالحق نبيا لا ينجي الا عمل مع رحمة . . ولو عصيت لهويت ، اللهمّ هل بلغت . » .

ثم نزل، فصلى بالناس صلاة خفيفة ، ودخل بيته ، وكان اذ ذاك في بيت ام سلمة (رضي الله عنها) فاقام به يوما او يومين .

وذكر كل من ابن سعد في طبقاته وابن هشام في سيرته ، والطبري في تاريخه ، أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان حينذاك في بيت ميمونة .

وفي رواية : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرَّ بعائشة فوجدها تشكو صداعا في رأسها وتقول : واراساه . . .

لكن شكوى النبي لم يكن قد اشتد الى الحد الذي يلزمه الفراش أو يحول بينه وبين ما عود اهله وازواجه من تلطف ومفاكهة .

وكررت عائشة من صداعها ، حين سمعته يشكو ويقول : بل انا والله يا عائشة . . . وارأساه . .

ثم قال لها : ما ضرك يا عائشة لو متِّ قبلي ، فقمت عليك ، وكفنتك وصليت عليك ، ودفنتك . . !

واثارت هذه الدعابة الغيرة في نفسها ، كما اثارت عندها حب الحياة ، والحرص عليها .

ـ فاجابت بانفعال : ليكن ذلك حظ غيري . . والله لكأني بك لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت الى بيتي فاعرست فيه ببعض نسائك . .

وذكر الطبري في تاريخه : انه لما اشتد الوجع بالنبي حتى غمر[1]، واجتمع عنده نساء من نسائه . . ام سلمة وميمونة ، ونساء من نساء المؤمنين . . . منهن : اسماء بنت عميس . . وعنده عمه العباس بن عبد المطلب، واجتمعوا على ان يلدُّوه[2]فقال العباس: لا لُـدّنه . . فلُدّ .

فلما افاق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « من صنع بي هذا ؟ ! »

قالوا : يا رسول الله، عمك العباس . .

قال : هذا دواء اتى به نساء من نحو هذه الارض ـ واشار نحو ارض الحبشة ـ.

---

(١) غمر : اشتد به المرض .
(٢) اللد : ان يجعل الدواء في شق الفم .

قال : « ولم فعلتم ذلك ؟ ! » .

فقال العباس : خشينا يا رسول الله ان يكون بك وجع ذات الجنب .

فقال : « ان ذلك لداء ما كان الله ليعذبني به . » الى آخره »[1].

وجاء في الطبقات الكبرى لابن سعد عن يزيد بن بابنوس انه قال : « استأذنت انا ورجل من اصحابي، على عائشة، فاذنت لنا ، فلما دخلنا ، جذبت الحجاب ، والقت لنا وسادة، فجلسنا عليها ، فقالت : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا مرَّ ببابي يلقي الي الكلمة ينفع الله بها. . . فمرَّ ذات يوم ، فلم يقل شيئاً . . ثم مرَّ ذات يوم فلم يقل شيئاً، فقلت : يا جارية ألقي لي وسادة على الباب، فالقت لي وسادة فجلست عليها في طريقه (صلى الله عليه وآله وسلم) وعصبت رأسي . . .

فمرَّ بي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال : ما شأنك ؟ ! فقلت : اشتكي رأسي . . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : انا وارأساه . . . ثم مضى .

فلم يلبث (صلى الله عليه وآله وسلم) الا يسيرا حتى جيء به محمولا في كساء . . فادخل بيتي، فارسل الى نسائه فاجتمعن عنده، فقال: اني اشتكي، ولا استطيع أن أدور بيوتكن فان شئتن أذنتن لي

---

(١) تاريخ الطبري - ج ٣ ص ١٩٥ .

فكنت في بيت عـائشة، فـاذن لـه ، فكنت وانـا اوصبـه[1]ولم اوصب مريضاً قط قبله[2] .

وفي سيـرة ابن هشام عن ابن اسحـاق عن عـائشـة زوج النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) انها قالت : خـرج رسول الله (صـلى الله عليـه وآله وسلم) ، يمشي بـين رجلين من اهله ، احدهمـا الفضـل بن العبـاس، ورجل آخـر، عاصبـاً رأسه، تخط قـدمـاه ، حتى دخـل بيتي، فقيل لعبد الله بن العباس: هل تـدري من الرجـل الآخر ؟ قـال : علي بن ابي طالب[3] .

وروى ابن سعـد في طبقـاتـه : هـذا الحـديث وزاد عليـه : ـ ان عائشة لا تطيب له نفسا بخير ـ اي لعلي بن ابي طالب[4] .

اقـول: اختلفت الروايـات بالنسبـة لوجـود النبي (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) في بيت السيـدة عـائشـة. فمنهـا : أن النبي (صـلى الله عليه وآله وسلم) جيء به وهو محمـول في كساء الى بيت عـائشة، عـلى ما ذكره ابن سعد في طبقاته .

ومنهـا : ان النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) هـو الذي استـأذن من نسائه أن يكون في بيت عائشة وقد جاء اليه ورجـلاه تخطان . . كـما ذكر ذلك ابن هشام في سيرته .

---

(١) اوصبه : امرضه .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ـ ج ٢ ص ٢٩ .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام : ج ٤ ص ٢٩٨ .
(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد : ج ٢ ص ٢٩ .

ومنهـا : ان السيـدة عـائشـة هي التي استـأذنت من نسـائـه - ضرائرها - فأذن لها في ان يكون النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) في بيتها . . . كما ذكر الشيخ المفيد في ارشاده .

وعلى كل حـال . . اغتنمت ام المؤمنين عـائشة فرصة وجـود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيتها ، بعلة تمريضه . . فـاتمت ما كـان قـد دُبر ودُرس . . من اقصـاء علي بن ابي طـالب (عليه السـلام) عن الخلافة . . والاكون وجود النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) في بيتها خاصة لتمريضه وخدمته . . هو علة او سبب . غير كاف أو مقنع . .

فهـل كانت زوجتـه ام سلمة تقصـر عن القيام بتمـريضه وخـدمتـه وهي الصالحة الوفية، والورعة التقية ؟ ! .

ام كانت زوجته (صلى الله عليه وآله وسلم) ميمونة التي كـان في بيتهـا - على روايـة ابن هشـام وابن سعـد - تقصـر عن القيـام بخـدمتـه (صلى الله عليه وآله وسلم) وتمريضه ؟ ! .

ام كن نسـاءه باجمعهن يقصـرن عن القيام بخـدمتـه مـع العلـم ان مساكنهن كانت متقاربة كالدار الواحدة ؟ ! وخصـوصا أن النبي (صـلى الله عليـه وآله وسلم) لم يكن مـرضه بـالمرض الـذي يحتـاج الى خـدمـة كثيرة . . كالشلل او غيره .

وهل كانت ابنتـه فاطمـة عليها السـلام) التي كانت احب النـاس اليـه واعـزهـم عليـه ام سبـطيـه (عليها السـلام) تقصـر عن خـدمتـه وتمـريضه وهي التي كـانت لا تفارقـه ابـدا وتحـافظ عليـه دائـما . . حتى لُقبت « ام ابيها » .

اذاً . . وعلى ما ذكرنا . . لم يكن أمر نقل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى بيت عائشة لتمريضه امراً عاديا . . بل لا بد انه كان لامور واغراض وغايات ابعد من ذلك . .

منها : الحصول على الكيان والثقة للسيدة عائشة لدى المسلمين .

ومنها : ترويج الأمر ـ الخلافة ـ لابيها كما هو مرسوم ومدروس .

ومنها : انه لولا نقله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى بيتها الذي اسكنها رسول الله فيه ـ والذي دفن فيه ـ لم يدفن الشيخان الى جانب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ومنها : أنه لولا نقله (صلى الله عليه وآله وسلم) ايضاً الى مسكنها . . لما استطاعت من التسلط لتمنع جنازة سبط الرسول، الحسن بن علي (عليهما السلام) من الدفن ، بجانب جده ـ كما دفن الشيخان ـ وهو مع احقيته بذلك ، ولما تمكنت من المعارضة من زيارة جنازة الحسن لقبر جده العظيم والطواف حوله ، اذ قالت حينذاك : وقد احاط بها بنو امية . . الله يا بني هاشم . . لا تدخلوا بيتي من لا احب . .

وفي ذلك ما روي عن ابن عباس قوله مخاطبا لها .

لك التسع من الثمن وبالكل تملكت ! .

الى غير ذلك من الامور التي سنذكرها في مواضعها انشاء الله .

خبر سد الابواب المفتوحة على المسجد سوى باب علي (عليه السلام)

ذكر السيد الأمين في كتابه اعيان الشيعة خبر سد الابواب المفتوحة على المسجد النبوي غير باب علي، ونحن ننقل ما ذكره في هذا الصدد حرفياً.

« قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما هاجر الى المدينة ، وبنى مسجده فيها ، بنى لنفسه حجراً في جانب المسجد، اسكنها ازواجه ، وبنى لعلي (عليه السلام) حجرة بجانب الحجرة التي اسكنها عائشة، وبنى اصحابه بجانب المسجد حجراً سكنوها، وكانت ابوابها الى المسجد.

فامر النبي (صلى الله عليه وسلم) بسد هذه الابواب إلا باب علي، فبقي بابه الى المسجد ليس له طريق غيره ، وفتح الباقون ابوابا من غير جهة المسجد، وكانت الحجرة التي تسكنها عائشة ، التي دُفن فيها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيت علي كلاهما في الجانب الشرقي من المسجد. فلما زاد بنو أمية في المسجد دخلت فيه هذه البيوت . في مسند احمد بن حنبل[1].

---

(١) ص ٣٦٩ ـ ج ٤ الطبعة المصرية .

حدثنا عبد الله[1]حدثني ابي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا عوف عن ميمون ابي عبد الله عن زيد ابن ارقم قال: كان لنفر من اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابواب شارعة في المسجد، فقال يوماً: « سدوا هذه الابواب إلا باب علي » فتكلم في ذلك الناس فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فحمد الله واثنى عليه ثم قال: « اما بعد فاني امرت بسد هذه الابواب إلا باب علي، وقال فيه قائلكم . . واني والله ما سددت شيئاً، ولا فتحته ، ولكني امرت بشيء فاتبعته ».

ورواه النسائي في الخصائص مثله ، قال : اخبرنا محمد بن بشار بن بندار البصري حدثنا محمد بن جعفر. . الى آخر السند والمتن المتقدمين .

ورواه : الحاكم في المستدرك مثله، قال : اخبرنا ابو بكر احمد بن جعفر البزاز ببغداد ، حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل . . الى آخر السند والمتن السابقين وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه، وذكر الذهبي في تلخيص المستدرك وقال صحيح.

وفي مسند احمد[2]حدثنا عبد الله ، حدثني أبي حدثنا وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن اسيد عن ابن عمر . . كنا نقول في زمن النبي رسول الله خير الناس ثم ابو بكر ثم عمر، ولقد أُوتي ابن ابي طالب ثلاث خصال لان تكون لي واحدة منها احب الي من حمر

---

(١) هو ابن احمد بن حنبل .

(٢) ص ٢٦ ـ ج ٢ الطبعة المصرية .

النعم . . زوجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ابنته وولدت له . . وسد الابواب إلا بابه في المسجد . . واعطاه الراية يوم خيبر.

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن ابي هريرة ، قال عمر بن الخطاب : لقد أعطي علي بن ابي طالب ثلاث خصال ، لان تكون لي خصلة منها احب الي من حمر النعم ، قيل وما هن يا أمير المؤمنين ، قال : تزوجه[1] فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . وسكناه في المسجد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يحل له فيها ما يحل . . والراية يوم خيبر . قال : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه .

وروى النسائي في الخصائص : اخبرنا احمد ابن يحي الكوفي، اخبرنا علي وهو ابن قادم اخبرنا اسرائيل عن عبد الله بن شريك عن الحارث ابن مالك قال : اتيت مكة فلقيت سعد بن ابي وقاص ، فقلت له : سمعت لعلي منقبة ؟ قال : كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المسجد فنادى مناديه ، ليخرج من في المسجد إلا آل رسول الله (صلى الله عليه وله وسلم) وآل علي . . فلما اصبح اتاه عمه فقال: يا رسول الله اخرجت اصحابك واعمامك ، واسكنت هذا الغلام ؟ ! .

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ما انا امرت باخراجكم . . ولا باسكان هذا الغلام . . ان الله هو أمر به . . » .

قال فطر: عن عبد الله بن شريك عن عبد الله بن ارقم عن سعد : أن العباس اتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال :

---

(١) هكذا وردت بالاصل .

سددت ابوابنا الا باب علي ؟ ! فقال : « ما أنا فتحتها ولا انا سددتها .

ـ وفيها ـ بسنده عن ابن عباس : أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بابواب المسجد فسدت الا باب علي .

ـ وفيها بسنده عن ابن عباس . . وسد ابواب المسجد غير باب علي، فكان يدخل المسجد وهو طريقه ، ليس له طريق غيره .

ـ وعن سنن الترمذي عن ابن عباس ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر بسد الابواب الا باب علي .

فما يروى في بعض الكتب من جعل هذه المنقبة ، لغير علي، انما هو ممن يريدون معارضة مناقبه ، بمثلها . . او باثباتها لغيره ، فاختلقوا في ذلك ما اختلقوا . . ! واكثره كان في عصر بني امية . . فجاء من جاء بعد ذلك ،فرواه كما وجده، ولم يفطن لما فيه »[1].

وذكر الحلبي في سيرته : أنه جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) امر بسد الابواب إلا باب علي .

ويروي الحلبي ايضاً : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خطب الناس فحمد الله واثنى عليه وقال : « اما بعد فاني أُمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيكم قائلكم . . واني والله ما سددت شيئاً، ولا فتحته ، ولكني امرت بشيء فاتبعته . . انما انا عبد

---

(١) اعيان الشيعة للسيد الامين ـ ج ٣ ص ٨٧ ـ ٨٨ .

مأمور ما أُمرت به فعلت . . إن اتبع إلا ما يوحى إلي . . . »[1].

اقول: ما اوردناه في هذا الصـدد هو الصحيـح ، ولكن من لم يرق لـه ذلـك من اهـل الاهـواء والاغـراض وارضـاء للحكـام الامـويـين والعباسيين ارادوا أن يخرجوا الحقيقة عن حقيقتها فردوها في حق ابي بكر فليتأمل الباحث.

---

(١) السيرة الحلبية ـ ج ٣ ص ٣٨٤ .



ما كان من امر الصلاة في مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حين اشتد عليه المرض

جاء في السيرة الهشامية عن عائشة أنها قالت : لما استعز[1] برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : مروا ابا بكر فليصل بالناس، قالت : قلت : يا نبي الله، ان ابا بكر رجل رقيق، ضعيف الصوت، كثير البكاء، اذا قرأ القرآن .

قال: مروه فليصل بالناس. قالت : فعدت بمثل قولي، فقال : انكن صواحب يوسف، فمروه فليصل بالناس، قالت : فوالله ما اقول ذلك الا أني كنت احب أن يصرف ذلك عن ابي بكر، وعرفت ان الناس، لا يحبون رجلا قام مقامه ابداً، وان الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان ، فكنت احب ان يصرف ذلك عن ابي بكر.

وفي السيرة الهشامية ايضاً: عن عبد الله بن زمعة بن الاوسود .ن المطلب بن اسد، قال : لما استعز برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وانا عنده في نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال الى الصلاة، فقال : مروا من يصلي بالناس.

---

(١) استعز : اشتد به المرض .

قال : فخرجت فاذا عمر في الناس، وكان ابو بكر غـائبا، فقلت : قم يا عمر فصل بالناس.

قـال: فقـام ، فلما كبـر سمـع رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : صوته ، وكان عمر رجلا مجهرا[1].

قـال : فقال رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) : فـاين ابـو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون .

قال : فبعث الى ابي بكر، فجاء بعد أن صـلى عمر تلك الصـلاة، فصلى بالناس.

قال: عبد الله بن زمعة : قال لي عمر: ويحك ، مـاذا صنعت بي يا بن زمعة ، والله ما ظننت حين امرتني الا ان رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) امرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالناس.

قال : قلت : والله ما امرني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بـذلـك ، ولكني حـين لم ار أبـا بكـر رأيتـك احق ممن حضـر بـالصـلاة بالناس[2].

وجاء في البداية والنهايـة: قال البخـاري : حدثنـا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الاعمش عن ابراهيم ، قال الاسود: كنا عند عائشـة فذكرنا المواظبة على الصلاة والمواظبة لها ، قالت : لما مرض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مرضه الـذي مات فيـه فحضرت الصـلاة ، فأذن بلال .

---

(١) مجهر : عالي الصوت .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام : ح ٤ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ .

فقال: (صلى الله عليه وآله وسلم) مروا أبا بكر فليصل بالناس، فقيل له : ان ابا بكر، رجل اسيف اذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس واعاد. . . فاعادوا له . . فاعاد الثالثة، فقال : انكن صواحب يوسف . مروا أبا بكر فليصل بالناس.

فخرج أبو بكر، فوجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه خفة ، فخرج يهادي بين رجلين ، كاني أنظر الى رجليه تخطان من الوجع ، فاراد ابو بكر أن يتأخر فاومأ إليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن مكانك ، ثم اتي به حتى جلس الى جنبه .

قيل للاعمش: فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي، وابو بكر يصلي بصلاته، والناس يصلون بصلاة ابي بكر ؟ فقال برأسه : نعم .[1]

وفي تاريخ الطبري، عن الارقم بن شرحبيل، قال : سألت ابن عباس: اوصى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟قال : لا ، قلت : فكيف كان ذلك ؟ .

قال : ـ الارقم ـ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ابعثوا الى علي فادعوه ، فقالت : عائشة لو بعثت الى ابي بكر ! وقالت حفصة: لو بعثت الى عمر! فاجتمعوا عنده جميعا، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، انصرفوا ، فان تك لي حاجة . . ابعث اليكم . فانصرفوا . . الى آخره[2].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ج ٥ ص ٢٣٢ .

(٢) تاريخ الطبري : ج ٣ ص ١٩٦ .

وجاء في السيرة الحلبية : أن بلالا (رضي الله عنه) دخل على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: الصلاة يا رسول الله. فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا استطيع الصلاة خارجا . ومر عمر بن الخطاب فليصل بالناس. فخرج بلال وهو يبكي، فقال له المسلمون : ما وراءك يا بلال ؟ ! فقال: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يستطيع الصلاة خارجا ، فبكوا بكاءً شديدا، وقال لعمر : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يأمرك ان تصلي بالناس، فقال عمر ما كنت لاتقدم بين يدي ابي بكر ابدا . . فادخل على نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخبره أن ابا بكر على الباب.

فدخل عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) بلال فاخبره بذلك . فقال(صلى الله عليه وآله وسلم) : نعم ما رأى. . . مر ابا بكر فليصل بالناس. فخرج الى ابي بكر فامره أن يصلي بالناس. فصلى بالناس.

وفي رواية: فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مروا ابا بكر فليصل بالناس، فقالت عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)، فقلت: إن ابا بكر رجل اسيف - أي رقيق القلب - اذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، .فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): مروا أبا بكر فليصل بالناس، فعاودته، فقال : مروا أبا بكر فليصل بالناس. فقلت لحفصة : قولي له إن أبا بكر اذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل بالناس. ففعلت حفصة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لحفصة : مه . . انكن صواحب يوسف (عليه الصلاة والسلام) - وفي لفظ انكن لأنتن صواحب يوسف، فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لاصيب منك خيرا : مروا أبا بكر فليصل بالناس - .

ويقول الحلبي ايضا: ان صاحبة يوسف هي زليخا ، اظهرت خلاف ما تبطن، اظهرت للنساء اللاتي جمعتهن أنها تريد اكرامهن بالضيافة، وإنما قصدها ان ينظرن لحسن يوسف (عليه السلام) فيعذرنها في حبه . والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فهم عن عائشة أنها تظهر كراهة ذلك مع محبتها له باطنا .[1]

وذكر ابن سعد في طبقاته حديث الصلاة على هذا النحو مع اختلاف في بعض العبارات. وفي الارشاد للشيخ المفيد: انه جاء بلال عند صلاة الصبح ، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مغمور بالمرض، فنادى. . الصلاة رحمكم الله، فأوذن رسول الله بندائه، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي بالناس بعضهم، فاني مشغول بنفسي . .

فقالت عائشة: مروا أبا بكر ! .

وقالت حفصة: مروا عمرا !

فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): حين سمع كلامهما ورأى حرص كل واحدة منهما على التنويه بابيها، وافتتانهما بذلك . . ! ورسول الله حي : « اكففن . . فانكن كصويحبات يوسف.

ثم قام (صلى الله عليه وآله وسلم) مبادرا خوفا من تقدم احد الرجلين، وقد كان أمرهما بالخروج مع اسامة، ولم يك عنده انهما قد تخلفا.

فلما سمع (صلى الله عليه وآله وسلم) من عائشة وحفصة ما سمع،

---

(١) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣٨٥ .

علم انهما متأخران عن امره ! فبدر لكف الفتنة، وازالة الشبهة . فقام (عليه الصلاة والسلام) ، وانه لا يستقل على الارض من الضعف، فاخذ بيده علي بن ابي طالب (عليه السلام) ، والفضل بن العباس، فاعتمد عليهما ورجلاه تخطان الأرض من الضعف.

فلما خرج الى المسجد وجد أبا بكر قد سبق الى المحراب !!!.

فأومأ اليه بيده، أن تأخر عنه ، فتأخر ابو بكر وقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مقامه ، فكبر وابتدأ الصلاة التي كان قد ابتدأها ابو بكر، ولم يبن على ما مضى من فعاله .

فلما سلم (صلى الله عليه وآله وسلم) انصرف الى منزله ، واستدعى أبا بكر وعمر، وجماعة ممن حضر بالمسجد من المسلمين، ثم قال: « ألم آمركم ان تنفذوا جيش اسامة ؟ ! فقالوا : بلى يا رسول الله . . قال : « فلم تأخرتم عن امري ؟ » قال ابو بكر : اني كنت خرجت ثم رجعت لاجدد بك عهدا . .

وقال عمر: يا رسول الله اني لم اخرج لأنني لم احب ان اسأل عنك الركب. فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : نفذوا جيش اسامة . يكررها ثلاث مرات ، ثم اغمي عليه من التعب الذي لحقه . . والأسف الذي تملكه .

اقول: اختلفت الروايات ، وتناقضت الاقوال، وتضاربت الاهواء والاغراض، فيمن اتى بالصلاة وأم الناس بمسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حين اشتد به المرض، فكل راوٍ روى حسبما تقتضيه مصلحته وميوله . فابن هشام في سيرته روى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: مروا بأبا بكر فليصل بالناس.

وفي رواية ثانية لابن هشام ايضا : عن عبد الله بن زمعة ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما اشتد به المرض، وجاء بلال، فدعا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للصلاة : قال الرسول : « مروا من يصلي بالناس من المسلمين ».

ويمضي ابن هشام في روايته : فقال ابن زمعة : خرجت فوجدت عمر بن الخطاب، وكان ابو بكر غائبا فقلت له : قم يا عمر . . . وحينما صلى بالناس، وكان عالي الصوت ، سمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صوته فقال: « أين ابو بكر . . يأبى الله ذلك والمسلمون . . الى آخره . . .

وفي رواية الطبري: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ابعثوا الي علي فادعوه ، فقالت عائشة: لو بعثت الى ابي بكر، وقالت حفصة لو بعثت الى عمر. . الى آخره . .

وفي رواية الحلبي كما اسلفنا : ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لبلال حينما دعاه للصلاة . . مر عمر بن الخطاب فليصل بالناس. . . الى آخره . .

وهنا لا بد لنا من وقفة تأمل . .

أولا ـ اذا كان ابو بكر ثقة، وكانت صلاته بالناس بامر من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلماذا تراجع النبي عن ذلك ؟ ! وخرج (صلى الله عليه وآله وسلم) للصلاة متكئا على علي، وعلى الفضل بن العباس، ورجلاه تخطان الارض كما اجمعت الروايات على ذلك .

ثانيا ـ على رواية ابن هشام الثانية : من ان النبي حينما دعاه بلال للصلاة قال (صلى الله عليه وآله وسلم) لعبد الله بن زمعة مروا من يصلي بالناس . . .

وعلى هذا حينما صلى عمر بالناس فلماذا اغتاظ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقال أين ابو بكر، يأبى الله ذلك والمسلمون . . فاذا كانت صلاة عمر مجزية ، وعن امر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث لم يعين شخصا بعينه للصلاة فلماذا قال : « يأبى الله ذلك والمسلمون . ولماذا حينما حضر ابو بكر اعاد الصلاة بالناس . . ؟!

ثالثا ـ على رواية الطبري ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : ابعثوا الي علي فادعوه فقالت عائشة : لو بعثت الى ابي بكر . وقالت حفصة : لو بعثت الى عمر . . الى آخره .

رابعا ـ ما رواه الحلبي في سيرته من أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لبلال : فليصل عمر . . فاجاب عمر : ما كنت لاتقدم على ابي بكر ـ غير ممتثل لامر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

خامساً ـ ما ذكره المفيد في ارشاده : من ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حينما كان في اشد حالات مرضه، ونادى بلال للصلاة قال: فليصل احدهم . فقالت عائشة : مروا ابا بكر ، وقالت حفصة: مروا عمر : الى آخره .

ونحن اذا تأملنا في هذه الروايات المتناقضة التي تارة تقول : ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) امر أبا بكر بالصلاة، وتارة تقول:

امر عمر . . وتارة تقول : لم يـأمر احـدا بعينه اصـلا، وانما جعـل ذلك للمسلمين يختاروا رجلا منهم يؤمهم ، وهكذا.

وهنا حينما يقف الباحث والمفكر امام هذه الروايات ، واختـلافها ، وتنـاقضها . . يـرى ان اكثرهـا جاء عن لسـان السيدة عـائشة والسيـدة عائشة مما لا يخفى على احد تحاملها على عـلي بن ابي طالب، ومـا كانت تكنه له من العداء اذ صرحت هي بذلك .

روى الحلبي في سيـرته أن السيـدة عائشـة لما ارادت ان تتـوجه من البصـرة بعد انقضـاء وقعـة الجمـل ـ الى المـدينـة ـ وخـرج النـاس ومن جملتهم علي (كرم الله وجهه) لتوديعهـا حيث قالت : والله مـا كان بيني وبين علي في القديم الا ما يكون بين المـرأة واحمائهـا . فقال عـلي : ايها الناس صدقت ، ما كان بيننا وبينها الا ذلك .[1].

وخـلاصة القـول: انه يستفـاد من هـذه الـروايـات التي ذكـرنـاهـا بخصوص الصلاة بالمسلمين في حال مرض النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) وبما اشتملت عليـه من المتنـاقضـات التي ذكـرنـاهـا ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يأمر احدا بالصلاة بالناس ـ .

وان الصواب ما ذكره المفيد في ارشاده وروايته هي المعقولة .

---

(١) السيرة الحلبية ـ ج ٣ ص ٣٨٢ .



قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إئتوني بدواة وكتف

روى ابن سعد في طبقاته عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « اشتكى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الخميس، فجعل ابن عباس يبكي ويقول: يوم الخميس. . وما يوم الخميس . . اشتد بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعه ، فقال : «ائتوني بدواة وصحيفة ، اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ابدا . . ».

قال ـ ابن عباس ـ فقال بعض من كان عنده : ان نبي الله ليهجر .

قال : فقيل له : ألا نأتيك بما طلبت؟ .

قال : أو بعد ماذا . . !

وروى ابن سعد في طبقاته ايضا: عن عبيد الله بن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس قال: « لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الوفاة، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « هلم اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده . »

فقال عمر: ان رسول الله قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله. . . فاختلف اهل البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . ومنهم من يقول ما قال عمر.

فلما كثر اللغط، والاختلاف . . وغمـوا رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: « قوموا عني . . . ».

فقال عبيد الله بن عبـد الله : فكان ابن عبـاس يقول: الـرزية كـل الرزية . . . ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم. [1]

وروى الطبري في تاريخه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ! قال : اشتد برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعه ، فقـال: ائتوني اكتب كتـاباً لا تضلوا بعـدي ابدا، فتنازعوا ـ ولا ينبغي عند نبي ان يتنازع ـ.

فقالوا : ما شأنه ؟ أهجر[2]! استفهموه . . !

فذهبوا يعيدون عليه، فقال : « دعوني فما انا فيـه خير مما تدعـونني اليه « واوصى بثلاث قال : « اخرجـوا المشركـين من جزيـرة العرب . . واجيزوا الوفد بنحو ممـا كنت اجيزه » وسكت ـ ابن عبـاس ـ عن الثالثـة عمدا ـ أو قال : فنسيتها . وفي رواية صحيح مسلم : فانسيتها .

وفي رواية للطبري ايضا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قـال: يوم الخميس وما يوم الخميس! .

قال ـ سعيد بن جبيرـ : ثم نظرت الى دموعه تسيل على خديه كانها نظام اللؤلؤ ـ . اي دموع ابن عباس ـ .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ـ ج ٢ ص ٣٦ .

(٢) اهجر : اي اختلف كلامه .

قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ائتوني باللوح والدواة ـ أو بالكتف والدواة ـ اكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده .

قال : فقالوا : ان رسول الله يهجر . »[1].

وذكر الحلبي في سيرته : « انه اجتمع عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رجال، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ابدا .

فقال بعضهم : وهو عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن . فارتفعت اصواتهم . . . فامرهم (صلى الله عليه وآله) بالخروج من عنده . »[2]

وروى ابن كثير في البداية والنهاية هذا الحديث من طرق متعددة وقال: ورواه البخاري في موضع آخر ومسلم من حديث سفيان بن عيينة عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: لما حُضر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي البيت رجال، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ابدا : فقال بعضهم : ان رسول الله قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف اهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده . ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا

---

(١) تاريخ الطبري : ج ٣ ص ١٩٣ .
(٢) السيرة الحلبية : ج ٣ ص ٣٨٢ .

اللغـو والاختـلاف، قـال رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) : قوموا . . الى آخره . .

وذكر الشيخ المفيد في ارشاده بعد أن ذكر ما كان من أمر الصلاة في المسجـد على مـا اسلفنا من انـه حينما رجـع النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) الى منـزله ، وقـد اغمي عليه من شـدة الـوجـع والتعب الـذي لحقـه ، والاسف الـذي تملكـه . مكث هنيهـة مغمى عليـه، وبكى المسلمون ، وارتفع النحيب من ازواجه، وولده ونساء المسلمين ، وجميع من حضر.

فلما افاق رسول الله (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) نظر اليهم ، ثم قال : « ائتوني بدواة وكتف لاكتب اليكم كتابا لا تضلوا بعده ابـدا، ثم اغمي عليه، فقام بعض من حضر يلتمس دواة وكتفا، فقـال له عمـر: ارجع ! فانه يهجر . . ! فرجع .

ونـدم من حضر عـلى ما كـان منهم من التضييع في احضـار الـدواة والكتف، وتـلاوموا بينهم ، وقالوا : انـا لله وانا اليـه راجعـون ، لقـد اشفقنا من خلاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

فلما افـاق (صلى الله عليـه وآله وسلم) قـال بعضهم : ألا نأتيـك بـدواة وكتف يا رسـول الله ؟ فقـال : ابعـد الـذي قلتم ! لا . . ولكني اوصيكم باهل بيتي خيرا .

واعـرض بـوجهـه عن القـوم . . فنهضـوا وبقي عنـده العبـاس ، والفضل بن العباس، وعـلي بن ابي طالب، واهـل بيته خـاصة (عليهم السلام) .

فقال له العباس : يا رسول الله ان يكن هذا الامر فينا مستقراً من بعدك فبشرنا ، وان كنت تعلم انا نغلب عليه فاقض بنا . . .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : انتم المستضعفون من بعدي . . واصمت . فنهض القوم وهم يبكون قد يئسوا من النبي (صلى الله عليه وآله) .

اقول: ليت شعري لو امتثل المسلمون أمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يختلفوا عنده، ويصفوه بانه يهجر ، واتوه بالدواة والصحيفة، او الكتف، وكتب لهم ما أراد من صلاح دينهم ودنياهم، لئلا يضلوا بعده أبدا .: لكان الاسلام عمَّ جميع ارجاء العالم لأنه يحمل بين دفتيه تعاليمه السامية ، وقوانينه الصالحة ، التي تتمشى مع جميع متطلبات الحياة في كل عصر ومصر.

لكن خالفوا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يمتثلوا أمره، واختلفوا عنده فحصل ما حصل من النزاع والاختلاف على مر العصور .

لم يأتوه (صلى الله عليه وآله وسلم) بالدواة والصحيفة . . خوفا من أن يجدد عليه وآله الصلاة والسلام العهد والولاية التي مرَّ ذكرها يوم غدير خم لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) .

والا للعاقل والمتأمل أن يسأل . . لماذا لم يحضروا له الدواة والكتف . . . ؟ اذا كان في ذلك صلاح الامة واجتماع الكلمة . . ولم يكن لبعضهم غرض او غاية .

واعتذار صاحب السيرة الحلبية عن قول عمر: ان النبي قد غلبه

الوجع ، وعندكم القرآن . . . الى آخره انما قال ذلك عمر (رضي الله عنه) تخفيفا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

هذا اعتذار غير مقبول . . لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ادرى بنفسه ، وبمصلحة المسلمين من عمر وغيره .

على أن موقف عمر بوجه الإتيان بالدواة والقرطاس كان هو العامل الاكبر لحصول النزاع ، والتفرقة بين المسلمين ، .

فكان عدم الاتيان بالدواة والقرطاس هو السبب في كل الحروب التي حصلت ، والمشاكل التي نشأت بين جماعات الامة الاسلامية وأفرادها من صدر الاسلام الى يومنا هذا . .

على أن النزاع وارتفاع الاصوات عند الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في حجرته ، وفي حال شدة مرضه كان اشد وقعا عليه، وازعاجا له (صلى الله عليه وآله وسلم) من كتابة كتاب للمسلمين لئلا يضلوا بعده ابدا . . حتى يقال: أن عمر بن الخطاب اراد بذلك تخفيفاً على رسول الله . . !

وقد اتفق الرواة والمؤرخون أنه حصل نزاع عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من جراء قول عمر بن الخطاب: ان النبي قد غلبه الوجع ـ أو ان النبي ليهجر ـ وعندكم القرآن . . الى آخره حتى علت الاصوات وكثر اللغط.

ومن تألم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لغطهم ، وضجيجهم ، وتنازعهم عنده حتى ضاق بهم ، قال لهم : قوموا عني . . . الى آخره.

وفي رواية ابن كثير : عندما قالوا له : ألا نأتيـك بدواة وقـرطاس ؟ اجابهم (صلى الله عليه وآله وسلم) : او بعدما ذا !!! .

وعندما طلب (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) الدواة والكتف . . . . وقالوا : انه يهجر . . استفهموه ؟ قال لهم : « دعوني فالذي انا فيه خير مما تدعونني اليه » .

ومعنى قوله ذلك والله العالم : ما انا فيه من شـدة المرض والألم ، خـير مما تـدعونني اليـه من الاستفهـام من أني اهجـر . . إذ انهم كـانـوا يدعونه للاستفهام .

ونسوا أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى .



وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

بعدما ذكرنا من اختلاف المسلمين حول طلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : الدواة والصحيفة، ليكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده ابدا .

وبعدما تنازعوا . . ولا ينبغي عند نبي تنازع .

وبعدما قالوا : أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يهجر . . استفهموه ، فذهبوا يعيدون عليه فقال: « دعوني فالذي انا فيه خير مما تدعونني اليه . . الى آخره .

بعد هذا كله على ما اسلفنا أوصى (صلى الله عليه وآله وسلم) بثلاث على ما ذكره ابن سعد في طبقاته ، عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس أنه قال : اوصى رسول الله بثلاث : قال: « اخرجوا المشركين من جزيرة العرب - واجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم - » وسكت عن الثالثة فلا ادري قالها : فنسيتها - أو سكت عنها عمدا كما أسلفنا[1] .

اقول: ان قول سعيد بن جبير عن ابن عباس « نسيتها او سكت عنها » مفهوم هذا السكوت من أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لو

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد - ج ٢ ص ٣٦ .

صرح بالولاية لعلي بن ابي طالب (عليه السلام) لحصلت البلبلة بالوقت الذي كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حالة احتضار تقريبا .

فلو صرح بها في ساعتها والحالة هذه حيث لاحت بوادر الفتنة بعدم امتثال اوامره - بتنفيذ جيش اسامة - وتلبية طلبه - باحضار الدواة والكتف وكتابة الكتاب . . . الى آخره .

ولو صرح بالولاية لعلي (عليه السلام) كما قلنا لازداد التشويش من الطامعين بالخلافة والسلطان .

على ان قول ابن عباس (رضي الله عنه) : فنسيتها - وفي بعض الروايات « فانسيتها » يدل بكل وضوح على خوف ابن عباس من التصريح والتوضيح بالحقيقة - وهي ولاية علي (عليه السلام) - ممن تولوا الحكم وخشيته بالانتقام منه وخصوصا بعد ابرام الامر في سقيفة بني ساعدة على ما سيأتي . اذ أخذ الذين استولوا على الحكم وتربعوا على دست الخلافة يضربون بيد من حديد كل من ينازعهم بالأمر، أو تحدثه نفسه معارضتهم، وارشادهم ، أو نصيحتهم . . .

وفي الارشاد للشيخ المفيد : أنه لما افاق رسول الله من غشيته قال بعضهم : ألا نأتيك بدواة وكتف يا رسول الله ؟ فقال : ابعد الذي قلتم ؟ ! لا . . . ولكني اوصيكم باهل بيتي خيرا . واعرض بوجهه عن القوم فنهضوا وبقي عنده العباس، والفضل بن العباس، وعلي بن ابي طالب واهل بيته خاصة (عليهم السلام) فقال له العباس: يا رسول الله ان يكن هذا الأمر فينا مستقراً من بعدك ، فبشرنا ، وان كنت تعلم

انا نغلب عليه فاقض بنا، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) « انتم المستضعفون من بعدي » واصمت . فنهض القوم وهم يبكون فقد يأسوا من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

فلما خرجوا من عنده قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ردوا علي اخي وعمي، فانفذوا من دعاهما، فحضرا ، فلما استقر بهما المجلس، قال عليه الصلاة والسلام : يا عم رسول الله، تقبل وصيتي، وتنجز عدتي، وتقضي ديني ؟؟ .

فقال العباس: يا رسول الله عمك شيخ كبير، ذو عيال كثير، وانت تباري الريح سخاء وكرما ،وعليك وعد لا ينهض به عمك .
فاقبل (صلى الله عليه وآله وسلم) على علي بن ابي طالب (عليه السلام) فقال: يا اخي تقبل وصيتي، وتنجز عدتي، وتقضي عني ديني، وتقوم بامر اهلي من بعدي ؟ .

فقال : نعم يا رسول الله.

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : ادن مني، فدنا منه ، فضمه اليه، ثم نزع خاتمه من يده فقال له : خذ هذا فضعه في يدك . ودعا بسيفه ، ودرعه ، وجميع لامته ، فدفع ذلك اليه، والتمس عصابة كان يشدها على بطنه اذا لبس سلاحه وخرج الى الحرب، فجيء بها اليه، فدفعها الى امير المؤمنين (عليه السلام) وقال له : امض على اسم الله تعالى الى منزلك .

فلما كان من الغد حجب الناس عنه ، وثقل في موضعه ، وكان علي (عليه السلام) لا يفارقه الا لضرورة ، فقام في بعض شؤونه ،

فـافاق رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) افـاقة ، فـافتقـد عليـا (عليـه السـلام) فقـال وازواجـه حـولـه : ادعـوا لي اخي وصـاحبي ، وعاوده الضعف، فاصمت .

فقالت عائشة : ادعوا له أبا بكر ، فدُعي فدخل عليـه، وقعد عنـد رأسه ، فلما فتح (صلى الله عليه وآلـه وسلم) عينيه نـظر اليه فـاعرض عنه ، بوجهه . فقام ابـو بكر فقـال : لو كـان له الي حـاجة لافضى بهـا الي .

فلما خـرج اعاد رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) القـول ثانية وقـال : ادعوا لي اخي وصـاحبي ، فقالت حفصـة : ادعوا لـه عمرا فدُعي ، فلما حضر ورآه رسول الله اعرض عنه ، فانصرف .

ثم قال (صلى الله عليـه وآله وسلم) : ادعـوا لي اخي وصاحبي : فقـالت ام سلمة (رضي الله عنهـا) : ادعوا لـه علياً (عليـه السـلام) فانه لا يريد غيره ، فدُعي علي (عليه السلام) .

فلما دنا منه أومـأ اليه ، فـاكب عليه ، فنـاجاه رسـول الله طويـلا ، ثم قـام فجلس نـاحيـة حتى اغفى رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) . فلما اغفى خرج فقال له الناس : مـا الذي أوعـز اليك يـا ابا الحسن ؟ .

فقال : علمني الف باب من العلم ، فتـح لي كل بـاب الف باب ، واوصاني بما انا قائم به انشاء الله تعالى .

وروى ابن سعـد في طبقـاتـه عن ام سلمـة : أن النبي (صـلى الله

عليـه وآله وسلم) وهـو في الموت ، جعـل يقول : « الصـلاة الصـلاة، وما ملكت ايمانكم » .

وروى ابن سعـد ايضاً عن كعب بن مـالك أنـه قـال: اغمي عـلى رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) ، سـاعة ، ثم افـاق، فقال : « الله ـ الله ـ فيـما ملكت ايمـانكم ، البسـوا ظهورهم ، واشبـعـوا بطونهم ، وألينوا لهم القول .



حديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مع ابنته فاطمة (عليها السلام) في مرضه

روى ابن سعد في طبقاته عن عروة عن عائشة: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا فاطمة ابنته في وجعه الذي توفي فيه ، فسارَّها بشيء . . . فبكت .

ثم دعاها ، فسارَّها . . فضحكت .

قالت ـ عائشة ـ : فسألتها عن ذلك فقالت : اخبرني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه يقبض في وجعه هذا . . فبكيت .

ثم اخبرني اني اول اهله لحاقاً به . . فضحكت .[1]

وروى ابن كثير في البداية والنهاية عن مسروق عن عائشة انها قالت : « اجتمع نساء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنده، لم يغادر منهن امرأة ، فجاءت فاطمة تمشي، لا تخطىء مشيتها مشية ابيها .

فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : مرحباً بابنتي، فاقعدها عن يمينه ، أو شماله .

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ـ ج٢ ص ٣٠ .

ثم سارها بشيء . . . فبكيت .

ثم سارّها بشيء . . فضحكت .

فقلت لها : خصك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسرار، وانت تبكين ؟ ! فلما ان قامت ، قلت لها : اخبريني ما سارك ؟ .

فقالت : ما كنت لافشي سر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فلما تُوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قلت لها : اسألك لما لي عليك من الحق لما اخبرتِني . . . ؟

قالت : اما الآن . . فنعم .

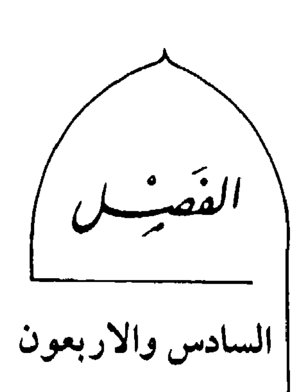
قالت : سارّني في الأول، قال لي: ان جبريل كان يعارضني في القرآن كل سنة مرة، وقد عارضني في هذا العام مرتين، ولا ارى ذلك الا لاقتراب اجلي. فاتقي الله واصبري، فنعم السلف انا لك . فبكيت .

ثم سارّني فقال: أما ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء العالمين . . فضحكت[1].

وفي اكثر الروايات : انت اول اهلي لحاقا بي . . . فضحكت .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ـ ج ٥ ص ١٢٦ .


الفصل
السادس والاربعون



وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

روي أنـه لما اشتـدت الحمى على الـرسـول (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) ، وتـزايد الخـطر على حيـاته ، دعـا بقدح فيـه ماء بـارد، فكان يدخل يده الشريفة في القدح ، ثم يمسح وجهه بالماء، ثم يقـول: اللهم اعني على سكرات الموت .

وروي ايضـاً : أن الحمى كانت تصـل بـه (صلى الله عليـه وآلـه وسلم) حتى يغشى عليـه احيـانـا ، ثم يفيق، وهـو يعـاني منهـا اشـد الكـرب، حتى قالت فـاطمة (عليهـا السلام) : يـوما وقـد حز الألم في نفسها لشدة الم ابيها :

واكرب ابتاه . . ! فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لا كـرب على ابيك بعد اليوم .

وفي رواية : واكربي لكربك يا ابتاه .

وذكـر الشيخ المفيـد في الارشاد أنـه لما اشتـدت وطـأة المـرض عـلى الرسول (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ، وثقل، وحضـره الموت ، وامـير المؤمنين علي (عليه السلام) حـاضر عنـده . وقرب خـروج نفسه قـال له : ضع يا علي رأسي في حجرك ، فقد جـاء امر الله تعـالى. . . فاذا فـاضت نفسي، فتناولهـا بيـدك، وامسـح بهـا وجهـك ، ثم وجهني الى

القبلة، وتول امري، وصل علي أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالى.

فاخذ علي (عليه السلام) رأسه الشريف فوضعه في حجره، فاغمي عليه عندها اكبت فاطمة (عليها السلام) تنظر في وجه ابيها، وتندبه وتبكي وتقول :

وابيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للارامل

ففتح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عينه وقال بصوت ضئيل : يا بنية هذا قول عمك ابي طالب، لا تقوليه، ولكن قولي :

﴿ **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على اعقابكم** ﴾ فبكت طويلا، فاومأ اليها بالدنو منه، فدنت منه، فاسر اليها شيئاً تهلل وجهها له.

ثم قُبض عليه الصلاة والسلام ويد امير المؤمنين (عليه السلام) اليمنى تحت حنكه، ففاضت نفسه الشريفة فيها، فرفعها الى وجهه فمسحه بها.

ثم وجهه، وغمضه، ومد عليه ازاره، واشتغل بالنظر في امره.

وفي السيرة الحلبية ان فاطمة (عليها السلام) لما تُوفي رسول الله، قالت : « وأبتاه.. اجاب داع دعاه.. يا أبتاه.. الفردوس مأواه.. يا أبتاه الى جبريل ننعاه.. ».

وفي الطبقات لابن سعد عن جابر بن عبد الله الانصاري، أن

كعب الاحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عنده: ما كان آخر ما تكلم به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟.

فقال عمر: سل علياً. . قال : أين هو؟ قال: هو هنا . . . فسأله :

فقال علي: اسندته الى صدري، فوضع رأسه على منكبي، فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : الصلاة الصلاة.

فقال كعب: كذلك آخر عهد الانبياء وبه أمروا ، وعليه يبعثون .

وفي الطبقات ايضا: عن الشعبي قال: تُوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ورأسه في حجر علي. وغسله علي والفضل محتضنه واسامة يناول الفضل الماء.

وفي الطبقات ايضا : عن ابي غطفان انه قال: سألت ابن عباس: ارأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) توفي ورأسه في حجر أحد ؟.

قال : تُوفي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو لمستند الى صدر علي.

قلت : فان عروة حدثني عن عائشة انها قالت : توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين سحري ونحري[1].

فقال ابن عباس: اتعقل والله لتوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وانه لمستند الى صدر علي . .وهو الذي غسله واخي الفضل بن

---

(١) السحر : الرئة وما يتصل بها الى الحلقوم . والنحر اعلى الصدر .

عباس، وأبى أبي أن يحضر وقال: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يأمرنا أن نستتر . فكان عند الستر . [1]

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن احمد بن حنبل بسنده عن ام سلمة قالت: والذي احلف به، ان كان علي لاقرب الناس عهدا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . عدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غداة ، وهو يقول: جاء علي. . . جاء علي . . مرارا . فقالت فاطمة : كأنك بعثته في حاجة ؟ فجاء بعد . . .

قالت ام سلمة : فظننت أن له اليه حاجة ، فخرجنا من البيت، فقعدنا عند الباب، وكنت من ادناهم ـ اقربهم ـ الى الباب ، فاكب عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعل يساره ويناجيه ، ثم قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من يومه ذلك ، فكان علي اقرب الناس عهدا به .

وفي السيرة النبوية لابن هشام : عن ابن اسحاق : عن عائشة أنها قالت : مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بين سحري ونحري، وفي دولتي، ولم اظلم فيه احدا ، فمن سفهي وحداثة سني ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قُبض وهو في حجري، ثم وضعت رأسه على وسادة، وقمت التدم[2] مع النساء ، واضرب وجهي .

وروى ابن كثير في البداية والنهاية عن ذكوان مولى عائشة: ان

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : ج٢ القسم الثاني ص ٥١ .
(٢) التدم : اضرب صدري .

عـائشة كـانت تقول: ان من نعمـة الله علي، ان رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) تـوفي في يومي، وفي بيتي ، وبـين سحري ونحـري، وان الله جمع بين ريقي وريقه عند الموت.

اقـول: الصحيح الـذي عليه العقـلاء، مـا رواه الشيـخ المفيـد في الارشـاد، وابن سعد في الـطبقـات من أن النبي (صَلىٰ الله عليـه وآلـه وسلم) تُوفي ورأسه في حجر علي (عليه السلام) .

وما رُوي من أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) توفي ورأسـه في حجر عائشة حيث قـالت : ـ تُوفي رسـول الله بين سحري ونحري ـ لا يمكن أن يصح فانه مثل حـالة الاحتضـار عند الأنسـان لم تجر عـادة ان تتولاه النساء، مع ما فيهن من الضعف والجزع . .

ولا يمكن أن يغيب عن النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) علي بن ابي طـالب في ساعـة الاحتضار، ويـوكله الى النسـاء. في الـوقت الـذي نجده (عليه السـلام) لم يفارق النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) إذ تـولى تغسيله وتكفينـه » حتى واراه في قبـره، في حـين ذهب اصحـاب الاطماع الى سقيفة بني ساعدة لابرام امر الخلافة على ما سيأتي.

وليس من المعقول أن يكون النبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) في حالة الاحتضار ولم يكن عنده سوى زوجته عائشة. . ! وهذا لا يحصل لاقل الناس معنوية ومقاما، فكيف بالنبي (صلى الله عليه وآلـه وسلم) الذي كانت تأتيه الوفود من كل حـدب وصوب وتحـدوا الركبـان باسمـه وطار صيته في الآفاق كما قال الاعشى :

نبي يـرى مـا لا تـرون وذكـره اغـار لعمري في البـلاد وانجـدا

فيكون وحده وليس معه سوى عائشة ! واين عنه اصحابه واهلوه ؟ كعمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه وصهره علي وبقية بني هاشم ؟ ! بل اين سائر نسائه امهات المؤمنين ؟ واين ابنته العزيزة فاطمة (عليها السلام) التي توفيت بعده ولحقت به سريعا لشدة حزنها وجزعها لفراقه . .

والمتأمل يرى أن الاخبار الواردة أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) توفي في حجر السيدة عائشة، وبين سحرها ونحرها . . صادرة عن السيدة عائشة . نفسها . . . والباعث على هذه الروايات معروف .

والاعجب ان ابن كثير الشامي يروي عن عائشة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : وهو في اشد حالات مرضه : « ليهون علي أني رأيت بياض كف عائشة في الجنة »[1] .

واحسب ان ابن كثير اراد أن يبالغ في محبة الرسول لعائشة ، ويعطيها من المعنويات ما استطاع ، فتطاول من حيث لا يشعر كأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن همه من الدنيا والحياة سوى السيدة عائشة . . ! فليتأمل المتأمل .

اعود فاقول: لقد اختار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الرفيق الاعلى في الجنة مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين ، وحسن اولئك رفيقا . على البقاء والحياة في هذه الدنيا الزائلة التي ملئت بالفتن ، والجور والطغيان . تاركا قوما جاءهم

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ـ ج٥ ص ٢٣٩ .

بالخير والهدى والسعادة، حيث جمعهم على الايمان بالله الواحد القهار، بعد ان كانوا مشركين كفارا .

بقي صلوات الله عليه وآله مدة تزيد على العشرين سنة يجاهد ويناضل في سبيل ارساء قواعد الاسلام ونشر تعاليمه الداعية الى المحبة، والالفة، ومكارم الاخلاق.

لكنه (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما ناشدهم في مرضه الذي تُوفي فيه ، وهو يعاني من آلام الحمى ووطأة المرض أن يأتوه بدواة وقرطاس ليكتب لهم كتابا لن يضلوا بعده ابداً . . . ـ باجماع اهل التاريخ واصحاب السير كما اسلفنا ـ خالفوه ولم ينفذوا أمره ، ولم يلبوا طلبه ، بل وصفوه ، بانه يهجر . . وما الى غير ذلك من المخالفات والنعوت التي لا تجوز على الانبياء.

لقد يئس الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) من القوم الذين احسن اليهم إذ جعلهم مسلمين بعد ان كانوا مشركين كما اسلفنا، وصاروا ملوكا بفضل الاسلام بعد ان كانوا سوقة . . وجعلهم اعزة بعد ان كانوا أذلة . .

وحين اختار الرفيق الاعلى، دعا علي بن ابي طالب (عليه السلام) الذي هو نفسه، لتلقينه العلوم واسرار الكون، ولتفيض نفسه الشريفة في حجره وهو مستند الى صدره .

وكانت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة من هجرته (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو ابن ثلاث وستين سنة على ما ذكره الشيخ المفيد في الارشاد.

وعلى كل المشهور بين العلماء ان وفاته (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت يوم الاثنين عند الزوال لليلتين بقيتا من صفر وهو قول اكثر الامامية .

وقال الكليني : انه (صلى الله عليه وآله وسلم) تُوفي لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة احدى عشر من الهجرة ، وقال الطبرسي : في اعلام الورى، سنة عشر من الهجرة .

وقال الطبري في تاريخه : اما اليوم الذي مات فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا خلاف بين اهل العلم بالاخبار فيه انه كان يوم الاثنين من شهر ربيع الاول. غير أنه اختلف في أي الاثانين كان موته (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ .

فعن فقهاء اهل الحجاز، قالوا : قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول.

وقال الواقدي : توفي يوم الاثنين، لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول،ودفن من الغد نصف النهار حين زاغت الشمس، وذلك يوم الثلاثاء.

وقال ابن سعد في الطبقات : توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الثلاثاء. وقيل غير ذلك والله العالم .

وذكر السيد محسن الامين في سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله سولم) ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تُوفي وعمره ثلاث وستون

سنة ، بعث وعمره اربعـون سنة ، واقـام بمكة بعـد البعثة ثـلاث عشرة سنة ، وبالمدينة بعد الهجرة، عشر سنين .

ولما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان ابو بكر بمنزله بالسنح خارج المدينة . قال الطبري وابن سعـد وغيرهمـا : فقال عمـر: ان رسـول الله مـا مـات ولكنـه ذهب الى ربـه، كـما ذهب مـوسى بن عمران، فغاب عن قومه اربعين ليلة، ثم رجع بعد ان قيل قد مات . . والله، ليرجعن رسول الله فليقـطعن ايدي رجـال وارجلهم يزعمـون انه قد مات .

وفي روايـة ابن سعد: أن عمرا دخل عليـه هو والمغيـرة بن شعبة، فكشفا الثوب عن وجهه ، فقال عمر: ما اشد غشي رسول الله . . . ثم قاما فلما انتهيا الى الباب ، قال المغيرة : يا عمر مات والله رسول الله .

فقال عمر : كذبت ما مات رسول الله . . الحديث.

واقبل ابو بكر وكان بالسنح[1]حين بلغه الخبـر، فدخـل، فرآه، ثم خـرج فقال : ايهـا النـاس مـن كان يعبـد محمدا فـان محمـدا قـد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يمـوت . ثم تلا هـذه الآية : ﴿ **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾ الآية . . قال عمر: فلما تـلاها وقعت الى الارض، وعـرفت أن رسول الله (صـلى الله عليـه وآله وسلم) قد مات .

اقول: لنقف هنا وقفة المتأمـل: هل ان عمـر بن الخطاب كـان من

---

(١) السنح : موضع بينه وبين المدينة نصف فوسخ ـ بل هو طائفة من المدينة .

الغباء بحيث يخفى عليه موت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد ان كشف عن وجهه وتأكد !؟ . ـ ام كان انكاره لموت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك الوقت لغرض آخر . . . ! أو لحاجة في نفسه . . . لا .

فعمر هو اذكى من أن يخفى عليه موت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) . فقد سبق له أن وقف مثل هذا الموقف وذلك في مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين طلب (صلى الله عليه وآله وسلم) الدواة والصحيفة . . . فقال عمر . . مثبطا : حسبنا كتاب الله .

وعلى اي حال فالمظنون ان عمر لم يكن ليخفى عليه موت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن الذي دعاه الى ذلك أمر سياسي في المقامين . فاراد في المقام الأول صرف الناس عن امر الصحيفة وكتابتها . . . وفي المقام الثاني: صرفهم عن التكلم في امر الخلافة واشغالهم بشيء آخر، حتى يحضر ابو بكر لأنه كان غائبا كما اسلفنا والله العالم .

قصة السقيفة

جاء في تاريخ ابن الاثير انه : « لما تُوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اجتمع الانصار ، في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة . فبلغ ذلك ابا بكر ، فاتاهم ومعه عمر ، وابو عبيدة بن الجراح ، فقال : ما هذا . .؟!

فقالواوا : منا امير ، ومنكم امير .

فقال ابو بكر : منا الامراء ، ومنكم الوزراء ، ثم قال ابو بكر : قد رضيت لكم احد هذين الرجلين . . عمر . . وأبا عبيدة امين هذه الأمة .

فقال عمر بن الخطاب : ايكم يطيب نفساً ان يخلف قدمين قدمهما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . . . فبايعه عمر وبايعه الناس .

فقالت الأنصار : لا نبايع الا علياً .

وتخلف علي (عليه السلام) وبنو هاشم ، والزبير ، وطلحة عن البيعة ، وقال الزبير : لا اغمد سيفا حتى يبايع علي. فقال عمر : خذوا سيفه واضربوا به الحجر[1] .

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الاثير - ج٢ ص ٢٢٠ .

وذكر ابن قتيبة في كتابه الامامة والسياسة ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)لما قبض ، اجتمعت الانصار الى سعد بن عبادة ، فقالوا له : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد قبض . فقال سعد لابنه قيس (رضي الله عنه) : اني لا استطيع أن أُسمع كلاما لمرضي ، ولكن تلق مني قولي فاسمعهم ، فكان سعد يتكلم ، ويحفظ ابنه قوله ، فيرفع صوته ، لكي يسمع قومه . فكان مما قال (رضي الله عنه) بعد ان حمد الله واثنى عليه :

« يا معشر الانصار ان لكم سابقة في الدين ، وفضيلة في الإسلام ، ليست لقبيلة من العرب . ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لبث في قومه بضع عشرة سنة ، يدعوهم الى عبادة الرحمن ، وخلع الاوثان ، فما آمن به من قومه الا قليل ، والله ما كانوا يقدرون ان يمنعوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولا يعرفوا دينه ، ولا يدفعوا عن انفسهم ، حتى اراد الله تعالى لكم الفضيلة ، وساق اليكم الكرامة ، وخصكم بالنعمة ، ورزقكم الايمان به وبرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، والمنع له ولاصحابه ، والاعزاز لدينه ، والجهاد لاعدائه ، فكنتم اشد الناس على من تخلف عنه منكم ، واثقله على عدوكم من غيركم ، حتى استقاموا لأمر الله تعالى طوعاً وكرها ، واعطى البعيد المقادة صاغراً داحرا ، حتى اثخن الله تعالى لنبيه بكم الأرض ، ودانت باسيافكم له العرب ، وتوفاه الله تعالى وهو راض عنكم قرير العين . فشدوا ايديكم بهذا الأمر ، فانكم احق الناس واولاهم به .

فاجابوه جميعاً : أن قد وُفقت في الرأي واصبت في القول ، ولن نعدوا ما رأيت توليتك هذا الامر ، فانت مقنع ، ولصالح المؤمنين رضا .

اقول : لقد تقدم الكلام عن ابن الاثير : ان الانصار قالوا : « لا نبايع الا علياً » . . . واحسبهم انما قالوا لسعد : « لن نعدوا ما رأيت توليتك هذا الأمر . . . » كما في رواية ابن قتيبة عندما علموا ان الخلافة لن تؤول الى صاحبها الشرعي علي بن ابي طالب (عليه السلام) وسيخرجها عنه اعداؤه وحساده . بكل حيلة أو وسيلة. وخصوصاً لما رأوا المؤامرات تحاك ضده والنبي كان لا يزال على قيد الحياة.

ويمضي ابن قتيبة فيقول : واتى الخبر الى ابي بكر ، ففزع اشد الفزع ، وقام معه عمر ، فخرجا مسرعين الى سقيفة بني ساعدة ، فلقيا ابا عبيدة بن الجراح ، فانطلقوا جميعاً ، حتى دخلوا سقيفة بني ساعدة ، وفيها رجال من الاشراف ، معهم سعد بن عبادة ، فاراد عمر ان يبدأ بالكلام ، وقال : خشيت ان يقصر ابو بكر عن بعض الكلام . فلما تيسر عمر للكلام ، تجهز ابو بكر وقال له : على رسلك . . . ثم تشهد ابو بكر وقال : ان الله جل ثناؤه بعث محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) بالهدى ودين الحق فدعا الى الإسلام ، فاخذ الله تعالى بنواصينا وقلوبنا الى ما دعا اليه ، فكنا معشر المهاجرين اول الناس اسلاما ، والناس لنا فيه تبع ، ونحن عشيرة رسول الله . . . إلى آخره .

الى أن قال : مخاطباً الانصار : وانتم احق الناس ألا يكون هذا الامر واختلافه على ايديكم ، وابعد أن لا تحسدوا اخوانكم على خير ساقه الله تعالى اليهم ، وانما ادعوكم الى ابي عبيدة أو عمر ، وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الأمر ، وكلاهما له اهل .

فقال عمر وابو عبيدة : ما ينبغي لأحد من الناس ان يكون فوقك يا ابا بكر . . .

فقام الحباب بن المنذر فقال : يا معشر الانصار ، املكوا عليكم أيديكم ، فانما الناس في فيئكم وظلالكم ، ولن يجتريء مجتريء على خلافكم ، ولن يصدر الناس الا عن رأيكم ، انتم اهل العز والثروة ، واولو العدد والنجدة ، وانما ينظر الناس ما تصنعون ، فلا تختلفوا ، فيفسد عليكم رأيكم ، وتقطع اموركم ، انتم اهل الايواء والنصرة ، واليكم كانت الهجرة ، ولكم في السابقين الاولين مثل ما لهم ، وانتم اصحاب الدار والايمان من قبلهم ، والله ما عبدوا الله علانية الا في بلادكم ، ولا جمعت الصلاة الا في مساجدكم ، ولا دانت العرب للاسلام الا باسيافكم ، فانتم اعظم الناس نصيباً في هذا الأمر ، وان ابى القوم ، فمنا اميرومنهم امير .

فقام عمر فقال : هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد ، انه والله لا ترضى العرب ان تؤمركم ونبيها من غيركم ، ولكن العرب لا ينبغي ان تولي هذا الامر الا من كانت النبوة فيهم ، واولوا الأمر منهم ، لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة ، والسلطان المبين ، من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ، ونحن اولياؤه وعشيرته ، الا مدل بباطل ، او متجانف لاثم ، او متورط في هلكة . . .

فقام الحباب بن المنذر فقال : يا معشر الانصار : املكوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه . . . فان ابوا عليكم ما سألتم ، فاجلوهم عن بلادكم ، وتولوا هذا الامر عليهم ، فانتم اولى بهذا الامر منهم فانه دان لهذا الامر ما لم يكن يدين له باسيافنا ـ انا

جذيلها المحكك[1] وعذيقها المرجب اما والله ان شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد علي احد ما اقول الا حطمت انفه بالسيف . . .

لكن بشير بن سعد ، وكان من سادات الخزرج ، حينما رأى الانصار مجتمعين حول سعد بن عبادة ، اخذه الحسد فخالف قومه الانصار وقال : يا معشر الانصار ، اما والله لئن كنا اولي الفضيلة في جهاد المشركين ، والسابقين في الدين ، ما اردنا غير رضا ربنا ، وطاعة نبينا ، والكرم لانفسنا . وما ينبغي ان نستطيل بذلك على الناس، ولا نبتغي به عوضا من الدنيا . ثم ان محمدا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)رجل من قريش ، وقومه احق بميراثه ، وتولي سلطانه ، وايم الله لا يراني الله انا زعهم هذا الأمر ابداً . . .

---

(١) هذا مثل يضرب لمن كان يستشفى برأيه وعقله ، والجذيل تصغير الجذل وهو اصل الشجرة ، والمحكك الذي تحك به الابل الجربى ، وهو عود ينصب في مباركها . والعذيق تصغير العذق وهو النخلة ، والمرجب الذي جعل له رجبة وهي دعامة تبنى حولها من الحجارة وذلك اذا كانت النخلة كريمة ـ وهذا تصغير يراد به التكبير .



كيفية البيعة لأبي بكر

ذكر ابن قتيبة في الامامة والسياسة : ان ابا بكر قام على الانصار فحمد الله واثنى عليه ، ثم دعاهم الى الجماعة ، ونهاهم عن الفرقة ، وقال : اني ناصح لكم في احد هذين الرجلين : ابي عبيدة بن الجراح ، أو عمر . . فبايعوا من شئتم منهما ، فقال عمر : معاذ الله ان يكون ذلك ، وانت بين اظهرنا ، انت احقنا بهذا الأمر ، واقدمنا صحبة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وافضل منا في المال ، وانت افضل المهاجرين . . . ثم قال : فمن ذا ينبغي ان يتقدمك ، ويتولى هذا الامر عليك . ابسط يدك ابايعك . فلما ذهبا يبايعانه ، سبقهما اليه بشير الانصاري فبايعه .

فناداه الحباب بن المنذر : يا بشير ابن سعد ، عقك عقاق ، ما اضطرك الى ما صنعت ؟! حسدت ابن عمك على الامارة . . . ؟

قال ـ بشير ـ : لا والله ، ولكني كرهت أن انازع قوماً حقاً لهم .

فلما رأت الاوس ما صنع بشير بن سعد وهو من سادات الخزرج ، وما دعوا اليه المهاجرين من قريش ، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة ، قال بعضهم لبعض ، وفيهم اسيد بن حضير : لئن وليتموها سعدا عليكم مرة واحدة ، لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ، ولا جعلوا لكم فيها نصيباً ابداً ، فقوموا فبايعوا ابا بكر فقاموا اليه فبايعوه .

فقام الحباب بن المنذر الى سيفه فاخذه ، فبادروا اليه ، فاخذوا سيفه منه ، فجعل يضرب بثوبه وجوههم ، حتى فرغوا من البيعة ، فقال : فعلتموها يا معشر الانصار ؟! اما والله لكأنيَ بابنائكم على ابواب ابنائهم قد وقفوا يسألونهم باكفهم ولا يسقون الماء .

فقال سعد بن عبادة ـ لأبي بكر ـ اما والله لو ان لي ما اقدر به على النهوض، لسمعتم مني في اقطارها زئيرا يخرجك انت واصحابك ولالحقتك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع ، خاملا غير عزيز .

فبايع الناس ابا بكر حتى كادوا يطؤن سعدا . فقال سعد : قتلتموني فقيل : اقتلوه قتله الله ـ وفي اكثر الروايات أن عمراً قال اقتلوا سعدا قتله الله ـ .

فقال سعد : احملوني من هذا المكان ، فحملوه ، فادخلوه داره وترك اياما . ثم بعث اليه ابو بكر ان اقبل فبايع ، فقد بايع الناس ، وبايع قومك ، فقال : أما والله حتى ارميكم بكل سهم في كنانتي. واخضب منكم سناني ورمحي ، واضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، واقاتلكم بمن معي من اهلي وعشيرتي ، ولا والله لو ان الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتى اعرض على ربي ، واعلم حسابي .

فلما اتى بذلك ابو بكر من قوله: قال عمر: لا تدعه حتى يبايعك فقال لهم بشير بن سعد : انه قد ابى ولج ، وليس يبايعك حتى يقتل ، وليس بمقتول حتى يقتل ولده معه ، واهل بيته وعشيرته ، ولن تقتلوهم حتى يقتل الخزرج ، ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الاوس ، فلا تفسدوا على انفسكم امراً قد استقام لكم ،فاتركوه فليس تركه بضاركم .

فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ، ولا يجتمع بجمعتهم ، ولا يفيض بافاضتهم ، ولو يجد عليهم اعواناً لصال بهم ، ولو يبايعه احد على قتالهم لقاتلهم فلم يزل كذلك حتى توفي ابو بكر ، وولي عمر بن الخطاب فخرج سعد الى الشام ، فمات بها ولم يبايع لاحد رحمه الله[1] .

وذكر الطبرسي في الاحتجاج أنه لما ولي عمر خشي سعد غائلته ، فخرج الى الشام ، فمات بحوران[2] وكان سبب موته أن رمي بسهم في الليل فقتله . وزعم ان الجن رموه ، انهم قالوا :

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة
ورميناه بسهمين فلم نخطيء فؤاده

وقيل ايضاً : ان محمد بن سلمة الانصاري تولى ذلك بجعل جعل له عليه . وقيل ايضاً : انه تولى ذلك المغيرة بن شعبة ، وقيل الذي قتله خالد بن الوليد .

وبايع جماعة الانصار ، ومن حضر من غيرهم ، وعلي بن ابي طالب (عليه السلام) مشغول بجهاز رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فلما فرغ من ذلك وصلى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والناس يصلون عليه من بايع ابا بكر ومن لم يبايع جلس في المسجد ، فاجتمع عليه بنو هاشم ، ومعهم الزبير بن العوام ، واجتمعت بنو أمية الى عثمان بن عفان ، وبنو زهرة الى عبد الرحمن بن عوف . فكانوا في

---

(١) الأمامة والسياسة لابن قتيبة .

(٢) حوران : كورة واسعة من اعمال دمشق .

المسجد كلهم مجتمعين اذ أقبل ابو بكر ومعه عمر وابو عبيدة بن الجراح ، فقالوا : ما لنا نراكم حلقا شتى . . . قوموا فبايعوا ابا بكر ، فقد بايعته الانصار ، والناس .

فقام عثمان وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما فبايعوا . وانصرف علي وبنو هاشم الى منزل علي (عليه السلام) ومعهم الزبير[1] .

وفي رواية ابن قتيبة ان . بني هاشم اجتمعت عند بيعة الانصار الى علي بن ابي طالب ، ومعهم الزبيربن العوام ، وكانت امه صفية بنت عبد المطلب ، وانما كان يعد نفسه من بني هاشم ، وكان علي (عليه السلام) يقول : ما زال الزبيرمنا . . حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا .

وروى الشيخ المفيد : انه جاء ابو سفيان الى باب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي والعباس متوفران على النظر في امره . . . فنادى باعلى صوته .

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أوعدي
فما الامر الا فيكم واليكم وليس لها الا ابو حسن علي
ابا حسن فاشدد بها كف حازم فانك بالامر الذي ترتجى ملي

ثم نادى ابو سفيان : يا بني هاشم . . . يا بني عبد مناف ، ارضيتم أن يلي عليكم - ابو فصيل ؟! . اما والله لو شئتم لأملأنها عليهم خيلا ورجلا .

فناداه علي (عليه السلام) : ارجع يا ابا سفيان ، فوالله ما تريد الله بما

---

(١) الاحتجاج للطبرسي : ج ١ ص ٩٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقول . . . وما زلت تكيد للإسلام واهله ، ونحن مشاغيل برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وعلى كل امرىء ما اكتسب وهو ولي ما احتقب[1] .

وفي رواية ابن الاثير انه قال : لما اجتمع الناس على بيعة ابي بكر أقبل ابو سفيان وهو يقول : اني لأرى عجاجه لا يطفئها الادم يا آل عبد مناف . . .

فيم ابو بكر من اموركم ؟!! اين المستضعفان؟! اين الاذلان ؟! علي والعباس ، ما بال هذا الامر في اقل حي من قريش ؟!

ثم قال لعلي ابسط يدك ابايعك . . . فزجره علي وقال : والله انك ما اردت بهذا الا الفتنة ، وانك والله طالما بغيت للإسلام شراً . . . لا حاجة لنا في نصيحتك .

ولما لم يجد ابو سفيان تجاوبا من علي (عليه السلام) ، ولا من العباس (رضي الله عليه) انصرف الى المسجد يحرض الناس ضد ابي بكر ، وعمر ، فلم يجد اذنا صاغية ، لأنه معروف بعد اوته للاسلام وعدم اخلاصه . . . وهو من المؤلفة قلوبهم .

لكن الظاهر ان ابا سفيان اراد ان يستغل الموقف فهو يعلم ان ابا بكر وعمر قد طلبا الخلافة ، وحزبها قوي ، ولا يقابله الا حزب بني هاشم ، فعمل على تحريضهم . . . واستنهاضهم . . . يعدهم النصر والعون ، لعلهم يقومون بمعارضة حزب الشيخين ، فاذا نهضوا

(١) احتقب الاثم : جمعه كأنه احتمله من خلفه ـ ادخره ، لأن الانسان حامل لعمله ومدخر له .

للمعارضة ، وقعت الفتنة بين المسلمين وهذا جل ما يريده ويتمناه لأنه لم يدخل في الاسلام الا كارها ، وحقده عليه لم تنطفيء جمرته ، وكما قال له علي (عليه السلام) : ما اردت بهذا الا الفتنة ، وطالما بغيت للاسلام شرا .

وكان ابو سفيان مستغلا لبيعة ابي بكر ، وهو يرى . . ان وقعت الفتنة كان هو الرابح على كل حال ، لأنه ان تغلب حزب الهاشميين ، كان معهم ، وكان له بذلك اليد الطولى عندهم .

وان تغلب حزب الشيخين ، كان هو رأس من رؤوس المناوئين - - المعارضة - وقد يلتجؤا الى ارضائه بالمال ، او بالمنصب لجلبه اليهم ، وجعله بجانبهم ، وقد حصل له ذلك .

روى الطبري بسنده قال : لما استخلف ابو بكر ، قال ابو سفيان : ما لنا ولأبي فصيل . . . انما هي بنو عبد مناف . فقيل له : انه قد ولى ابنك . . . قال : وصلته رحم . فاسكته وانحاز اليه بتوليه يزيد بن ابي سفيان الشام .

احتجاج علي (عليه السلام) على ابي بكر وعمر بمثل ما احتجابه على الانصار

جاء في الامامة والسياسة لابن قتيبة : ان علياً (كرم الله وجهه) أُتي به الى ابي بكر وهو يقول انا عبد الله ، واخو رسوله ، فقيل له : بايع ابا بكر فقال : انا احق بهذا الامر منكم ، لا ابايعه ، وانتم اولى بالبيعة لي .

اخذتم هذا الامر من الانصار ، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي (صلى الله عليه وآله . وسلم) .

وتأخذونه منا اهل البيت غصباً ؟! الستم زعمتم للانصار انكم اولى بهذا الامر منهم لما كان محمد منكم . فاعطوكم ، المقادة ، وسلموا اليكم الامارة .

وانا احتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الانصار . . . نحن اولى برسول الله حيا وميتا . فانصفونا ان كنتم تؤمنون ، فبوءوا بالظلم وانتم تعلمون .

فقال له عمر : انك لست متروكاً حتى تبايع .

فقال له علي : احلب حلبالك شطره ، واشدد له اليوم امره يردده عليك غدا .

ثم قال علي : والله يا عمر لا اقبل قولك ولا ابايعه . فقال له ابو بكر : فان لم تبايع فلا اكرهك فقال ابو عبيدة بن الجراح لعلي : يا ابن عم ، انك حديث السن ، وهؤلاء مشيخة قومك ، ليس لك مثل تجربتهم ، ومعرفتهم بالامور . ولا ارى ابا بكر الا اقوى على هذا الامر منك ، واشد احتمالا واضطلاعا به ، فسلم لأبي بكر هذا الامر فانك ان تعش ويطل بك البقاء ، فانت لهذا الامر خليق ، وبه حقيق ، في فضلك ودينك ، وعلمك وفهمك ، وسابقتك ونسبك وصهرك .

فقال علي : (عليه السلام) الله الله يا معشر المهاجرين ، لا تخرجوا سلطان محمد في العرب عن داره ، وقعر بيته ، الى دوركم وقعور بيوتكم . ولا تدفعوا اهله عن مقامه في الناس وحقه .

فوالله يا معشر المهاجرين ، لنحن احق الناس به ، لانا اهل البيت ، ونحن احق بهذا الامر منكم ما كان فينا القاريء لكتاب الله ، الفقيه في دين الله ، العالم بسنن رسول الله ، المضطلع بامر الرعية ، القاسم بينهم بالسوية ، والله انهم لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا.

فقال بشير بن سعد الانصاري : لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر ، ما اختلف عليك اثنان .

اكراه علي (عليه السلام) على البيعة لأبي بكر

ذكر ابن قتيبة في الامامة والسياسة : ان ابا بكر تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي (عليه السلام) . فبعث اليهم عمر ، فجاء فناداهم وهم في دار علي ، فأبوا ان يخرجوا فدعا بالحطب وقال : والذي نفس عمر بيده : لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها .

فقيل له يا ابا حفص : ان فيها فاطمة - بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) - ؟ ! .

فقال : وان . . . فخرجوا فبايعوا الا علياً ، فانه زعم انه قال: حلفت ان لا اخرج ، ولا اضع ثوبي على عاتقي ، حتى اجمع القرآن .

فوقفت فاطمة (عليها السلام) على بابها، فقالت: لا عهد لي بقوم حضروا اسوأ محضر منكم ، تركتم رسول الله ، جنازة بين ايدينا ، وقطعتم امركم بينكم ، لم تستأمرونا . . . ولم تردوا لنا حقا .

فاتى عمر ابا بكر ، فقال له : الا تأخذ هـذا المتخلف عنك بالبيعة ؟

فقال ابو بكر لقنفذ وهو مولى له: اذهب فادع لي علياً ، فذهب الى علي فقال له : ما حاجتك ؟ فقال : يدعوك خليفة رسول الله . . . .

فقال علي :لسريع ما كذبتم على رسول الله . فرجع ، فـابلغ الرسالة . فبكى ابو بكر طويلاً .

فقال عمر الثانية : لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة ، فقال ابو بكر لقنفذ : عد اليه ، وقل له : اميرالمؤمنين يدعوك لتبايع ،فجاءه قنفذ ،فادى ما أُمر به . . .

فرفع علي (عليه السلام) صوته فقال : سبحان الله ؟! لقد ادعى ما ليس له .

فرجع قنفذ فابلغ الرسالة ، فبكى ابو بكر طويلاً ، ثم قام عمر ، فمشى معه جماعة ، حتى أتوا باب فاطمة ، فدقوا الباب . . .

فلما سمعت اصواتهم نادت باعلى صوتها: يا ابت يا رسول الله . . . ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابي قحافة. . .

فلما سمع القوم صوتها وبكاءها ، انصرفوا باكين ، وكادت قلوبهم تنصدع ، واكبادهم تنفطر . وبقي عمر ومعه قوم ، فاخرجوا علياً ، فمضوا به الى ابي بكر. فقالوا له: بايع . . . فقال : اذا انا لم افعل فمه ؟ قالوا : اذا والله الذي لا إله الا هو نضرب عنقك .

قال (عليه السلام) : اذا تقتلون عبد الله واخا رسوله .

قال عمر : اما عبد الله فنعم ، واما اخو رسوله فلا . . . وابو بكر ساكت لا يتكلم ، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بامرك ، فقال :لا اكرهه على شيء، ما كانت فاطمة الى جنبه .

فلحق علي بقبر روسل الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يصيح ويبكي ، وينادي : يا بن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني .

ويمضي ابن قتيبة فيقول : « لم يبايع علي (كرم الله وجهه) حتى ماتت فاطمة (رضي الله عنها) ، ولم تمكث بعد ابيها الا خمساً وسبعين ليلة » .

وذكر الطبرسي في الاحتجاج حديث السقيفة مطولا ، كما ذكر في آخر كلامه كيفية بيعة علي (عليه السلام) لأبي بكر فقال : « نادى علي قبل أن يبايع : (يا بن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني)[1] ثم تناول يد ابي بكر فبايعه . فقيل للزبير بايع الآن ، فابى ، فوثب عليه عمر وخالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة ، في اناس ، فانتزعوا سيفه من يده ، فضربوا به الأرض حتى كسر ، فقال الزبير وعمر على صدره : يا ابن صهاك اما والله لو ان سيفي في يدي لحدت عني ، ثم بايع » .

---

(١) سورة الاعراف : آية ـ ١٥ .



عرض وتحليل

يحدثنا التاريخ : انه كان للخليفة عمر بن الخطاب اليد الطولى في اتمام البيعة لأبي بكر ، وارساء قواعد الخلافة بعيدة عن علي بن ابي طالب (عليه السلام) واولاده .

فلولا عمر ، لم يثبت لأبي بكر سلطة ، ولا قامت له قائمة ، ولا اصبحت الخلافة بلغة الطامع . . . كطغاة الامويين وغيرهم المناوئين لأهل البيت (عليهم السلام) اصحاب الحق الشرعيين .

ولا يخفى على كل باحث تتبع حوادث التاريخ ان لعمر مواقف عديدة في سبيل اتمام البيعة . . . وابعادها عن علي وصي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

منها ـ الحيلولة دون كتابة الكتاب بمشهد من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مرضه الاخير . . اذ قال عمر بكل جرأة : ان النبي ليهجر ، حسبنا كتاب الله .

ومنها ـ انكاره موت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتخدير الناس بالتهديد ، حتى حضور ابي بكر يوم وفاة الرسول .

ومنها ـ موقفه في السقيفة ودعوة الانصار الى بيعة ابي بكر بمؤازرة ابي عبيدة بن الجراح ، لمكافحة المخالفين لهم .

ومنها ـ تتبعه بعد السقيفة لمن امتنع عن البيعة لأبي بكر من المهاجرين والانصار واستعمال القوة والقسوة وحملهم على البيعة قهرا .

فقد كسر سيف الزبير كما اسلفنا ، ودفع في صدر المقداد الصحابي الجليل ، ووطأ سعد بن عبادة رئيس الخزرج وقال : اقتلوه فانه صاحب فتنة . كما حطم انف الحباب بن المنذر اثناء محاورته له وامتناعه عن البيعة .

ومنها ـ اقدامه على حصار بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) وقد التجأ اليه الخيرة من الصحابة الاجلاء اذ توعد باحراق البيت على من فيه ولو كانت فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في داخله كما اسلفنا الى غير ذلك من المواقف الجريئة .

ولنا شاهد على ما ذكرناه في شأن الخلافة المحاورة التي دارت بين عمر بن الخطاب ايام خلافته وبين عبد الله بن عباس .

قال عمر لابن عباس : يا ابن عباس اتدري ما منع قومكم منكم بعد محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟

قال ابن عباس : ان لم اكن ادري ، فان امير المؤمنين يدريني . . .

فقال عمر : كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة ، والخلافة . . . فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا . . . فاختارت قريش لانفسها فاصابت ووفقت .

قال ابن عباس : يا امير المؤمنين ، ان تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب ، تكلمت .

قال عمر : تكلم .

قال ابن عباس : اما قولك يا امير المؤمنين . . اختارت قريش لانفسها فاصابت ، ووفقت . . فلو ان قريشاً اختارت لانفسها حيث اختار الله لها ، لكان الصواب بيدها غير مردود ، ولا محسود . . .

واما قولك : انهم ابوا أن تكون لنا النبوة ، والخلافة . . فان الله عز وجل وصف قوماً بالكراهة فقال : ﴿ **ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم** ﴾ .

فقال عمر : هيهات ، والله يا ابن عباس ، قد كانت تبلغني عنك اشياء كنت اكره ان اقرك عليها ، لتزيل منزلتك مني .

قال ابن عباس : ما هي يا امير المؤمنين ؟ فان كانت حقاً فما ينبغي ان تزيل منزلتي منك ، وان كانت باطلا ، فمثلي اماط الباطل عن نفسه !

فقال عمر : بلغني انك تقول : انما صرفوها حسدا ، وبغيا ، وظلما .

قال ابن عباس : اما قولك يا امير المؤمنين : ظلماً . . فقد تبين للجاهل ، والحليم . . واما قولك : حُسدا . . فان آدم حسد ونحن ولده المحسودون .

فقال عمر : هيهات . . هيهات ابت والله قلوبكم يا بني هاشم الا حسدا ما يحول . . . وضعنا ، وغشا لا يزول .

قال ابن عباس : مهلا يا امير المؤمنين . . لا تصف قلوب قوم اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . . بالحسد والغش ، فان قلب

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من قلوب بني هاشم .

فقال عمر : اليك عني يا ابن عباس . . . إلى آخره[1] .

وموضوع كلامنا الآن هو البحث فيها يختص بالسقيفة ، وما اكتنفها من ملابسات وتطورات . . فقد ذكر الطبري في تاريخه بسنده عن فقهاء الحجاز انهم قالوا :

قبض رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الأول ، وبويع ابو بكر يوم الاثنين في اليوم الذي قبض فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

وهنا للسائل أن يسأل ماذا صنع ابو بكر، وعمر عند وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟؟ . . .

وبعد حادثة انكار عمر موته وتهديده لمن قال ذلك . . ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد مات .

هل ان الرجلين تريثا وتمهلا وبقيا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي بيته ، ومع اهله ، كما هو مألوف في ذلك العصر وكل عصر . . . من بقاء اهل الميت وخاصته عند ميتهم وخصوصاً اذا كان من اهل الشرف والمكانة العالية ؟ .

ام انهما اسرعا بالتوجه الى سقيفة بني ساعدة حينما بلغهما اجتماع

---

(١) ذكر هذه المحاورة ابن الاثير في تاريخه : ج ٣ ص ٣٤ نقلا عن الطبري كما ذكرها صاحب شرح النهج ـ والشيخ محمد رضا المظفر في كتابه السقيفة .

الانصار ، اذ جاءهما اثنان من الاوس الى دار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهما معن بن عدي ، وعويم بن ساعدة وكان بينهما وبين سعد بن عبادة الخزرجي مرشح الانصار للخلافة ، موجدة قديمة ، وقالا لهما : ان كان لكما في الأمر حاجة ، فاسرعا في تدبيرها قبل ان يتفاقم الأمر . . .

وهنا لا بد لنا من وقفة تأمل لنستنطق التاريخ واحداثه . . . هل بقي ابوبكر وعمر عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يملي عليهما العرف أو الواجبات الاجتماعية ؟ ام تركا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مسجى في بيته ، واسر عا الى سقيفة بني ساعدة لابرام أمر الخلافة ؟؟

الذي عليه المؤرخون واصحاب السير : انهما تركاه مسجى في بيته . . . حيث لم يبق عنده سوى علي (عليه السلام) والعباس وبقية بني هاشم ، وبعض الصحابة المخلصين ، وذهبا مسرعين الى السقيفة حيث الانصار .

والذي تحقق عندي بعد البحث والتنقيب ، والتدقيق ، ان ابا بكر وعمرا كانا قد أعدا للامر عدته قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . بل حين مرضه ـ. بل قبل ذلك . . . ولعله من يوم غدير خم . . حينما نص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على علي (عليه السلام) بامرة المؤمنين وخلافة المسلمين كما اسلفنا . .

فاخذوا يعدون العدة مع جماعتهم ويستقطبون الاشخاص لابعاد الخلافة عن بني هاشم . . . وبالاخص علي بن ابي طالب .

ذكر العلامة الشيخ عبد الله العلايلي في كتابه تاريخ الحسين :

حزب الثلاثة ـ المؤلف من ـ ابي بكر ، وعمر ، وابي عبيدة بن الجراح وهذا الحزب مال الى القول بوجوده ، طائفة كبيرة من المستشرقين ، بينهم ـ الاب لامنس ـ ودرسوا على ضوء هذا التقدير ، كثيراً من المسائل ، كمسألة الترشيح ، والانتخاب .

وفي رأيهم ان هذا الحزب الذي كان مؤلفاً من ابي بكر ، وعمر ، وابي عبيدة بن الجراح ، قد سبق تأليفه وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

والثلاثة تعاقدوا على انه اذا تمت الخلافة لاحدهم ، نقلها من بعده الى صاحبيه . ويستندون فيه الى امور ثلاثة :

اولاً ـ الجهد الجميع الذي بذلوه معاً في حركة الانتخاب ، فقد كانوا متضامنين تضامناً قوياً كأنه نتيجة خطة سابقة اتفقوا عليها .

ثانياً ـ تبادلهم الترشيح يوم السقيفة . . فقد رشح ابو بكر عمر أو ابا عبيدة ، وهما رشحاه .

ثالثاً ـ لما سئل عمر رأيه . . فيمن يكون بعده ؟ قال : لو كان ابو عبيدة حيا لعهدت اليه .

وهذه القرائن الثلاث عندهم ، تؤلف ما يثير شبهة ، في أنهم كانوا حزباً واحداً[١] .

---

(١) تاريخ الحسين ـ العلامة الشيخ عبد الله العلايلي : ص ١٦١ .

ويمضي العلامة العلايلي فيقول في كتابه ـ تاريخ الحسين ـ صفحة ١٦٤ عن انتخاب الخليفة :

اولاً ـ ثبوت الخلافة في قريش .

ثانياً ـ ابعاد الهاشميين عن الحكم .

من هذا وغيره يعرف مدى اتفاق كبار الصحابة الثلاث ، على سلب علي الخلافة ، وان لا تكون فيه ولا في بنيه مهما كلف الامر[١] .

وخلاصة القول : ان بيعة ابي بكر كانت عن سابق اتفاق وتدبير ، ولم تكن فلتة كما يروى عن الخليفة عمر أنه قال : كانت بيعة ابي بكر فلتة وقى الله المسلمين شرها .

والى هذا المعنى اشار الشاعر المغربي محمد بن هانيء :

ولكن امرا كان ابرم بينهم   وان قال قوم فلتة غير مبرم

وقال آخر :

زعموها فلتة فاجئة   لا ورب البيت والركن المشيد
انما كانت امورا نسجت   بينهم اسبابها نسج البرود[٢]

---

(١) راجع كتاب في ظلال الوحي للمؤلف .
(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : ج٢ ص ٣٧ .



تجهيز النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والصلاة عليه ودفنه

قال المفيد في الارشاد : انه لما توفي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واراد علي امير المؤمنين (عليه السلام) غسله ، استدعى الفضل بن العباس ، فامره ان يناوله الماءلغسله ، بعد أن عصب عينيه ، ثم شق قميصه من قبل جيبه حتى بلغ الى صرته . وتولى غسله وتحنيطه وتكفينه ، والفضل يعاطيه الماء ، ويعينه عليه .

فلما فرغ من غسله وتجهيزه ، تقدم - علي - فصلى عليه وحده ، لم يشرك معه احدا في الصلاة عليه .

وكان المسلمون في المسجد يخوضون فيمن يؤمهم في الصلاة عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، واين يدفن . . . فخرج اليهم علي (عليه السلام) وقال لهم : ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) امامنا حياً وميتاً . . . فليُدخَل عليه فوجاً بعد فوج منكم ، فيصلون عليه بغير امام ، وينصرفون . وان الله لم يقبض نبياً في مكان الا وقد ارتضاه لرمسه فيه، واني لدافنه في حجرته التي قبض فيها ، فسلم القوم لذلك ورضوا به .

ولما صلى المسلمون عليه ، انفذ العباس بن عبد المطلب برجل الى ابي عبيدة بن الجراح ، وكان يحفر لأهل مكة ، ويضرح . وكان ذلك عادة اهل مكة . وانفذ الى زيد بن سهل - ابي طلحة - وكان يحفر لأهل

المدينة ، ويلحد . فاستدعاهما . . وقال : اللهم خر لنبيك (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فوجد صاحب ابي طلحة ، ابا طلحة ، فجاء به ، فقيل له : احفر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فحفر لـه لحدا ، ودخل علي (عليه السلام) والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، واسامة بن زيد ، ليتولوا دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فنادت الانصار من وراء البيت : يا علي . . . انا نذكرك الله وحقنا اليوم من رسول الله ان يذهب ، ادخل منا رجلا يكون لنا بـه حظ من مواراة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فقال : ليدخل اوس بن خولي وكان بدرياً فاضلا من بني عوف من الخزرج . فلما دخل قال له علي (عليه السلام) : انزل القبر ، فنزل . . ووضع علي (عليه السلام) رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على يديه ، ودلاه في حفرته . فلما حصل في الأرض قال له : اخرج ، فخرج . . .

ونزل علي (عليه السلام) القبر ، فكشف عن وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ووضع خده على الأرض موجها الى القبلة على يمينه ، ثم وضع عليه اللبن ، واهال عليه التراب .

ويمضي المفيد فيقول : لم يحضر دفن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اكثر الناس . . لما جرى بين المهاجرين والانصار ، من التشاجر في امر الخلافة ، وفات اكثرهم الصلاة عليه لذلك .

وروى ابن سعد في طبقاته : انه لما وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على السرير ، قال علي (عليه السلام) : ألا يقوم

عليه احد لعله يؤم ـ اي تصلي الناس خلفه ـ هو (صلى الله عليه وآله وسلم) امامكم حياً وميتاً . فكان يدخل الناس رسلا رسلاً ، فيصلون عليه ، صفاً صفاً ليس لهم امام . . . ويكبرون ، وعلي قائم بحيال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : سلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته . اللهم انا نشهد ان قد بلغ ما انزل اليه ، ونصح لامته ، وجاهد في سبيل الله ، حتى اعز الله دينه ، وتمت كلمته .

اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما انزل الله اليه ، وثبتنا بعده ، واجمع بيننا وبينه . . . إلى آخره .

وقد اختلف في زمن دفنه (صلى الله عليه وآله وسلم) فابن سعد في طبقاته ذكر أنه : توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين زاغت الشمس[1] يوم الاثنين فشغل الناس عن دفنه بشبان الانصار ـ اي في السقيفة ـ فلم يدفن حتى كانت العتمة، ولم يله الا اقاربه . . .

وفي الطبقات ايضاً : عن عائشة انها قالت : ما علمنا بدفن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى سمعنا صوت المساحي ليلة الثلاثاء في السحر .

وفي الطبقات ايضاً : انه توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الاثنين حين زاغت الشمس ، ودفن يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس . . . إلى آخره .

وروى ابن هشام عن عائشة انها قالت : ما علمنا بدفن رسول الله

---

(١) زاغت الشمس : مالت .

(صلى الله عليه وآله وسلم) حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل ، من ليلة الاربعاء .

وروى ابن هشام عن ابن اسحاق أنه قال : كان الذين نزلوا في قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) علي بن ابي طالب ، والفضل بن عباس ، وقثم بن عباس ، وشقران مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ واوس بن خولي .

وروى ابن سعد في طبقاته عن انس بن عياض الليثي ، قال : حدثونا عن جعفر بن محمد عن ابيه ، قال : لما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، جاءت التعزية . . . يسمعون حسه ، ولا يرون شخصه ، قال :

السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته ، كل نفس ذائقة الموت ، وانما توفون اجوركم يوم القيامة .

ان في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفاً من كل هالك ، ودركا من كل ما فات . . . فبالله فثقوا ، واياه فارجوا ، انما المصاب من حرم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

واما فاطمة (عليها السلام) فقد عظم عليها المصاب الذي الَمَّ بها « وفاة ابيها الرسول الاعظم » .

وكان بنو هاشم ، وخيار الصحابة يسألونها الصبر والعزاء . . . ومن اين لها بالصبر والعزاء . . . وكل مصاب بعد مصابها لمم . . .

تحاملت فاطمة (عليها السلام) على نفسها ، وجاءت الى قبر ابيها

(صلى الله عليه وآله وسلم) والقت بنفسها عليه ، وقد خنقتها العبرات ، فبكت حتى تقرحت اجفانها ، وبكى الناس لبكائها .

اخذت عليها السلام حفنة من تراب القبر ، وادنتها من عينيها اللتين قرحهما البكاء ، ثم راحت تشم ذلك التراب وهي تقول متفجعة :

ماذا على من شم تربة احمد ... الأ يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها ... صبت على الايام عدن لياليا

ثم استرجعت وقالت :

اغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار واظلم العصران
فالارض من بعد النبي كئيبة ... أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطود المعظم جوده ... والبيت ذو الاستار والاركان
يا خاتم الرسل المبارك ضوءه ... صلى عليك منزل القرآن

رجعت فاطمة (عليها السلام) مع بعض النسوة الى البيت ، والناس تتبعها بعيون دامعة ، وقلوب متقطعة ، حتى اذا بلغت دارها ، استأذن عليها أنس بن مالك ، وراح يسألها الصبر والعزاء ، ويروى انها (عليها السلام) قالت له : يا انس ، كيف طابت نفوسكم ان تحثوا التراب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قالت وقد شرقت بدمعها :

انا فقدناك فقد الأرض وابلها ... وغاب مذغبت عنا الوحي والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا ... لما نعيت وحالت دونك الكثب

رجع المشيعون بعد دفن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد أظلمت الدنيا في اعينهم ، وحق لهم ان يكونوا كذلك . . .

لقد غاب عنهم الطود العظيم ، والنور الساطع . . . نور محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي جاء للناس . . مبشراً ونذيراً . . . وداعياً الى الله باذنه ، وسراجاً منيراً .

غاب عنهم (صلى الله عليه وآله وسلم) اعظم رجل عرفه التاريخ . . . واكرم ولد آدم .

مما قاله حسان بن ثابت : بعد وفات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

بالله ما حملت انثى ولا وضعت ... مثل النبي نبي الرحمة الهادي

ولا مشى فوق ظهر الأرض من احد ... أو في بذمة جار او بميعاد

مِنَ الذي كان نورا يستضاء به ... مبارك الامر ذا حزم وارشاد

مصدِّقاً للنبيين الألى سلفوا ... وأبذل الناس للمعروف للجادي

خير البرية اني كنت في نهر ... جار فاصبحت مثل المفرد الصادي

وقال حسان ايضاً :

ما بال عينك لا تنام كأنما ... كحلت مآقيها بكحل الارمد

جزعا على المهدي اصبح ثاويا ... يا خير من وطىء الحصى لا تبعد

يا ويح انصار النبي ورهطه ... بعد المغيب في سواء الملحد

جنبي يقيك الترب لهفي ليتني ... كنت المغيب في الضريح الملحد

يا بكر آمنة المبارك ذكره ... ولدته محصنة بسعد الاسعد

نورا اضاء على البرية كلها ... من يهد للنور المبارك يهتدي

ازواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) امهات المؤمنين

ذكـر المؤرخون واصحـاب السير : ان رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) تزوج ثلاث عشرة امـرأة ، مات في حيـاته منهن اثنتـان هما خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة ، واثنتان لم يدخل بهـما ـ اسماء بنت النعمان الكندية ، وعمرة بنت يزيد الكلابية . وتوفي عن تسع .

ذكر ابن هشام في سيرته أنه لما توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان عنده من النساء تسع : عائشة بنت ابي بكر ، وحفصة بنت عمـر بن الخطاب ، وام حبيبـة بنت ابي سفيـان بن حـرب ، وام سلمـة بنت ابي اميـة بن المغيـرة ، وسـودة بنت زمعـة ابن قيس ، وزينب بنت جحش بن رئـاب ، وميمونـة بنت الحارث بن حـزن ، وجـويـريـة بنت الحارث بن ابي ضرار ، وصفية بنت حيـي بن اخطب .

وكان جميع من تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثـة عشر امرأة .

خـديجـة بنت خـويلد ـ وهي اول من تـزوج ، زوجـه ايهـا ابـوهـا خويلد بن اسد ، ويقال اخوها عمرو بن خـويلد ، واصدقهـا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عشرين بكرة ، فولدت لرسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) ولـده كلهم الا ابـراهيم ، وكـانت قبله عنـد ابي

هالة بن مالك ، فولدت له هند بن ابي هـالة ، وزينب بنت ابي هـالة ، وكانت قبل ابي هالة عند عتيق بن عابد من بني مخزوم ، فولدت لـه عبد الله وجارية .

عائشة بنت ابي بكر ـ تزوجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكـة ، وهي بنت سبع سنـين ، وبني بها بـالمدينـة ، وهي بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) بكراً غيرها ، زوجه اياها ابوها ابـو بكر ، واصـدقها رسـول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اربعمائة درهـم .

سودة بنت زمعة ـ تزوجها رسول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) بعـد وفـاة خـديجـة واصـــدقهـا اربعمـــائـة درهم ، وكـــانت قبله عنـد السكران بن عمرو .

زينب بنت جحش بن رئـاب الاسديـة ـ زوجه ايـاها ابـو احمـد بن جحش ، اصـدقها رسـول الله (صلى الله عليـه وآله وسلم) اربع مائة درهم وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسلم) ، ففيها انـزل الله تبارك وتعـالى : ﴿ **فلما قضى زيـد منهـا وطرا زوجناكها** ﴾ .

ام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة المخزوميـة ، واسمها هنـد ـ زوجة اياها سلمة بن ابي سلمة ابنها، واصدقها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فراشاً حشوه ليف ، وقدحا ، وصحيفة[1] ومجشة[2] وكانت قبله

---

(١) الصحيفة : جمع صحاف : قطعة كبيرة منبسطة تشبع الخمسة .

(٢) المجشة : الرحى ، يقـال : حششت الطعـام في الرحى اذا طحنتـه طحنـا غليظاً .

عند ابي سلمة بن عبد الاسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له سلمة ، وعمروا ، وزينب ، ورقية .

حفصة بنت عمر بن الخطاب ـ زوجه اياها ابوها عمر ، واصدقها رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم اربع مائة درهم ، وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمي .

ام حبيبة بنت ابي سفيان ـ واسمها رملة ، زوجه اياها خالد بن سعيد بن العاص ، وهما بارض الحبشة واصدقها النجاشي ـ ملك الحبشة ـ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اربع مائة دينار ، وهو الذي كان خطبها على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الاسدي .

جويرية ـ بنت الحارث بن ابي ضرار الخزاعية ـ كانت في سبايا بني المصطلق من خزاعة ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس الانصاري ، فكاتبها على نفسها ، فاتت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تستعينه في كتابتها ، فقال لها : هل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو؟ قال : اقضي عنك كتابتك ، واتزوجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوجها .

صفية بنت حيي بن اخطب ـ سباها رسول الله من خيبر ، فاصطفاها لنفسه . واولم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وليمة ، ما فيها شحم و. لا لحم ، كان سويقاً وتمرا ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق .

ميمونة بنت الحارث بن حزن ـ زوجه اياها العباس بن عبد

المطلب ، واصدقها العباس عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اربع مائة درهم ، وكانت قبله عند ابي رهم بن عبد العزى . ويقال : انها التي وهبت نفسها للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وذلك ان خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) انتهت اليها وهي على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله ، فانزل الله تبارك وتعالى : ﴿ **وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي** ﴾ .

زينب بنت خريمة بن الحارث ـ وكانت تُسمى ام المساكين ، لرحمتها اياهم ، ورقتها عليهم ، زوجه اياها قبيصة بن عمرو الهلالي ، واصدقها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اربع مائة درهم ، وكانت قبله عند عبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث وهو ابن عمها .

العصمة

لا بأس بذكر امر عقائدي يتصل بحياة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرته ، وسيرة الأئمة (عليهم السلام) من بعده ، وهو عصمته (صلى الله عليه وآله وسلم) وعصمتهم عن الخطأ ، والسهو حيث كثر الكلام ، والجدل بين فرق المسلمين حول هذه النقطة . . . نمر عليها باختصار إتماماً للفائدة . فما هي العصمة ؟

لقد عرف اهل اللغة العصمة بعدة تعاريف :

جاء في لسان العرب لابن منظور : العصمة في كلام العرب : المنع . وعصمة الله عبده ـ أن يعصمه مما يوبقه . عصمه يعصمه عصماً ـ منعه ووقاه . وفي التنزيل : ﴿ **لا عاصم اليوم من امر الله إلا من رحم** ﴾ ـ اي لا معصوم إلا المرحوم . وفيه ايضاً واعتصمت بالله اذا امتنعت بلطفه من المعصية .

وفي تاج العروس للزبيدي ـ والعصمة بالكسر المنع ـ هذا أصل معنى اللغة . ويقال اصل العصمة الربط ، وعصمة الله عبده ـ ان يعصمه مما يوبقه . وقوله تعالى : ﴿ **يعصمني من الماء** ﴾ اي يمنعني من تغريق الماء .

وقال المناوي : العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها .

وقال الراغب : عصمة الله الأنبياء ـ حفظه اياهم .

بما خصهم به من صفاء الجواهر ، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسيمة النفسية ، ثم بالنصرة وتثبيت اقدامهم ، ثم بانزال السكينة عليهم ، وبحفظ قلوبهم ، وبالتوفيق . قال الله عز وجل ﴿ **والله يعصمك من الناس** ﴾ .

وفي مجمع البحرين للطريحي . عصمة الله للعبد منعه من المعصية ـ وعصمة الله من المكروه حفظه ووقاه والمعصوم : الممتنع من جميع محارم الله . وعن علي بن الحسين : (عليهما السلام) الإمام منا لا يكون الا معصوماً ـ وليست العصمة في ظاهر الخلقة فتعرف ، قيل : فما معنى المعصوم ؟ قال : المعتصم بحبل الله ـ وحبل الله هو القرآن لا يفترقان الى يوم القيامة ، والإمام يهدي الى القرآن . . . والقرآن يهدي الى الإمام وذلك قوله تعالى : ﴿ **ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم** ﴾ .

وفي المنجد في اللغة : العصمة ـ المنع ـ ملكة اجتناب المعاصي او الخطأ .

وعلى كل لا بد لنا من بيان معنى العصمة وفوائدها ولو اجمالاً لتحقيق الفائدة المطلوبة من بحث موضوع سيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم واهل البيت (عليهم السلام) ، وما انطوت عليه من منافع جليلة لا تعادل باي ثمن من الاثمان .

وقد فسر الحكماء العصمة : بانها ملكة تمنع عن الفجور .

جاء عن الفاضل المقداد في شرح نهج المسترشدين للعلامة الحلي (رحمه الله) : « والحق ان العصمة عبارة عن لطف يفعله الله تعالى

بالمكلف ، بحيث لا يكون له مع ذلك داع الى ترك الطاعة ، ولا الى فعل المعصية مع قدرته عليها . ويحصل ذلك اللطف بان يحصل له ملكة مانعة من الفجور والاقدام على المعاصي ، مضافاً الى العلم بما في الطاعة من الثواب والمعصية من العقاب مع خوف المؤاخذة على ترك الأولى والفعل السيء » .

وقد وردت آيات كثيرة في معنى العصمة كقوله تعالى : ﴿ **قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم** ﴾[1] . .

وقوله تعالى : ﴿ **ما لهم من الله من عاصم** ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ **يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم** ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ **ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم** ﴾[4] .

فالآيات الواردة آنفاً تدل على أن فاعل العصمة ومعطيها هو الله سبحانه وتعالى ، بحسب ما تقتضيه الحكمة الآلهية .

---

(١) سورة هود : آية ـ ٤٣ .
(٢) سورة يونس ـ آية : ٢٧ .
(٣) سورة المؤمن ـ آية : ٣٣ .
(٤) سورة آل عمران ـ آية : ١٠١ .



ضرورة القول بالعصمة

بعث الله سبحانه وتعالى محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) مبشراً ونذيراً ، ورسولاً هادياً عباد الله للقانون الاكمل والنظام الامثل الذي يقود الامة الى سعادة الدنيا والآخرة وينقذها من متاهات الضياع ، واذا كانت هذه طبيعة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فعلى الأمة اتباعه عقلا .

ومن هنا كانت سيرته وسنته حجة على البشرية ، بمعنى أنها الخطى التي يجب اتباعها ولا يجوز مخالفتها والانحراف عنها . واذا كانت هذه وظيفته وجب علينا عقلاً ان نقول بعصمته (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ذلك لأن حياة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشخصيته وسيرته تنقسم الى قسمين :

اولاً : ـ شخصيته كرسول مبلِّغ لاحكام الله تعالى ، وملقٍ للحجة على الناس .

ثانياً : ـ شخصيته كأنسان مكلف يعيش مع الناس كمثل أعلى واسوة حسنة وقدوة يقتدى بها .

وفي كليهما لا بد أن نقول بعصمته (صلى الله عليه وآله وسلم) .

لأن معنى كونه مبلغاً للشريعة أن سيرته باكملها حجة ، ومن هنا اتفق المسلمون على وجوب الأخذ بسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسم) - اي قوله - وفعله - وتقريره .

ومعنى هذا الكلام أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اذا قال قولاً وفعل فعلاً فهو حجة - او سكت عن فعل حصل امامه فقد أقرَّ بصحته وحليته . لأنه لو كان باطلاً أو حراماً وسكت عنه فقد قصَّر في تبليغ الاحكام .

وعلى هذا فان كانت سنته حجة . فلا يجوز عليه الخطأ في تبليغ الاحكام ، لأنه لو لم يكن معصوماً فكل قول أو فعل أو تقرير كما يمكن ان يكون صحيحاً يمكن ان يكون خطأ .

واذا دخل احتمال الخطأ فيه ، فكيف يجب علينا الاخذ به ومتابعته ، لأنه حينئذٍ نكون قد اخذنا بامر لم نعلم أنه من الشريعة ، وقد الزمنا الله بما لم نعلم أنه من احكامه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

واما شخصيته (صلى الله عليه وآله وسلم) كانسان مكلف ، وكقدوة حسنة ، ومثل أعلى . فعليه ان يكون ثقة عظيمة عند الناس ، حتى يأتمر الناس باوامره ونواهيه ، وينصاعوا له الانصياع التام ، ولا يكون ذلك إلا عند عصمته من الزلل ، منزها عن فعل المعاصي ، ومثلاً اعلى من الخلق الكامل والمزايا الحميدة والسيرة الطيبة ، فلا يندفع وراء شهوات الدنيا الزائلة ، ولا يجري وراء بهارجها ليقع في المهلك ، فيفقد الثقة به والثقة ضرورية كل الضرورة لتصديقه والاعتقاد به ، تلك فطرة

الناس وطبيعة البشر ان تطلب من قائدها صفات الكمال . . . فكيف من نبيها .

فنزاهة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن المعاصي وترفعه عن كل ذنب وسيئة ، صغيرة كانت أو كبيرة ، شرط رئيسي ـ ومطلب حتمي لتصديق الناس به ، والناس تطلب من العظيم كل امر عظيم فترى مخالفته الأولى ذنباً وترى الذنب الصغير كبيراً .

فعلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان لا يقترف ذنباً صغيراً كان أو كبيراً ، وأن يكون معصوماً عن كل ما يخل بالدين والشرف والاخلاق والسلوك ، فلا يكون عليه مهمز ولا ملمز . ولا يفقد تلك الثقة العظيمة المطلوبة لتصديقه :

فهناك ينفع ما تقول ويقتدى بالرأي وينفع التعليم

وكل الناس حتى الانبياء قادرون على ارتكاب المعاصي ، واقتراف الذنوب اذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من جملة المكلفين ، والتكليف لا يكون إلا بالمقدور ، ولكن لكل انسان ارادة . ذلك ان للانسان عقل وشهوة . . . يتصارعان .

ويختلف الناس في مستوى الارادة عندهم، ونسبتها لديهم . ـ فاصحاب الارادة الضعيفة تتغلب عليهم شهواتهم وينزلقون في المهالك لعدم استطاعتهم كبح جماحها .

واصحاب الارادة القوية تقف ارادتهم بالمرصاد ، فلا يقعون في الذنوب ، وتتدرج هذه الارادة ارتفاعاً لتصل ذروتها عند الانبياء والأئمة (عليهم الصلاة والسلام)، حيث يمتلكون تلك النفسية القوية الجبارة ،

لأن ايمانهم العميق واعتقادهم ويقينهم جعل مخافة الله دوما في قلوبهم ، وكأنه شاخص امام أعينهم حتى قال علي بن ابي طالب (عليه السلام) : والله لو كشف الغطاء ما ازدت يقيناً .

فكما أن اي فرد من الناس لا يلقي بنفسه في النار لو رآها امامه ، بل لا يقترب منها أي اقتراب يؤذيه ولو قليلاً ، فكذا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حيث يرى الله بقلبه وكأنه يراه بعينه المجردة فكيف يلقي بنفسه فيما يغضب الله سبحانه وتعالى باتيان الذنوب .

واذا كان هذا حال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وايمانه القوي وعقيدته المتينة . فذكر الله دوماً يشغل قلبه ، لا يفارقه طرفة عين ، فتراه متجهاً اليه ، منعطفاً عليه ، فلا يسهو ولا ينسى ، ومن هنا وجب علينا عقلا ان نقول بعصمته عن السهو والنسيان ايضاً ، خصوصاً عندما نعلم أن السهو والنسيان حالتان من فراغ القلب وجمود الفكر ، فينطلق ذهن الانسان وخياله من دون عقال يعقله ، وهذا يحصل من الانسان العادي .

اما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي بلغ به يقينه درجة عظيمة ، فلا يعقل ان يفرغ قلبه من ذكر الله سبحانه وتعالى لحظة واحدة ، ونلاحظ هذا في الانسان العادي الذي اذا اعترضته مشكلة مهمة تشغل قلبه وذهنه وفكره وعقله فلا يسهو عنها ولا ينساها .

هذا مع الانسان العادي كما قلنا فكيف بمخافة الله مع نبي البشرية وحجة الله على خلقه .

عصمة اهل البيت (عليهم السلام)

ان المرشد والهادي للناس الى سبيل الحق لا بد وان يكون المثل الاعلى من الخلق الكامل والمزايا الحميدة كما اسلفنا فلا يندفع وراء شهوات الدنيا الزائلة وملذاتها ، ليقع في المهالك .

ومن هذا المجال ننطلق لنرى لطف الله بعباده ، من ان هيأ لهم من يرشدهم ويهديهم لسلوك الصراط المستقيم ، كأنبياء الله المرسلين والأئمة الطاهرين من اهل بيت الرسول الكريم المنزهين عن فعل المعاصي والمعصومين من الزلل .

ومن هذا المنطلق اقول : اذا وجب علينا ان نقول بعصمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجب علينا أن نقول بعصمة الأئمة من اهل البيت (عليهم السلام) ذلك لأنهم حجج الله على خلقه ، لا يفترقون عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الا من جهة الرسالة . فهم حافظوا القرآن ومفسروه ، فقد عاش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فترة ثلاث وعشرين سنة يفسر القرآن بسنته ويقود الأمة نحو الخير . ولكن كانت هذه المدة غير كافية لبلورة أعظم نظام على وجه الأرض ، ودين الله في أرضه حتى يوم القيامة ، ذلك النظام المتكامل الذي يضمن سعادة البشرية ، والواسع ، حتى أن لكل واقعة حكم ، ولكل امر حكم .

هـذا القانـون الرائـع الـذي جـاء في مجتمـع جـاهـلي صعب . ذي عادات قاسية ، وتقاليد صارمة ، وعقلية صحراوية جـافة . مـا كان من المصلحة ابلاغ الاحكام الشرعية دفعة واحدة ، بل تدريجياً وحتى تسمح الظروف ، ويسمح تطور النمط الفكري لذلك المجتمع .

لذلك نرى الاحكام الشرعية جاءت متتالية ولم تنزل دفعـة واحدة : كـالصلاة والصيـام والحج والـزكاة وجميـع الاحكام الشـرعية الاسـلامية وردت في مدد متفاوتة تحددها قابلية البيئة التي نزل فيها القرآن لتقبلها . اذ الـواقع يثبت أنه لا يمكن لمجتمـع أن يستوعب جميـع الاحكام دفعـة واحدة .

ولمـا كان القـانون الالهي متشعبـاً كل التشعب ، متفـرعـاً ، واسعـاً شاملاً لجميع مرافق الحياة . . . علاقة الفرد مع ربه ـ ومع مجتمعه ـ ومع الفرد الآخر ـ او عـلاقة المجتمعـات بعضها ببعض . . . مستـوفياً لكـل حـاجات الحيـاة ، كانت مـدة بعثة النبي (صـلى الله عليه وآلـه وسلم) قصيـرة بالنسبـة لهذا القـانون اذ لم تكن مـدة البعثة كـافية لقلب عقليـة المجتمع الجاهلي . لأن تفسير الآيات القرآنية والاحكام الالهيـة تحتاج الى مدة طويلة ليستوعبها عقل الانسان وخاصة المجتمع الجاهلي كما اسلفنا .

كان لا بد من فترات لاحقة تتم تفسير القرآن ، يكـون على رأسها جماعة طهرها الله من الرجس كما نصَّ عليه القرآن الكريم : **﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾** .

والجمـاعـة هم اهـل البيت (عليهم السـلام) والعقـل يحكم بعصمتهم . لأن مفسـر القرآن ومتمم سنـة النبي (صلى الله عليـه وآلـه

وسلم) يجب ان يكون معصوما ـ في قولـه ـ وفعله ـ وتقريره . والا الزمنا الله سبحانه بما يحتمل فيه الخطأ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

والكلام في عصمة الأئمة من اهل البيت الاثني عشر ، كالكـلام في عصمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تماماً . وكذا في قيادة الأمـة ، لأن الثقة في خليفة الرسول شرط اساسي لتصـديق كونـه مفسراً لكتـابه ومتماً لسنته ، وقائداً لأمته من بعده.

ارشـد الى ذلك القـرآن الكريم في آيـة المبـاهلة بقـولـه ﴿ **وانفسنـا وانفسكـم** ﴾ حيث وقع الاجماع عـلى ان المقصود من أنفسنـا هو عـلي بن ابي طالب (عليه السلام)ومعنى كونه نفس النبي ان له صفاته كلها . لا فـرق بينهما سـوى الرسـالة . وأن النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلـم) اعظم درجة عند الله عز وجل .

وبهـذا البيان نخلص الى القـول بـان النبي (صـلى الله عليـه وآلـه وسلم) والأئمة (عليهم السلام) يجب ان يكونوا معصـومين عقـلاً عن كل ذنب ، صغيرة كانت الذنوب او كبيرة ، وعن كـل خطأ او سهـو او نسيان .



نبذة من اقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وخطبه

لقد علمنا النبي محمد صلوات الله عليه وآله أن لا ننظر الى الاشخاص بما هم اشخاص، بل أن ننظر اليهم بما هم اصحاب مبادىء، وافكار، وبما قدموا وضحوا من اجلها.

اننا ننظر للنبي محمد عليه وآله الصلاة والسلام بما هو صاحب رسالة مقدسة خالدة، فننظر الى هذه الرسالة فنتعلمها ونأخذ بها، ونحاول نشرها وتطبيقها لخدمة الانسان والمجتمع، فالفرد دائماً في خدمة المبدأ، لا أن المبدأ في خدمة الفرد.

ولكي نفهم هذه الرسالة، الرسالة الاسلامية جيداً حاولنا التعرف الى سيرة الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم)واطوار حياته.. من ولادته.. الى رضاعه.. الى صباه وشبابه.. الى زواجه من خديجة ام المؤمنين.. الى مبعثه ونزول الوحي عليه.. الى هجرته ليثرب ـ المدينة المنورة ـ الى حروبه وسراياه وغزواته. نظرا للعلاقة المتينة بين الرسول العظيم والرسالة المقدسة، فهو أول من آمن بها وطبقها. وتتمة للفائدة لا بد لنا من ذكر ما كان عليه الرسول من المزايا والاخلاق الفاضلة. وذلك من خلال الاطلاع على بعض خطبه ومواعظه، واقواله وحكمه، ونصائحه للمسلمين لكي يتحلوا بها،

ويعملوا على طبقها فتكون لهم النبراس الذي يضيء الطريق امامهم الى الصراط المستقيم .

كان رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام لا يدع فرصة تمر إلا ويلقي على اصحابه الكثير من مواعظه وارشاداته ، يعلمهم فيها محاسن الاخلاق ومكارم الافعال فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعض خطبه :

« ايها الناس ، ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم ، وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم . وان المؤمن بين مخافتين . . بين اجل قد مضى ولا يدري ما الله صانع فيه . . واجل قد بقي ما يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه . ومن دنياه لآخرته في الشبيبة قبل الكبر . . . وفي الحياة قبل الممات . فوالذي نفس محمد بيده ، ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار . »

وخطب (صلى الله عليه وآله) يوماً فقال في خطبته : « اذكروا الموت فانه آخذ بنواصيكم ، ان فررتم منه ادرككم ، وان اقمتم اخذكم . . وان العبد لا تزول قدماه يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما افناه ، وعن شبابه فيما ابلاه ، وعن ماله مما اكتسبه ، وفيما انفقه . وعن امامه من هو» قال الله عز وجل : ﴿ **يوم ندعو كل اناس بامامهم** ﴾ الى آخر الآية .

ومن خطبة له(صلى الله عليه وآله وسلم): «ان الله ليس بينه وبين احد قرابة يعطيه بها خيرا ، ولا حق يصرف به سوءاً إلا بطاعته واتباع مرضاته . . واجتناب سخطه . . ان الله تبارك وتعالى على ارادته ولو كره الخلق، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ﴿ **تعاونوا على البر**

والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب ﴾.

وقال ايضاً : « طوبى لعبد طاب كسبه ، وحسنت خليقته ، وصلحت سريرته ، وانفق الفضل من ماله ، وترك الفضول من قوله ، وكف عن الناس شره ، وانصفهم من نفسه . انه من عرف الله خاف الله ومن خاف الله شحت نفسه عن الدنيا ».

وقال ايضاً : « من نظر في دينه الى من هو فوقه فاقتدى به ، ونظر في دنياه الى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به ، كتبه الله شاكرا وصابرا . ومن نظر في دينه الى من هو دونه ، ونظر في دنياه الى من هو فوقه ، فاسف على ما فضله الله، لم يكتبه الله شاكراً ولا صابراً ».

وقال ايضاً « من أُعطي قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وبدنا صابراً وزوجة صالحة ، فقد أعطي الدنيا والآخرة » .

وقال ايضاً : « الرغبة في الدنيا تورث الهم والحزن ، والزهد فيها يريح القلب والبدن . ».

وقال ايضاً : « السعادة في اثنتين : الطاعة ـ والتقوى . ».

وقال ايضاً : « الدنيا حلوة خضرة، والله مستعملكم فيها ، فانظروا كيف تعملون ».

وقال ايضاً : « يقول ابن آدم : مالي . . مالي ، وان مالك ـ أي ليس لك ـ من مالك الا ما اكلت فافنيت ، او لبست فابليت ، أو اعطيت فامضيت ».

وقال ايضاً : « يقول الله عز وجل : حسب عبدي المؤمن حقيقة

ايمانه في ضميره ، وصدق ورع نيته ، حتى اجعل نومه عملا ، وصمته ذكرا ».

وقال ايضاً : « من اتى الناس بما يحبون، وبارز الله بما يكره ، لقي الله وهو عليه عضبان آسف ».

وقال ايضاً : « ان احبكم الي واقربكم مني مجلساً يوم القيامة احسنكم اخلاقاً ، الموطئون اكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، وان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلساً يوم القيامة ، الثرثارون المتفيقهون[1] . . ».

وقال ايضاً : « اصل المرء قلبه ، وحسبه خلقه ، وكرمه تقواه ، والناس في آدم شرع سواء ».

وخطب (صلى الله عليه وآله وسلم) على ناقته فقال : « يا ايها الناس، كأن الموت على غيرنا كتب، وكأن الحق على غيرنا وجب، وكأن الذين يشيعون من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون ، نبوئهم اجداثهم ، ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم . قد نسينا كل واعظة ، وآمنا كل جارحة . طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وانفق من مال قد اكتسبه من غير معصية . ورحم ، وصاحب اهل الذلة والمسكنة ، وخالط اهل الفقه والحكمة .

طوبى لمن أذل نفسه، وحسنت خليقته ، وصلحت سريرته ، وعزل عن الناس شره ».

---

(١) المتفيقهون هم الذين يتوسعون في الكلام ، ويفتحون به أفواههم ، مأخوذ من الفهق ـ وهو الإمتلاء والإتساع . نهاية ابن الأثير .

من وصايا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومواعظه

كان محمد رسول الله عليه وآله افضل الصلاة والسلام لا يترك فرصة سانحة الا وينثر على اصحابه من جواهر كلامه ، ودرر حكمه ويزودهم بنصائحه ووصاياه ، ويعظهم بما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم ، وينهاهم عن كل ما يضرهم في دنياهم وآخرتهم .

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اربع .. من اتى الله عز وجل بواحدة منهن وجبت له الجنة . من سقى هامة صادية .. او اطعم كبدا جائعة .. او كسى جلدة عارية . او اعتق رقبة عانية » .

وقال ايضاً : « كل عين ساهرة يوم القيامة الا ثلاث عيون ، عين سهرت في سبيل الله .. وعين غضت عن محارم الله، وعين فاضت من خشية الله ».

وقال ايضاً : « اربعة من كنوز البر : كتمان الحاجة .. وكتمان الصدقة.. وكتمان الوجع .. وكتمان المصيبة ».

وقال : « اقربكم مني غدا في الموقف اصدقكم في الحديث، وآداكم للامانة ، واوفاكم بالعهد، واحسنكم خلقا، واقربكم من الناس ».

وقال : « يقول الله عز وجل : عبدي اذا صليت ما افترضته عليك . . فانت اعبد الناس . . واذا قنعت بما رزقتك ، فانت اغنى الناس . . ».

وجمع (صلى الله عليه وآله وسلم) بني عبد المطلب فقال : » يا بني عبد المطلب . . افشوا السلام . . وصلوا الارحام . . وتهجدوا والناس نيام . . واطعموا الطعام . . واطيبوا الكلام . . تدخلوا الجنة بسلام ».

ومن بعض وصاياه (صلوات الله عليه وآله) أنه قال له رجل : اوصني يا رسول الله، فقال له (صلى الله عليه وآله) : « اكثر ذكر الموت ، يسلك عن الدنيا ، وعليك بالشكر تُزاد في النعمة ، واكثر الدعاء فانك لا تدري متى يستجاب لك ، واياك والبغي فان الله عز وجل قضى أن ينصر من بغى عليه ، واياك والمكر فان الله قضى ان لا يحيق المكر السيء الا باهله ».

وقيل له : اي الاعمال افضل ؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اجتناب المحارم ، وان لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل ».

وقيل له : فأي الأصحاب افضل ؟ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « الذي اذا نسيت ذكرك واذا دعوت اعانك » .

وقيل له : اي الناس شر ؟ قال : « العلماء اذا فسدوا » .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اذا ساد القبيل فاسقهم ،

وكان زعيم القوم ارذلهم ، واكرم الرجل الذي اتقي شره . . فانتظروا البلاء ».

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) ايضاً : « ألا اخبركم بشراركم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله . .

قال : « المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الاحبة ، الباغون للبّراء العيب ، ومن كف عن اعراض الناس اقاله الله نفسه ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه عذابه يوم القيامة » .

وقال : « ان الله حرم الجنة على المنان ، والنمام ، ومد من الخمرة ».

وقال : « بئس العبد عبداً ذا وجهين وذا لسانين ، يطري اخاه في وجهه ، ويأكله غائباً عنه ، إن اعطي حسده ، وان ابتلي خذله .

وقال ايضاً : « لا تستصغروا قليل الحسنات، فانه لا تستصغر ما ينفع يوم القيامة . وخافوا الله في السر حتى تعطوا من انفسكم النصف . وسارعوا الى طاعة الله، واصدقوا الحديث، وأدوا الامانة ، فانما ذلك لكم . ولا تظلموا ، ولا تدخلوا فيما لا يحل لكم، فانما ذلك عليكم ».

وقال (صلى الله عليه وآله) ايضاً : « اذا كثر الربا كثر موت الفجأة . واذا طفف المكيال، اخذهم الله بالسنين والنقص . واذا منعوا الزكاة منعت الارض من زكاتها . واذا جاروا في الاحكام ، وتعاونوا ، وخانوا العهود، سلط عليهم عدوهم . واذا قطعوا الارحام ، جُعلت الاموال في ايدي الاشرار .

وإذا لم يأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر، ويتبعوا الاخيار، سلط الله عليهم شرارهم ، فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم ».

وقال ايضاً : « اصل المرء قلبه ، وحسبه خلقه ، وكرمه تقواه ، والناس في آدم شرع سواء ».

وقال ايضاً : من حق جلال الله على العباد اجلال الامام المقسط وذي الشيبة في الاسلام . وحامل القرآن ، غير الغالي فيه ، ولا الجافي عنه .

اربع : من فعلهن فقد خرج من الاسلام : من رفع لواء ضلالة . . . ومن اعان ظالما او سار معه ، او مشى معه ، وهو يعلم أنه ظالم . ومن احترم بذمة[1]ورجلان لا تنالهما شفاعتي يوم القيامة . امير ظلوم . . ورجل غال في الدين مارق منه .

من اقواله (صلى الله عليه وآله) في مكارم الاخلاق

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : « ان الله خص اولياءه مكارم الاخلاق، فامتحنوا انفسكم فان كانت فيكم ، فاحمدوا الله، والا فارغبوا اليه ».

قيل له : وما هي ؟ .

---

(١) هكذا وردت في الاصل ـ تاريخ اليعقوبي .

قال : « اليقين ، والقنوع ، والصبر، والشكر، والعقل، والمروءة، والحلم، والسخاء، والشجاعة . ».

وقال : « ثلاث لم يجعل لاحد فيها رخصة ، بر الوالدين . . برين كانا أو فاجرين ، ووفاء العهد للبر والفاجر ، واداء الامانة الى البر والفاجر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره وليكرم ضيفه ، وليقل خيرا وليشكر ».

وقال (صلى الله عليه وآله): « ان اكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم اخلاقاً ».

ومن وصاياه (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) في مكارم الاخلاق :

« يا علي لكل ذنب توبة ، الا سوء الخلق، فان صاحبه كلما خرج من ذنب دخل في ذنب .

يا علي: ثلاثة من مكارم الاخلاق، في الدنيا والآخرة : أن تعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، وتحلم عمن جهل عليك .

يا علي: بادر باربع قبل اربع، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وحياتك قبل موتك .

يا علي: ثلاث من لقي الله عز وجل بهن فهو من افضل الناس : من اوفى الله بما افترض عليه ، فهو من اعبد الناس. ومن ورع عن محارم الله، فهو من اورع الناس ، ومن قنع بما رزقه الله، فهو من اغنى الناس.

يا علي: ثلاث من لم تكن فيه لم يتم عمله :

ورع يحجزه عن معاصي الله عز وجل، وخلق يداري به الناس، وحلم يرد به جهل الجاهل.

يا علي: ان الله تبارك وتعالى، قد أذهب بالاسلام نخوة الجاهلية، وتفاخرهم بآبائهم ، الا ان الناس من آدم، وآدم من تراب، واكرمهم عند الله اتقاهم ».

بعض ما كان عليه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الصفات وحسن الخلق

كان رسول الله (عليه وآله الصلاة والسلام)، دائم البشر، سهل الخلق، لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب، ولا فحاش، ولا عياب، ولا مداح، يتغافل عما لا يشتهي، فلا يوئس[1] منه ، ولا يخيب فيه مؤمليه[2] قد ترك نفسه من ثلاث : المراء ـ والاكثار ـ ومما لا يعنيه .

وترك الناس من ثلاث : كان لا يذم احداً، ولا يعيره ، ولا يطلب عورة . ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه .

وكان (صلى الله عليه وآله) يقول : اذا رأيتم طالب حاجة فارفدوه ، ولا يقبل الثناء، الا عن مكافيء، ولا يقطع على احد

---

(١) هكذا وردت في الاصل . مكارم الاخلاق للطبرسي .

(٢) هكذا النسخة وردت . مكارم الاخلاق للطبرسي .

حديثه ، حتى يجوز، فيقطعه بانتهاء أو قيام .

وعن انس بن مالك قال: خدمت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تسع سنين ، فما اعلمه قال لي قط: هلا فعلت كذا ـ وكذا ؟ ولا عاب علي شيئاً قط .

وعن انس ايضاً: صحبت رسول الله عشر سنين ، وشممت العطر كله ، فلم اشم نكهة اطيب من نكهته . . وكان اذا لقيه احد من اصحابه، قام معه ، فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه . واذا لقيه احد من اصحابه ، فتناول يده ، ناولها إياه ، فلم ينزع عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع عنه .

وما اخرج ركبتيه بين يدي جليس له قط، وما قعد الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجل قط فقام حتى يقوم .

وعن انس ايضاً : ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ادركه اعرابي، فاخذ بردائه فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرت الى صفحة عنق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة الجذبة ، ثم قال له : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك .

فالتفت اليه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فضحك ، وأمر له بعطاء .

وعن انس ايضاً: كان رسول الله (صلى اللهلآ عليه وآله وسلم) اذا فقد الرجل من اخوانه ، ثلاثة ايام ، سأل عنه : فان كان غائباً دعا له ، وان كان شاهدا زاره، وان كان مريضا عاده .



الخاتمة

اختار محمد صلى الله عليه وآله وسلم) الرفيق الاعلى وذهب الى جوار ربه راضيا مرضيا بعد ان بلغ الرسالة على اتمها كما في قوله تعالى :

﴿ اليــوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لـكم الإسلام دينا ﴾[1] .

الـدين الإسلامي القيم ، الـذي ارتضـاه الله لعبـاده الصـالحـين ، وبعث به محمداً سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وانزل عليه (صـلى الله عليه وآله وسلم) القرآن فيه هدى ورحمة للعالمين .

القـرآن الكريم مهـد للناس حضـارة عظيمـة ، وحـوى بـين دفتيـه شريعة سمحاء ، ادهشت عقول الحكماء .

القـرآن الكريم عجـز عن الاتيـان بمثله البلغـاء والفصحـاء اذ قـال سبحـانه : **﴿ قـل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يـأتوا بمثـل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾**[2] .

هذا الدين الإسلامي القيم ، وتعاليمه السامية ، وشريعته السمحاء

---

(١) سورة المائدة : آية ٣ .

(٢) سورة الاسراء ـ آية ـ ٨٨ .

التي تفيأ العالم ظلالها من الف واربعمائة وثلاث سنوات، وسيبقى يتفيأ ظلالها ، ويستمد من نور تعاليمها العالم باسره . . . حتى يوم القيامة.

غاب الرسول الاعظم عن الناس بشخصه وهيكله ، وبقيت سيرته العظيمة ينبوعا غزيراً ينهل منه على مر العصور ، اصحاب الحكمة ، واهل العلم والمعرفة .

غاب الرسول الاعظم عن هذه الدنيا الفانية ، وبقيت رسالته العظيمة مصدرا غنياً ، زاخراً بمعاني الكمال والتضحيات ، ونبراسا يهتدى بنوره الى المثل العليا ، وعلما يحمله اصحاب الانسانية ، وطلاب الحرية ، وكل من اراد الوقوف في وجه الظلم والطغيان ، والاستعباد والاستعمار ، والحاكم الظالم الذي يبيع دينه ، ووطنه وشعبه . لقاء مصلحة خاصة ، او هوى في نفسه .

صلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله ، يا منقذ الانسانية من براثن الجهل ، ومخرج العالم من الظلمات الى النور ، ما احوجنا في هذه الايام العصيبة التي ترزح تحتها البلاد ، الى منقذ ينقذها من ويلات الحرب ، والفوضى ، والشقاء . . . والى موحد يوحد الصفوف . . . ويجمع شتات المسلمين ، على الخير والعزة والكرامة ، فقد اصبح المسلم يقاتل اخاه المسلم ، ويكيد الانسان لاخيه الانسان كل شر وبلاء لا لغاية شريفة ، بل لارضاء ظالم يتحكم ، او مستعمر مستبد .

كنت اخط اسطر هذا الكتاب تحت وطأة اصوات المدافع ودوي الإنفجارات وما يصحبها من مآسٍ واهوال، واللبنانيون في خضم

حـرب اهلية يستعـر اوارها منـذ تسع سنـوات ولّما تنتـه بعـد، أجَّجهـا المستعمـر ليتمكن من رقـاب المسلمـين، سـاعــده عـلى ذلـــك تشتتهم وتفرقهم عن دينهم.

وفي هذه الظروف الصعبة وهذه الـظلمة الحـالكة، حملت مؤسسـة الوفاء عبء طبع هذا الكتاب. جزاها الله خيراً.

واكتب هذه الكلمات سـائلاً المـولى عز وجـل ان يظهـر كلمة الحق ويزيل هذه الغمامة السوداء عن عباده الابرياء بحق محمد وآل بيته .

واخيراً اسأل الله العلي القدير . بحق رسولـه العظيم سيـد المرسلين وبحق آله الطيبين الطاهرين ان يوفقني لاتمام هذا الكتاب ، ويثيبني على جهودي وعملي هذا ثواب العاملين للعلم والعمل الصالح ، والمجاهدين في سبيل الله .

ومن الله جل وعلا استمـد العون ومـا توفيقي الا بـه عليه تـوكلت واليه انيب .

انتهى الجزء الرابع بعون الله .

الخميس ٢ ذي القعدة سنة ١٤٠٣
الموافق ١١ آب ١٩٨٣
بيروت

علي فضل الله
الحسني



مصادر الكتاب

القرآن الكريم
مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي .
التبيان للشيخ الطوسي
الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي
جامع البيان في تفسير القرآن للطبري .
تفسير الجواهر للطنطاوي
مجمع البحرين للطريحي
تفسير القرآن العظيم لابن كثير
الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي
تفسير غرائب القرآن ، ورغائب الفرقان للنيسابوري
نهج البلاغة
شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام الدكتور جواد علي
قصص الانبياء عبد الوهاب النجار
معجم البلدان ياقوت الحموي
الكامل في التاريخ ابن الاثير
مروج الذهب للمسعودي

وسائل الشيعة	الحر العاملي
العقد الفريد	ابن عبد ربه الاندلسي
لسان العرب	ابن منظور
تاج العروس	الزبيدي
المنجد في اللغة	
قصص الأنبياء	الجزائري
موسوعة العتبات المقدسة	الخليلي
السيرة الحلبية	علي بن برهان الدين الحلبي
اخبار مكة	الازرقي
تاريخ الامم والملوك	الطبري
تاريخ اليعقوبي	اليعقوبي
الطبقات الكبرى	ابن سعد
نهاية الارب في فنون الادب	النويري
السيرة النبوية	ابن هشام
السيرة النبوية	ابن دحلان
بحار الانوار	المجلسي
المغازي	الواقدي
الفضائل	لابي الفضل شاذان
الروض الآنف	السهيلي
الغدير	الشيخ الاميني
اعيان الشيعة	السيد محسن الامين
البداية والنهاية	ابن كثير

الاستيعاب ابن عبد البر
الصواعق المحرقة ابن حجر
الاصابة ابن حجر
اعلام النساء عمر رضا كحالة
حلية الاولياء لابي نعيم الاصبهاني
المرأة في ظل الإسلام مريم نور الدين فضل الله
كشف الغمة للاربلي
شرح نهج المسترشدين العلامة الحلي
ينابيع المودة القندوزي
انساب الاشراف البلاذري
ارشاد القلوب الشيخ المفيد
مفتاح الكرامة السيد محمد جواد العاملي
بلاغات النساء ابن طيفور
الاخلاق الاسلامية للمؤلف
في ظلال الوحي للمؤلف
الشوقيات احمد شوقي
فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز آبادي
تاريخ العرب الدكتور فيليب حتي
العبقريات الاسلامية العقاد
فدك في التاريخ السيد محمد باقر الصدر
تراجم سيدات بيت النبوة الدكتورة بنت الشاطيء
الملل والنحل الشهرستاني

الإمامة والسياسة ابن قتيبة
الاحتجاج الطبرسي
تاريخ الحسين الشيخ عبد الله العلايلي
حياة محمد الاستاذ هيكل

الفهرس

الموضوع ——— الصفحة

الموضوع ———————— الصفحة

الموضوع ——— الصفحة

صـــدر للمـؤلف

١ ـ في ظلال الوحي   طبعة ثانية

٢ ـ الاخلاق الاسلامية   طبعة ثالثة

٣ ـ سيرة الرسول وخلفائه   ٤ مجلدات



